الإمام الألباني

حياته - دعوته
جهوده في خدمة السنة

تأليف
محمد بيومي

دار الغد الجديد

الإمام الألباني

حياته - دعوته

جهوده في خدمة السنة

كتبه

محمد بيومي

دار الغد الجديد

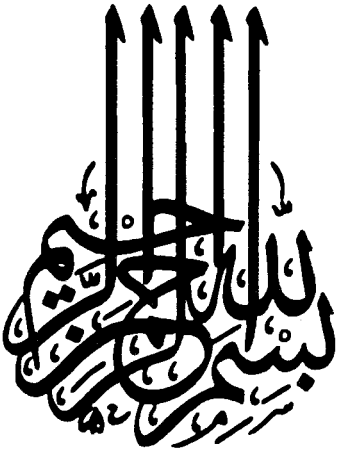
بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الألباني

حياته - دعوته

جهوده في خدمة السنة

جميع الحقوق محفوظة
جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لـ

دار الغد الجديد

القاهرة - المنصورة

EXCLUSIVE RIGHTS
BY
DAR AL-GHAD AL-GADEED
EGYPT - AL-MANSOURA

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

دار الغد الجديد

القاهرة: ١٢ ش درب الاتراك خلف الجامع الأزهر
المنصورة: ش عبدالسلام عارف أمام جامعة الأزهر

ت وفاكس: 2254224 - 050 - 002
صندوق بريد: 35111

EMAIL: DAR-ALGHAD@YAHOO.COM

رقم الإيداع: ٢٣٠٢٥ / ٢٠٠٥

I.S.B.N.977- 372 - 131 - 0

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شرك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وبعد:

فإن الكتابة عن سيرة الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ يتطلب جهدًا شاقًا ،وذلك لما في حياة الإمام من أحداث كثيرة لا يستطيع المترجم له أن يحيط بها في كتاب، بل ولا في مجلدات عديدة.

وهذا ما جعلني في حيرة من أمري حين عزمت على الكتابة عن حياة الإمام ـ رحمه الله.

وبعد تردد طويل عزمت على الكتابة قدر استطاعتي. و﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ،وكان مما حفزني على المضي في هذا الأمر، تلك الترجمة التي سجلها الأخ الشيخ أبو إسحاق الحويني مع شيخنا الإمام ـ رحمه الله ـ وذلك عندما زاره في الأردن عام ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦م وكانت هذه أول رحلة للحويني إلى الشيخ الإمام ـ رحمه الله.

وكان الشيخ أبو اسحاق يحرص على أن يقوم بعمل ترجمة للشيخ الإمام، وقد طلب

الحويني من الشيخ الإمـام مرارًا وتكرارًا أن يلبي له هذا الأمر ولكن الشيخ الإمـام ـ رحمه الله ـ رفض هذا الطلب معللاً رفضه بأن حياته ليس فيها ما يستحق ذلك(١) !!

ولكن الحويني لم ييأس وظل يكرر طلبه هذا على الشيخ الإمام.

وأمام هذا الإصرار من الحويني،وعده الشيخ بأنه سوف يلبي له طلبه ذلك عندما تسنح له فرصة فاغتنم الحويني هذا الوعد، وظل يلاحق الشيخ الإمام لكي يفي له بما وعده به.

وكان الشـيخ الإمام يسوِّف هذا الأمر إلى أن كـثر إلحاح الحويني على الشـيخ الإمام، فاستجاب له وهو كاره!

وقد قمت بتفريغ هذه الأشرطة التي بلغ عـددها خمسة أشرطة، وقمت بعمل عناوين فرعيـة لموضوعاتها ، كـما قمت أيضًا بتـبسيط بعض ألفاظهـا ـ وهو قليل ـ دون المساس بمعانيها نظراً لأن الشيخ يتحدث باللهجة الشامية، وقد تصدر منه بعض الألفاظ التى يشكل معناها على من لا يعرف معاني مفردات هذه اللهجة.

كـ ا قمت أيضًا بإضـافة بعض التعليـقات في الهـامش من أجل زيادة الإيضاح ، أو تفصيل إجمال ، ونحو ذلك.

ثم أتبعت الترجـمة ببيان دعوة الشيخ الإمـام، وكذا جهوده في خدمة الإسـلام بصفة عامة والسنة النبوية بصفة خاصة.

وأخيرًا : أرجو أن أكون قد ساهمت بهذا الجهد الضئيل في تعريف الأنام بسيرة شيخنا العلامة الإمام محمد ناصر الدين الألباني، أبي عبد الرحمن رحمه الله تعالى.

وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

* * *

(١) فما أشد تواضـعك يا شيخ الإسلام ، وإمام المسلمين، رحمك الله رحمة واسـعة، وأسكنك فسيح جناته.

التعريف بحياة الإمام الألباني

مولده:

قال الحويني: بالنسبة يا شيخنا لتاريخ المولد سنة كم؟

فأجاب: لا يوجد لدينا ما يعتمد عليه في هذا التأريخ سوى ما يسمى بتذكرة النفوس أو الهوية أو الجواز فالمسجل فيها ١٩١٤ بالتأريخ النصراني.

نشأته:

قال الحويني: هل في دمشق مسقط رأسكم أم في ألبانيا؟

فأجاب: ولادتي كانت في اشقودرة التي كانت يومئذ عاصمة ألبانيا ، وفي زمن الثورجي هذا أحمد زوغو نقل العاصمة إلى تيرانا، فولادتي إذن كانت بأشقودرة من ألبانيا.

سبب هجرته من ألبانيا إلى دمشق:

قال الحويني : قصة دخولكم دمشق الشام مع الوالد هل كانت نتيجة اضطهاد مثلاً أم ماذا؟

فأجاب: لم يكن ثمة أي اضطهاد لكن كان هناك في الجونذر من سيطرة هذا أحمد زوغو على التحكم في البلاد ؛لأنه ما كاد أن يستتب الأمر له حتى بدأ يفرض على الشعب القوانين الغربية الوضعية، وبدأ يضايق النساء في حجابهن ، ويفرض على الشرطة والجيش القبعة ، الأمر الذي كان نذيراً بالشر من وجهة نظر والدي رحمه الله ؛ لذلك قرر أن يهاجر بأهله إلى الشام بصفة عامة، وإلى دمشق بصفة خاصة؛ لأنه كان يقرأ أحاديث كثيرة وردت في فضائل الشام عامة ودمشق خاصة، على ما هو معلوم أو صار عندنا معلومًا فيما بعد أن الأحاديث منها الصحيح ومنها الحسن ، ومنها الضعيف ومنها الموضوع ، لكن الفكرة العامة صحيحة، وكانت متحكمة في نفسه ـ رحمه الله ـ ولذلك قرر الهجرة عندما رأي تلك النذر فهذا هو سبب الهجرة ، فلم يكن هناك ضغط مباشر .

عمر الشيخ في وقت الهجرة:

قال الحويني: كم كان لك من العمر في وقت الهجرة؟

فأجاب: الذي أذكره أنني حينما استوطنت دمشق كان عمري تسع سنين .

هل كان الشيخ يحسن الكلام باللغة العربية في طفولته؟

قال الحويني: هل كنت تحسن الكلام بالعربية وقتها؟

فأجاب: لا أعرف من اللغة العربية شيئًا بل كنت لا أعرف من الأحرف العربية شيئًا من أجل أنه لم يكن هناك عناية من الوالد ـ رحمه الله ـ في تعليمنا، مع أنه كان إمام مسجد، وربما كان شيخ كُتَّاب .

فلما جئنا إلى دمشق ما كنا نعرف شيئًا من القراءة والكتابة كما يقولون عندنا في سورية: ما نعرف الخمسة من الطمسة ولا الألف من النفطية ـ النفطية هي العصا الطويلة التي كان يستعملها شيخ الكُتَّاب حينما يريد أن يصطاد آخر ولد يعبث هناك يطوله بها ـ وكانت المدرسة هناك مدرسة أهلية لجمعية خيرية اسمها جمعية الإسعاف الخيري، فهناك بدأت تعليمي، وبطبيعة الحال بسبب مخالطة الطلاب كان تعلمي للغة العربية، أو بالأحرى اللغة الشامية أقوى من الذين لم يكونوا منتمين إلى المدرسة ،وأذكر جيدًا يبدو لتقدمي في السن بالنسبة للطلاب الابتدائيين ، فقد جاوزت السنة الأولى والثانية في سنة واحدة؛ ولذلك حصلت على الشهادة الابتدائية في أربع سنوات ، ويبدو أن الله عز وجل قد فطرني على حب اللغة العربية، وهذا الحب هو الذي كان سببًا كسبب مادي بعد الفضل الإلهي أن أكون متميزًا متفوقًا على زملائي من السوريين في علم اللغة العربية ونحوها.

وأذكر أيضًا جيدًا أن أستاذ اللغة والنحو حينما كان يكتب جملة أو بيت شعر على اللوح، ويسأل الطلاب عن إعراب تلك الجملة أو ذلك البيت يكون آخر من يطلب منه هو الألباني ، وكنت يومئذ أعرف بالأرناؤوط، أما كلمة الألباني فحينما خرجت من المدرسة وبدأت أكتب ؛ لأن كلمة الأرناؤوط تشبه أو تقابل كلمة العرب، وكما أن العرب ينقسمون إلى شعوب ففيهم المصري والشامي والحجازي . . . إلى آخره.

كذلك الأرناؤوط ينقسمون إلى ألبان وإلى الصرب من يوغسلافيا ، وإلى بوشناق ، فإذن بين كلمة الألبان وكلمة الأرناؤوط عموم وخصوص، فالألبان أخص من الأرناؤوط ، فكان أستاذ النحو يخرجني آخر واحد إذا عجز الطلاب عن الإعراب وينادي: إيه يا أرناؤوط إيش تقول فأصيب الهدف في كلمة واحدة ،فيبدأ يعير السوريين بي، ويقول مش عيب عليكم ؟ هذا أرناؤوطي، وهذا من فضل الله عليَّ.

وقوف الشيخ في الدراسة عند المرحلة الابتدائية:

قال الحويني: بعد أن انتهيت من الدراسة لِمَ لَمْ تكمل الدراسة الأكاديمية . يعني الثانوية إلى آخره؟

فأجاب الشيخ: ما زدت على الدراسة الابتدائية ، والسبب في ذلك يعود إلى والدي ، ولعل هذا كانت منه رمية من غير رامى؛ لأنى فيما شاهدت فيما بعد لو تابعت تلك الدراسة لما استطعت أن أكون فيما أنا فيه من الدراسة ؛لأن الدراسة النظامية صحيح أنها تسهل طريق من يريد أن يمضي أشواطًا كثيرة في البحث العلمي، لكن هذا نادر جدًا في الذين يتخرجون.

فوالدي ـ رحمه الله ـ كان سيىء الرأي في المدارس الحكومية، وحق له ذلك؛ لأنها كانت لا تدرس من الشريعة إلا ما هو أقرب إلى الشكل من الحقيقة ؛ ولذلك ما أدخلني مدرسة التجهيز مثلاً التي كانت هي الثانوية يومئذ في سوريا ، وعلى ذلك بدأت أدرس على والدي من جهة الفقه الحنفي وعلم الصرف، وعلى شيخ آخر اسمه الشيخ سعيد برهاني، تبين لي فيما بعد أنه صوفي صاحب طريقة، قرأت على هذا الشيخ بعض الفقه الحنفي وبصورة محددة «مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح ».

كما قرأت عليه بعض كتب النحو والبلاغة العصرية من كتب بعض المعاصرين وختمت على والدي القرآن بالتجويد، وفي الوقت نفسه كنت أتعاطى مهنة النجارة ، والتي تسمى اليوم بالنجارة العربية،وتخرجت من مُعَلِّمَيْن اثنين في النجارة أحدهما خالي اسمه إسماعيل رحمه الله عملت معه سنتين.

والآخر سوري يعرف بأبي محمد أيضًا عملت معه سنتين ، وكان عملي معهما في الغالب في تصليح وترميم البيوت القديمة ؛لأن البيوت القديمة في الشام كانت من الخشب واللبن ، فكانت مع مضي الزمن والأمطار والثلوج ونحو ذلك تنهار بعض الجوانب من تلك الدور وتحتاج إلى نجار عربي يصلحها، فكنت أخرج معه، ففي أيام الشتاء في الغالب كنا لا نستطيع أن نعمل شيئًا ،فأمرُّ على والدي وكان يتعاطى مهنة تصليح الساعات من بلده.

ذات يوم قال لي وقد رجعت من معلمي ، وقد شعر بأنه لا يوجد عمل في ذلك اليوم؛ لأن اليوم كان غائمًا .

قال: الظاهر ما في شغل اليوم.

قلت: نعم ما في شغل.

قال: شو رأيك أنا شايف أن هذه الشغلة ما هي سهلة ولا هي مهنة، شو رأيك تشتغل عندي.

قلت له: كما تريد.

قال لي: يالاّ اصعد، وكانت دكانته مرتفعة عن الأرض كان يخشى من الرطوبة، ومن يومها لزمته حتى تخرجت في المهنة من عنده وفتحت دكانًا خاصة بي وهكذا .

تتلمذ الشيخ الألباني على أبيه في دروس خاصة:

قال الحويني: كنت سألت الشيخ شعيب الأرناؤوط عن بعض أشياء فتطرق الأمر إلى أنه قال: كنت أتردد على الشيخ نوح وما كان الشيخ ناصر يحضر مجالسنا؟

فأجاب الشيخ: أنا ما كنت أحضر هذه الدروس التي هو يعنيها ،لكن نحن كان لنا درس خاص عند الوالد مع اثنين من الشباب الأرناؤوط أحدهما اسمه عبد الرحيم زين العابدين ولا يزال على قيد الحياة ، والآخر توفي وكنا نقرأ عليه القدوري في الفقه الحنفي وكذلك قرأنا عليه المراح في علم الصرف وختمنا عليه القرآن.

فهذا لا يعني أننا ما قرأنا عليه ؛ لأنني ما كنت أحضر في الوقت الذي كان هو يحضر كما أن العكس أيضًا غير لازم ؛ لأنه ما كان يحضر دروسنا هذه الخاصة مع الوالد أنه ما حضر على الوالد هذا ليس بلازم أيضًا.

كيف تحول الشيخ الألباني من المذهب الحنفي إلى دراسة الحديث؟

قال الحويني: هنا مسألة تلفت النظر ، وهي كيف توجهتم إلى الحديث ونحو ذلك ، مع أن من خلال بعض كلماتكم وكلمات الشيخ شعيب أن الوالد كان حنفيًا، كان يعتد بالمذهب الحنفي جدًا؟

فأجاب الشيخ: ذلك الفضل من الله، لكن من حيث السبب هو كما يقال: إذا أراد الله أمرًا هيأ أسبابه، فأنا فعلاً كنت أعيش في جو حنفي متعصب، والدي كان يعتبر خاصة بين الأرناؤوط هو أعلمهم بالفقه الحنفي ، وكان ملاذهم ومرجعهم، فلما تخرجت من المدرسة الابتدائية ، ودرست على تفصيلى السابق على بعض المشايخ ، كان لديَّ هواية في المطالعة بصورة غريبة جدًا، لكن مطالعة فيما يبدو للناظر لا فائدة منها، بل قد يكون لها آثار ضارة ، لكن فيما بعد تبين أثر هذه الدراسة في لغتي فقد قوّت هذه اللغة في نطقي ، فالغريب أني كنت مغرم بقراءة الكتب العصرية الخيالية التي تعرف بالهوايات ، وبخاصة منها قصص اللص الأمريكي المشهور أرسين لوبين، فكنت مغرمًا فعلاً بقراءة هذا النوع من القصص والروايات .

ثم وجدتني نقلت إلى مرحلة ثانية قد تكون خيرًا من تلك،وهي دراسة القصص العربية ، ولو أنها خيالية فمثلاً قرأت ألف ليلة وليلة، قرأت قصة عنتر بن شداد ، قصة صلاح الدين الأيوبي، قصة ذات الهمة والبطال . . . وهكذا، كنت شغوفًا جدًا بمثل هذه المطالعات والقراءات ، ثم من تمام تدبير الله عز وجل ولطفه بي أنني حينما غيرت مهنتي ولزمت والدي وجد لي فراغ من الوقت.

كنا نتبادل الجلوس في دكانه ، كان يأتي وأنا معه صباحًا حتى يصلي الظهر، فإذا صلى الظهر ذهب إلى الدار ليستريح وبقيت أنا في الدكان ويأتي بعد صلاة العصر ، نحن شغيلان كان أحيانًا يوجد لديَّ فراغ من الوقت، ما في ساعات أصلحها ، فأستأذن من والدي بأن أخرج ، وإلى أين؟ وهذا أيضًا توفيق من الله.

أذهب إلى المسجد الأموي أحضر لناس بعض الدروس العامة. وتأثرت بشيء منها من الناحية الفكرية بعضها صواب فيما تبين لي فيما بعد، وبعضها خطأ.

وهذا الخطأ يتعلق بالنوعين: التقليد والتصوف، ثم في فسحتي هذه التي أخرج فيها من دكان أبي قيض الله لي رجلاً مصريًا كان يشتري بعض التركات من الكتب ويعرضها أمام دكان له تجاه الباب الغربي من المسجد الأموي، فكنت أمرُّ على الكوم من الكتب التي كان يبسطها أمام دكانه الصغير فأقلب فأجد فيها من تلك الروايات ماشئت ، فأستأجر منه وأقرأ وأعيد وهكذا.

ذات يوم وجدت عنده بعض الأعداد من مجلة المنار، وأذكر جيدًا أنني قرأت فيه فصلاً بقلم السيد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ يتكلم عن مزايا كتاب الإحياء للغزالي وينقده من بعض النواحي ، كصوفياته مثلاً وكأحاديثه الضعيفة والواهية، وبهذه المناسبة ذكر أن لأبي الفضل زين الدين العراقي كتابًا وضعه على الإحياء خرج فيه أحاديثه وميز صحيحها من ضعيفها وهو المسمى » بالمغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار»، فتلهفت نفسي جدًا لهذا الكتاب، فنزلت إلى السوق أسأل عنه كالعاشق الولهان ، أين هذا الكتاب؟ حتى وجدته عند أحدهم وإذا به أربع مجلدات طبعة البابي الحلبي على ورق أصفر ناعم ، لكني كنت فقيرًا كأبي لا أقدر على شراء مثل هذا الكتاب، فاتفقت مع مالكه على أن أستأجره منه، ما أذكر الآن لمدة سنة أو أقل أو أكثر ، ففعلت ، وأخذت الكتاب وأنا أكاد أطير فرحًا، وذهبت إلى الدكان فكنت أغتنم فرصة غياب والدي بعد الظهر فأخلو بكتابي، وخطيت خطة لنسخ المغني تخريج الإحياء فبدأت أنسخ ، واشتريت ورقًا واتخذت لي مسطرة ، وهي عبارة عن مقوى كرتون يخيط بخطوط متوازية من الوجهين.

عمر الشيخ الألباني في وقت قراءته في مجلة المنار:

قال الحويني: هذا كان سنة كم بداية قراءتك في المنار؟

فأجاب الشيخ : دون العشرين يمكن أن يكون سبع عشرة، ثمان عشرة هكذا.

فبدأت أكتب حتى نسقت الجزء الأول ثم خطرت في بالي خاطرة: إنه أنا الأن مبتدئ

في طب العلم، ثانيًا أعجمي ألباني ، كثيرًا ما تمر بي بعض الأحاديث لا أفهمها ، أو تغمض عليَّ بعض الألفاظ الغريبة، التي عرفت فيما بعد أنها من غريب الحديث ، فقلت لماذا أنا لا أستعين ببعض الكتب التي كانت في حوزتي أو في مكتبة والدي لشرح هذه الكلمات التي تغمض عليَّ، ففعلت ، لكن ما كدت أعلق بعض التعليقات إلا راجعت ألوم نفسي، وأقبح صنعي ؛لأنه ظهر الآن المجلد الأول متناقض الأسلوب، القسم الأول ليس فيه تعليق، والقسم الثاني فيه تعليق فما أعجبني هذا التباين ، فألغيت ما فعلت ، واستأنفت الكتاب من جديد على طريق التعليق من أول الكتاب عند اللزوم.

وهكذا انتهى المجلد الأول ، وبدأت في الثاني، ويظهر الفرق واضحًا جدًا بين المجلد الأول من حيث التعليق عليه ، وبين المجلد الأخير وما قبله ؛ لأنك ترى في المجلد الأول أكثر الصفحات هي المغني وقليل من التعليقات، بينما فيما بعد انعكس الأمر تمامًا، فكنت ترى بعض الصفحات سطر واحد فوق ، وتحت كله حاشية، وبخط دقيق جدًا كان عندنا في سورية ريش للكتابة قسم منها للخط العربي، وقسم منها للخط الإفرنسي، فيسمون هذه بالريش الإفرنسية ؛لأنها دقيقة الرأس جدًا ،فأنا كنت أكتب التعليق الذي هو بالأحرف العربية بالريشة الإفرنسية تمييزًا للحاشية عن الأصل ، فتجد صفحة كلها ممتلئة بهذا الخط الدقيق ، وفوق بالريشة العربية سطر أو سطرين وهكذا.

مع أني شعرت أنني استفدت جدًا من هذه المراجعات لسد النقص الذي كنت أشعر به بسبب ابتدائي في العلم أولاً، وبسبب عجمتي ثانيًا فاستفدت من هذا العمل كثيرًا وكثيرًا جدًا (١) وهو موجود عندي والحمد لله كأثر لهذا العمل.

---

(١) قال الشيخ محمد المجذوب:

«وقد أطلعني الشيخ في عمله في ذلك النسخ، فإذا أنا تلقاء أربعة أجزاء في ثلاثة مجلدات ، تبلغ صفحاتها ألفين واثنتي عشرة في نوعين مختلفين من الخط، أحدهما عادي والثاني دقيق علق به في الهوامش تفسيرًا أو استدراكًا.

ولعمر الحق إنه لمجهود يعجز عنه أولو العزم من أهل العلم في هذه الأيام، ناهيك بطلبة الجامعات ممن لا يملكون أي عزيمة تسعفهم بالصبر على التحقيق والمتابعة .=

موقف والد الشيخ الألباني من دراسته لعلم الحديث:

قال الحويني: بالنسبة للوالد هل لمح مسألة إقبالك على علم الحديث ونحو ذلك؟

فأجاب الشيخ: طبعًا كان له دور سلبي جدًا، لكن الله عز وجل ثبتني .

الذي كان يقع في الحقيقة ، وهذا من شكر الله عز وجل فيما قدَّر لي من الجلوس في دكانه وتعليم مهنته أنه ونحن نعمل نتجادل ، أنا فيما بدا لي من السنة والحديث، وهو فيما كان درسه في إسطنبول وغيره وقضى شطرًا طويلاً في هذه الدراسة.

فكنا نتناقش حين أستدل بالحديث والسنة، هو يقول: المذهب ، وإذا ضاق بالبحث ذرعًا، وأنا طويل النفس في ذلك، زد إلى أني كنت شابًا، وهو كان كهلاً بل شيخًا ، فكان يقول: علم الحديث صنعة المفاليس ـ رحمه الله وغفر لنا وله.

وهكذا كان أكثر أوقاتنا في الدكان مجادلة، ومع الاستمرار في الدراسة في السنة والحديث تبينت لي أخطاء كانت سائدة في ذلك الوقت على الناس جميعًا وفيهم المشايخ.

كنت مثلاً من بين كل إخواني هو الولد الوحيد الذي يلازم أباه في ذهابه إلى المساجد.

مخالفة الشيخ الألباني لمشايخه في مسألة الصلاة في المسجد الذي فيه قبر:

ولقد كان من عادته ـرحمه الله ـ أن يصلي في مسجد بني أمية، وكان متأثرًا ببعض الأقوال والآثار المذكورة في كتب الحنفية في فضل الصلاة في مسجد بني أمية، من ذلك

= فكيف إذا أضيف إلى ذلك أن الشيخ لم يكن آنئذ قد تجاوز العشرين من العمر، ولا جرم أن هذا الجهد الجبار في تأليف تلك المجلدات ، مع الاستعانة بكل وسائل التحقيق المتيسرة للفتى أيامئذ ، كان ذا أثر كبير في تمرسه بهذا الضرب من العمل العلمي، فهو وإن كان لا يستحوذ على رضاه بصورة تامة، قد شق له الطريق إلى تقدم أعلى في هذا المضمار.

ومن خلال هذه الحياة ، وتلك النشأة، وهاتيك الملابسات، يتراءى لي أن ثمة عوامل خفية كانت دائبة على توجيه الفتى في ذلك الطريق، لتجعل منه في النهاية واحدًا من كبار خدمة السنة المطهرة في ديار الشام» «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ٢٩٢).

مثلاً ما جاء في الكتاب الأخير من كتب الحنفية المعتمدة «حاشية ابن عابدين» ذكر فيه عن سفيان الثوري أن الصلاة في مسجد بني أمية بسبعين ألف صلاة، أنا ما كنت أعقل هذه الفضيلة لمثل هذا المسجد المحدث بعد الرسول عليه الصلاة والسلام، وما كان عندي استعداد أن أتقبل هذه المبالغة في الفضيلة فطرةً.

ثم تمضي الأيام مع السنين ، ويصل بحثي ودراستي إلى أن أدرس أكبر تاريخ إسلامي معروف وهو تاريخ دمشق لابن عساكر ، وهذا الأثر المذكور في «حاشية ابن عابدين » في فضيلة المسجد الأموي معزو لابن عساكر ، وهكذا متفقهة آخر الزمان يقنعهم أن يكون الحديث معزوًا ولو لابن عساكر حتى يصبح كما تقول العامة : حديث مثبت ، فلما تمكنت ـ هذا طبعًا بعد سنين ـ وصل بي الدور إلى دراسة مخطوطات المكتبة الظاهرية(١) . كلها

---

(١) من أهم الخزائن العامة في الشام خزانة دار الكتب الظاهرية وليست مكانتها منبعثة من كثرة أعداد كتبها بل من النوادر المحفوظة فيها ،وربما كانت مجموعتها أندر مجموعة في الشام، فيها بضعة آلاف كتاب ورسالة ،وفيها ما هو بخط مؤلفيه أو مقروء عليهم، ومنها القديم جدًا بل فيها أقدم كتاب في الشام من القرن الثالث.

أنشئت هذه الخزانة سنة (١٢٩٦هـ) بمساعي طاهر الجزائري وسليم البخاري ومعاونة غيرهما من العلماء وكان لمدحت باشا وحمدي باشا والي سورية يد في جمعها ، وأهم رجل من عمال الدولة عطف على هذا المشروع وساعده مساعدة فعلية بهاء بك مدير ديوان الرسائل في ولاية سورية. فجمع ما تفرق من الأسفار في الخزانة العامة التي أبقت عليها الأيام وبعد ممانعات شديدة ممن يرومون كتم العلم وإبقاء الناس في عماية جمعوا مقدارًا من الكتب جعلوها في شطر من مدرسة الملك الظاهر بيبرس قبالة العادلية الكبرى ونصبوا عليها قوامًا ووضعوا لها مثل شرائط المكاتب الكبرى فجاءت مؤلفة من(٢٤٥٣) كتابًا منوعة عدا الدشت والكراريس والأوراق المتفرقة . أخذت من عشر خزائن وهي:

١ ـ خزانة المدرة العمرية بالصالحية.

٢ ـ خزانة مدرسة عبد الله باشا العظيم.

٣ ـ خزانة سليمان باشا العظيم.

٤ ـ خزانة الملا عثمان الكردي.

٥ ـ خزاة مدرسة الخياطين وقفها أسعد باشا المعظم.

٦ ـ خزانة المرادية بمدرسة مرار المرادي.

٧ ـ مدرسة السميساية. =

فلما وصل بي البحث والدراسة إلى تاريخ ابن عساكر مررت عليه كله[١] والموجود منه في المكتبة الظاهرية سبعة عشر مجلداً، كل مجلد ضخم، مرّ بي هذا الأثر[٢] ، وإذا الإسناد إليه ظلمات بعضها فوق بعض.

فقلت: سبحان الله ، كيف هؤلاء الفقهاء بسبب إهمالهم لدراستهم للحديث ، يروون أثرًا، أولاً لوصح السند إليه فهو في علم الحديث معضل، فكيف والسند إليه كما قلنا ظلمات بعضها فوق بعض؛ فلذلك يسيئون من حيث يريدون الإحسان، ثم اطلعت على قصة دفن يحيى عليه السلام أو قبر يحيى عليه السلام المزعوم في مسجد بني أمية قرأت ذلك في تاريخ ابن عساكر أيضًا، المهم وصل بي البحث إلى أن الصلاة في مسجد بني أمية لا تجوز..

فأحببت أن آخذ رأي بعض المشايخ ، منهم أبي، ومنهم الشيخ البرهاني ، ففي يوم من الأيام بعد ما صليت عنده الظهر يمكن الله أعلم أسررت إليه بأن أنا تبين لي أن الصلاة في مسجد فيه قبر لا تصح.

قال الحويني: مستفسراً : أسررت للوالد؟

فقال الشيخ: لا للبرهاني، قال: اكتب الأشياء التي أنت حصّلتها ، فكتبت وقدمتها له يمكن في ثلاث صفحات أو أربع صفحات، كان الوقت فيما يغلب على ظني يومئذ في

= ٨ ـ خزانة الياغوشية كانت موضوعة في مدرسة سيساوش باشا بالشاغور.

٩ ـ خزانة الأوقاف.

١٠ ـ خزانة بيت الخطابة كانت بحجرة الخطابة بالجامع الأموي.

(ومن كتب أخرى) محمد كرد علي ـ خطط الشام وقد انتقلت جميع مخطوطاتها الأصلية الآن إلى مكتبة الأسد وبقيت فقط المصورات الميكروفيلمية والورقية في الظاهرية.

نقلاً عن «حياة الألباني..» للشيباني (١/ ٥١).

(١) وهذه همة عالية جدًا من الشيخ الألباني رحمه الله فقد طبع تاريخ ابن عساكر الآن في أربعة وسبعين مجلداً، ومعلوم أن مطالعة المخطوط أصعب بكثير جدًا من مطالعة المطبوع.

(٢) يعني: أثر فضيلة مسجد بني أمية.

شهر رمضان ، فلما قدمت له الورقات.

قال لي: إن شاء الله بعد العيد أعطيك الجواب.

بعد العيد قال لي: كل هذا الذي كتبته وجمعته لا قيمة له.

قلت له: ليش متعجبًا؟

قال: لأن هذه الكتب التي أنت نقلت منها كتب غير معتمدة عندنا.

المعتمد عندنا مراقي الفلاح، حاشية ابن عابدين وفقط.

أنا نقلت له من «مبارق الأزهار شرح مشارق الأنوار» لابن ملك وهو حنفي، نقلت له من «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» لملا علي القاري، وهو حنفي، ومع ذلك نصوص أخرى، فنبذها نبذ النواة .

وقال: هذه لا قيمة لها، على أنه هناك أحاديث كنت جمعتها له فلم يعبأ بها، ولم يرفع إليها رأسًا .

وقال: نحن مرجعنا في الدين هو كتب الفقه فقط ليس كتب الحديث، وعلى هذا النمط كان موقف والدي أيضًا، فكان ذلك نواة لتأليف كتابي « **تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد** » . . .

وأنا لا أريد أن يخالف فعلي قولي، فما دام تبينت لي أن الصلاة في المساجد المبنية على القبور لا تجوز، فإذن أنا لازم ما عاد أروح مع والدي إلى مسجد بني أمية وهكذا كان طبعًا هذا أزعجه وأغضبه، لكنه أسرها في نفسه.

مخالفة الشيخ الألباني لمشايخه في مسألة الجماعة الثانية في المسجد:

جاءت مسألة أخرى خالفت القوم فيها، وهي الجماعة الثانية في المسجد.

فالمسجد الذي كان أبي بجواره ، واسمه جامع التوبة كان يؤم فيه الشيخ البرهاني وبحكم الجوار، كان إذا غاب الشيخ سعيد وكَّل والدي بأن يصلي نيابة عنه، في هذا المسجد محرابان وإمامان ، إمام حنفي وهو البرهاني، وإمام شافعي كان يتغيب.

قال الحويني مستفسراً: جماعتان في وقت واحد؟

فأجاب الشيخ: لا، أردت أن أقول لك: في العهد العثماني كان يصلي الإمام الحنفي قبل الإمام الشافعي سواء في المسجد الأكبر ـ المسجد الأموي ـ أو في غيره من المساجد كمسجد التوبة هذا.

ثم لما تولّى رياسة الجمهورية السورية الشيخ تاج الدين الذي هو ابن الشيخ بدر الدين الحسيني المعروف بأنه كان محدثًا في عصره، فهو بالنظر إلى أنه كان شافعي المذهب، فأصدر أمره السامي بأن يصلي الإمام الشافعي قبل الإمام الحنفي، وهكذا نفذ كما هو طبيعة الأمر هذا الصادر من ولي الأمر كما يقولون، نفذ هذا الأمر في كل المساجد، ومنها مسجد التوبة، فكان الإمام الشافعي يصلي قبل البرهاني الحنفي.

فأنا لما تفقَّهتُ وعرفت أن الجماعة الثانية لا أصل لها في السنة، صرت أصلي وراء الإمام الشافعي، الإمام الأول وإذا تقوم قيامة والدي بسبب هذه المخالفة.

أولاً: لمذهبه.

وثانيًا: لفعله، فإنه يتأخر ليصلي مع الإمام الحنفي، البرهاني، لكن هو ماضي في سبيله، وأنا ماضي في سبيلي، ثم سافر الشيخ البرهاني في حج أو عمرة ما أذكر فأناب والدي بأن يصلي مكانه، فكنت لا أصلي خلفه؛ لأن ما في فرق عندي بين البرهاني وبين والدي؛ لأن كلاً منهما يتأخر عن الجماعة الأولى، فكنت أدع والدي يصلي الجماعة الثانية، وأصلي مع الإمام الأول أنا.

ثم جاءت فيما بعد ـ كما يقال ضغثًا على إبالة ـ واقتضى لوالدي أن يغيب عن البلد يومًا أو يومين، فطلب مني أن أصلي بديله، يعني الجماعة الثانية، فأبيت عليه.

وقلت له: أنت تعرف رأيي في الموضوع، وصعب جدًا أن أخالف رأيي.

توفرت عدة قضايا مما أثار حفيظة والدي عليَّ..

فذات يوم ونحن على طعام العشاء قال لي بلسان عربي مبين، بعد بيان منه عن الوضع الذي أعيشه أنا معه من حيث مخالفتي إياه.

قال : إما الموافقة وإما المفارقة.

فقلت له : أمهلني ثلاثة أيام حتى أفكر في الأمر.

قال: لك ذلك ، فجئت بالجواب، ما دام أنك خيرتني، فأنا أختار أن أعيش بعيدًا عنك حتى لا أزعجك بمخالفتي لمذهبك ، وكذلك كان، فخرجت من عنده ولا أملك درهمًا ولا دينارًا، وأذكر جيدًا أنه قدَّم إليَّ خمسًا وعشرين ليرة سورية فقط لما خرجت من البيت ،لكن أنا في هذه المدة كلها كنت أسست نواةً من الإخوان السلفيين ، وكان أحدهم له حانوت يبيع فيه حبوب القمح والشعير والفول ونحو ذلك ، وكان في نفس المكان الذي أنا استأجرت فيه دكانًا لي، فأقرضني مائتي ليرة سورية حتى استطعت أن أستأجر المحل، وكان عند والدي بعض الآلات القديمة التي لا يستعملها وليس بحاجة إليها فأعطاني إياها، فاستقللت في العمل، ومن فضل الله عليّ ، أنني كنت دقيقًا في مهنتي وناصحًا فيها، فكثرت الزبائن، وبيقولوا عندنا بالشام: وقال الكريم خذ ـ رب العالمين.

قال الحويني: كان لك يا شيخنا ثلاثًا وعشرين سنة مثلاً؟

فأجاب الشيخ بقوله: نعم كنت جاوزت العشرين ؛ لأن عندي كتاب الذي أعزو إليه أحيانًا باسم «الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير» فهذا كان عمري لما انتهيت منه يمكن واحد وعشرين اثنين وعشرين.

فالمقصود: هناك استقللت في عملي وفي فكري، وكنا نقيم دروس في الليل عند بعض الإخوان.

فيما بعد لما اتسعت دائرة الدعوة استأجرنا مقرًا ، فكنا نلقي فيه دروسًا في الحديث، وفقه الحديث ، ومصطلح الحديث، وهكذا.

زواج الشيخ الأول:

سأل أحد الحضور في الجلسة الشيخ عن معاونة أبيه له بعد ذلك في الأمور المادية ، ونحو ذلك؟

فأجاب الشيخ بالنفي، وقال: أنا تزوجت بسعي ،خطبت ، وأبي لم يتدخل ولا زارني ولا هنأني ولا بارك لي، إنما كان أحيانًا يأتي إلى الدكان ولا يدخل إلى الدكان، وإن كان قال كلمة لعلها كفارة لما بدر منه من المعادة المذهبية.

قال لي مرة: أنا لا أنكر أنني استفدت منك، وأنا ابنه وصغير، وهذا أنا أعرفه جيدًا منه أنه استفاد ؛لأنه كان يأتي للمساجد التي فيها قبور كعامة المشايخ فأنا كنت أقول له هذا يا والدي لا يجوز ، وهذا فيه كذا وفيه كذا إلى آخره ،ثم موضوع الحديث الصحيح والضعيف معه في هذا الوادي... فهو فعلاً استفاد لكن سنه ومركزه الاجتماعي بين الأرناؤوط ، ما كان يفسح له المجال أن يرضى بوضع ابنه الشاذ عند الجماهير، فهذا شيء من قصة ابتداء طلبي للعلم ، ثم استقلالي فيه.

والشاهد أن مجلة المنار هي التي فتحت لي الطريق للاشتغال بعلم الحديث .

قال الحويني: لكن أول مصنف فعلاً هو «الروض النضير»؟

فأجاب الشيخ: نعم، هذا كان أول مصنف ؛ لأن ما نسخته من المغني وعلقت عليه لا يسمى بأنه أول مصنف.

ثم سأل الحويني الشيخ عن طريقته في تصنيف «الروض النضير»؟

فأجاب الشيخ: طريقتي فيه أنني جمعت أحاديث كل صحابي تحت اسمه كالمسانيد، لكن زدت على المعروف من المسانيد أنني رتبت أحاديث كل صحابي على الحروف الهجائية، وهنا أخذ طابعًا جديدًا ، ثم بعد الانتهاء ضممت الأحاديث كلها بعضها إلى بعض وجعلت لها فهرسًا عامًا على الحروف ، هذا هو الترتيب.

قال الحويني للشيخ: بالنسبة للوالد ، هل ظل لآخر حياته معك على الجفاء؟

فأجاب الشيخ: قلت لك: كان يأتي إليَّ في دكاني ويسلم ولا يدخل الدكان.

قال الحويني: لكن يا شيخنا هذا ألا يُعَدُّ عقوقًا؟

فضحك الشيخ وقال: قد يتوهم ذلك بعض المتعصبة، بل يصرحون بذلك، لكن هذا

بلا شك لا يمكن لعالم في الدنيا أن يقول : إن إيثار اتباع السنة على خلاف مذهب الوالد، هذا يعتبر عقوقًا ؛ لأن العقوق عند العلماء هو مـخالفة الوالد، مخالفة أمره وعصيانه دون أن يكون هناك أولاً شيء من الاجتـهاد في مخالفـته ، دون أن يكون الاجتهـاد هو الباعث عليه اتباع الكتاب والسنة، فـما أظن رجلاً منصفًا يعتبر هذا عـقوقًا وإلا لكان إبراهيم عليه السلام عاقًا لأبيه.

طبعًا سيقال هنا: هناك كفر وتوحيد .

فأقول: نعم، لكن هنا أيضًا سنة وتقليد ، فلا يجوز...

كيفية جمع الشيخ الألباني بين مهنة تصليح الساعات وطلب العلم:

سأل الحويني الشيخ عن كيفية جمعه بين المهنة وتحصيل العلم؟

فأجاب الشيخ: هذا أمر الحمد لله من توفيقات الله عز وجل.

كما قلت: حين كنت عند والدي أغتنم فرصـة فراغ، وعدم وجود عمل عند والدي، كنت أنطلق إلى السوق، وإلى ذاك المصـري لأقلب ما عنده من كتب، فـيما بعد أصـبحت حرًا طليقًا لما استقللت في الدكـان، ويبدو أن ربنا عز وجل فطرني على القناعة ، وبخاصة حينما أسست لي دكانًا وأسست لي دارًا ، فتخلصت من أجرة الدار والدكان.

وقلت لك آنفًا: أني لما خرجت من والدي واستقللت بدكاني وعملي وقال الكريم خذ يعني الزبائن كثرت ، فوفرت ما به استطعت أن أشتري قطعة أرض ، خارج التمليك تكون رخيصـة ...، دار متواضعـة فتخلصت من أجرة السكـن، ثم وفرت شيئًا وأعـانني أيضًا بعضهم قرضًا حسنًا، فاشتريت قطعة أرض بقـية دار كان مرّ عليها الطريق فبقي مكان منها لدكان، وسكنت فيـها واستغنيت فمـا بقي عليَّ .. إلا مقدار ما أعـول نفسي وزوجتي ثم أولادي، لهذا بعد أن استـقللت هذا الاستقلال كنت أعمل في دكاني سـاعة ، ساعتين من الزمن إلى الساعة الثامنة أو التاسعة حينما تفتتح المكتبة الظاهرية أبوابها.

فأغلق الباب وأنطلـق إلى المكتبة الظاهرية، ثلاث ساعات علـى الأقل قبل الظهر، ثم

أصلي الظهر هناك جماعة مع بعض المترددين على المكتبة، فإذا أغلقت أبوابها ذهبت إلى دكاني، عملت فيها نصف الساعة ، ساعة من الزمن إلى أن يحضر وقت الغذاء ، فأذهب إلى الدار، وكنت اشتريت دراجة عادية فأركبها وللتاريخ أقول: لأول مرة رأى الدمشقيون شيخًا بعمامة بيضاء مكورة يركب دراجة عادية..

وكنت يومئذ متعممًا بناءً على الأفكار المذهبية السابقة، وبعض الأحاديث الضعيفة، بل الموضوعة: «**صلاة بعمامة تفضل سبعين صلاة بغير عمامة**».

وكنت ألبس أيضًا جبة.. لكن مع الزمن عرفت أن هذه التقاليد ما أنزل الله بها من سلطان، فطاحت الجبة وطاحت العمامة[1] وأخذت ألبس ما يلبس الناس.

المقصود: كنت أقنع من العمل بالشيء القليل وأوفر سائر وقتي للمكتبة الظاهرية ، ثم في فترة من فترات العمل في الدكان كان تعرف عليَّ رجل فلسطيني من المهاجرين إلى دمشق، فعرض عليَّ أن يضع ابنًا له ليتعلم المهنة..

فهذا كان أيضًا يعينني .. فتوفر أيضًا بواسطته شيء من الوقت ، فبهذه الصورة كنت وفرت وقتًا طويلاً لدراسة العلم ودراسة المكتبة الظاهرية.

وكذلك كان مما يسر الله لي بعض المكاتب الخاصة التي تبيع الكتب للناس، فكانت تعيرني ما ليس عندي.. فكنت آخذ الكتاب والكتابين والأكثر من ذلك من المكاتب الخاصة. وأدعها عندي في الدكان حتى إذا لم يبق عند المعير نسخة أخرى وجاء شخص يريد أن يشتري التي عندي يرسل لي خبر فأرسل إليه النسخة، وقد تبقى النسخة عندي سنين لأ أحد يطلبها، خاصة علم الحديث كما تعلم كان أمرًا مهجورًا.. فمكتبة الظاهرية ، ومكتبة القصيباتي ، ومكتبة العربية الهاشمية كانوا أيضًا من الأسباب التي سخرها الله لي حتى انتفعت بكتبهم كما لو كانت من ممتلكاتي.

---

(١) يقصد الشيخ ـ رحمه الله ـ أن لبس العمامة من سنن العادات وليس من سنن العبادات ، وأنه لم يصح فيها دليل علي أنها من سنن العبادات.

قصة الورقة الضائعة:

سأل الحويني الشيخ عن قصة الورقة الضائعة ؟

فقال الشيخ: الحقيقة أنني كنت أصبت بمرض في عيني ، كنت إذا نظرت إلى الجدار الأبيض فأرى خيال شيء في عينى كالذبابة يتحرك ، ولما عرضت نفسي على الطبيب قال: هذا يسمى عندهم بالذبابة الطائرة ، وهذا عبارة عن عرق دقيق متفسخ وخرج منه قطرة دقيقة جدًا من الدم فنزل على العين فهي التي تراها تذهب وتجيء.

سألني الطبيب : ما عملك؟ قلت له: ساعاتي .

قال : جاءك هذا من التعب ، فبينت له واقعي أنني ساعاتي ومطالع كثيرًا، فطلب مني الراحة مقدار ستة أشهر. . فرجعت إلى دكاني وبدأت أجلس في الدكان لا أعمل شيئاً لا في المهنة ولا في القراءة والمطالعة مضى عليّ نحو أسبوع أو أسوعين ، بدأ الملل يتسرب إليَّ ، فأخذت أمني نفسي وأعللها بشتى التعليلات ، وخطر في بالي أن في المكتبة الظاهرية مجموع لرسائل عديدة إحداها في ذم الملاهي لابن أبي الدنيا فخططت في ذهني أن أكلف هناك النساخ أن ينسخ هذه الرسالة ، وإلى أن ينتهي من النسخ أكون أنا ربما استجمعت واسترجعت شيء من راحتي وسلامة عيني.

وذهبت إلى المكتبة الظاهرية وكلفت صاحبنا هذا بأن ينسخ الرسالة ، وبدأ فعلاً ، لَمَّا وصل إلى منتصفها جاء إلي ليقول إن الرسالة فيها خرم ، فيها نقص فذهبت إلى هناك إلى المكتبة ، اطعلت على الرسالة فعلاً فيها نقص ، قلت له امض في سبيلك ويخلق الله ما لا تعلمون.

انتهى الرجل من نسخ الرسالة وكان كما يقولون :عقلي الباطن يشتغل ليلاً نهارًا في البحث أين ذهب هذا النقص فافترضت أن هذه الرسائل لما جمعت في هذا المجلد كغيره من المجلدات ربما سقط من المجلد لهذا المجلد الورقة أو الورقتان المفقودتان، فخيطها في مجموع آخر، فإذن لا سبيل إلا بالبحث في المجاميع الموجودة في المكتبة الظاهرية، وكتب المكتبة الظاهرية المخطوطة هي مرتبة على العلوم كما هو النظام العام. . إلا أن هناك نحو مائة وخمسين مجلدًا تسمى بالمجاميع ، وهو اسم على مسمى؛ لأن كل مجلد يجمع عديدًا

من الرسائل مختلفة النظام والترتيب والمواضيع ؛ ولذلك وضعوها تحت عنوان «المجاميع».

فقلت في خاطري أن أبدًا بهذه المجاميع ، فبدأت ، ثم مما يسر البحث أن هذه المجاميع كما أنها مختلفة المواضيع والمؤلفين فيه مختلفة نوعية الورق أيضًا ، فتجد شيء طويل وشيء قصير ، وشيء أبيض وشيء رمادي وشيء أزرق أحيانًا ، وهكذا. . .

هذا كله كان يسهل لي طريقة البحث ،فبدأت بالمجلد الأول ثانى ثالث ما أذكر بالضبط،وإذا بى أعثر على عنوان رسالة ـ والله هذه رسالة مهمة ـ لكن أجد الجزء الثاني، لو كان الجزء الأول كان كمُلَ الأمر، وكنت أسجله عندي إلى يوم ما ننسخه ونستفيد منه، فلما أجد الجزء الثاني أو الثالث أعرض عنه ومضيت ، بعد عديد من المجلدات وإذا بي أعثر على المجلد الأول لرسالة من تلك الرسالات ، فأتحسر وأندم وأقول: ليتني كتبت عنوان ورقم الجزء الثاني وهذا الجزء الأول.

إذن أخذت عبرة، فبدأت أسجل أي شيء يعجبني ولو كان ناقصًا.

وتلاحظ هنا بأنني كنت في شيء صرت فى شيء آخر ، كنت أبحث عن الورقة الضائعة وإذا أنا الآن أسجل العناوين التي هي كنوز تعتبر، ولو كانت غير تامة.

المهم: انتهيت من مائة وخمسين مجلداً وما حصلت على الورقة الضائعة، لكني خرجت بربح كبير جدًا من الناحية العلمية.

فقلت في نفسي: لابد من أن تتم مسيرتك هذه ، وذلك بالبحث عن الورقة في مجلدات الحديث.

ومجلدات الحديث عندنا في المكتبة الظاهرية أكثر من خمسمائة مجلد، فبدأت أبحث وهنا البحث عن الورقة الضائعة، أسهل بكثير ؛لأن المجاميع تبقى صغيرة الحجم من حيث الطول والقصر، أما موضوع علم الحديث ففي أكثرها كبيرة ، والورقة الضائعة قصيرة لكن أنا دخلت في بحث آخر وهو التحصيل على مثل هذه المواضيع من الكتب النفيسة.

فبدأت آخذ عناوين ، ولو كان الكتاب مجلد كبير ، وأسجل عندي في مسودات ، وانتهيت من خمسمائة مجلد دون أن أعثر على الورقة الضائعة.

وكما يقولون عندنا في الشام: «بلا طول سيرة» يعني باختصار أتيت على كل المخطوطات الموجودة في المكتبة الظاهرية ، وأنا طامع إنه لعله في العلم الفلاني، لعله؛ لأنه قضية خطأ من المجلد ، فأتيت على كتب السيرة وكتب التاريخ وكتب الأدب، وكتب التصوف يعني كل العلوم التي فيها كتب مخطوطة.

ويسير الله عز وجل لي هذا البحث بحيث لا يتيسر إلا لموظف رسمي مكلف ، وصل التيسير إلى درجة أنني كنت أضع سلم على الخزائن؛ لأن هناك رفوف عالية لا تطولها اليد، فأقف على السلم . الرف مثلاً طوله متر، أبدأ من هنا أسحب ، أنتهي من هناك ، وأنا على السلم، إذا وجدت شيئًا نفيسًا نزلت وسجلته ، ثم تابعت مسيرتي، وهكذا مررت على المكتبة كلها وما عثرت على الورقة الضائعة، لكني شاعر بأني أنا الرابح، سار عندي مئات الأسماء والعنواين من الكتب النفيسة.

في الأخير أعلم أن عندهم شيء يسمى بالدشت ، وهي عبارة عن أوراق مكدسة في خزائن ما أحد يتردد عليها ، أو يمدُّ يده إليها.

فسألت الموظف المختص وكان ممن يسره الله لخدمتي العلمية، فكان يتجاوب معي.

قلت له: يا أبا مهدي أين يوجد الدشت ، فأطلعني على خزانتين أو ثلاثة.

الثمرة النافعة من البحث عن الورقة الضائعة:

فأخذت أبحث في هذه الورقات الفلتانة، فما وجدت شيئًا ، لكن وجدت أيضًا نفائس منها: عندنا في المكتبة الظاهرية نسختان من مسند الشهاب للقضاعي ، وكلتاهما ناقصتان، إحداهما شرقية، والأخرى مغربية ، والمغربية خطها مغربي جميل جدًا، ومعتنى بها من بعض الحفاظ، أهل الحديث ، ومكتوب بجانب كثير ، إن لم أقل كل الأحاديث ضعيف ، موضوع، إلى آخره، لكن ينقص منها الكراس الأول، والنسخة الأخرى الشرقية ما لنا ولها الآن، وإذا بي أفاجأ بهذا الدشت وجدت الكراس الناقص من النسخة المغربية، وبذلك تمت النسخة النفيسة فأخذتها فرحًا مسرورًا ، وانطلقت إلى المدير المسئول عن المخطوطات .

قلت له: هذا الكراس من الدشت وهذا هو الكتاب الموضوع عندكم في الفهرس أنه

مجهول الهوية، لا يعرف من المؤلف ، ولا يعرف ما هو الكتاب.

قلت له: هذا هو الكتاب، وهذا هو المؤلف ولم يهتم في ذلك؛ لأنه كما يقولون عندنا بالشام: كلٌ يغني على ليلاه، وأنا بيهمني هذا البحث وهو لا يهمه.

ثم دارت السنين والأيام، وإذا بأخينا عبد المجيد السلفي يقوم بطباعة تحقيق هذا الكتاب من هذه النسخة.

والشيء بالشيء يذكر لتعرف طبائع الناس، طبع الكتاب مسند الشهاب للقضاعي، في المكتب الذي يعمل فيه شعيب [الأرناؤوطي] موسسة الرسالة، فأنا كنت كتبت للتاريخ على هذا الكراس: استخرجه من الدشت «ناصر» كلمة ناصر فقط، فهو ماذا فعل ، وضع ورقة وغطى هذه الحقيقة، والآن تجد صورة للعنوان الرئيسي لهذا الكتاب في نسخة مسند الشهاب التي حققها أخونا حمدي ومطموس على هذه الحقيقة العلمية، ما الذي يدفعه إلى ذلك؟ الجواب تعرفه.

كيفية تصنيف الشيخ لفهرس المكتبة الظاهرية:

الشاهد هذا من النفائس التي تحصلت عليها بهذا البحث، وأخيرًا يئست من الحصول على الورقة الضائعة ، لكن ما ندمت أبدًا ؛لأن المكسب كان أكثر مما أتصور.

المهم: رجعت فيما بعد إلى الأسماء التي كنت سجلتها لهذه المؤلفات والمؤلفين فكتبتها من جديد على بطاقات، ورتبت البطاقات على أسماء المؤلفين كل مؤلف وما له.

ثم بعد أن انتهيت من ترتيب هذه القصاصات على أسماء المؤلفين رتبت المؤلفات على الترتيب الهجائي ، وكان من ذلك فهرس المنتخبات من مخطوطات المكتبة الظاهرية.

ثم جاءت المرحلة الأخيرة وهي الثمرة المباركة من ذاك الجهد الأول، فبدأت أقرأ هذه المخطوطات ، وأستخرج منها الفوائد الحديثية بأسانيدها ، وعندي الآن وهي التي تساعدني على تغذية مشاريعي العلمية نحو أربعين مجلدًا فيها الأحاديث التي استخرجتها من هذه المخطوطات بأسانيدها ، وترتيبها لتسهيل المراجعة على الحروف الهجائية.

فهذا مختصر عن قصة الورقة الضائعة . . .

تخصيص حجرة في المكتبة الظاهرية للشيخ الإمام:

قال الحويني : من الأمور التي قرأتها في بعض الكتب لكم أن لكم حجرة مخصصة في المكتبة الظاهرية ، فكيف توصلتم إلى هذه المرتبة، مع أن هذه المسألة قد تكون صعبة في البلاد الإسلامية؟

فأجاب الشيخ الإمام بقوله: لا أذكر الآن جيدًا هو إما أن يكون بسبب شعور المسؤولين في المكتبة الظاهرية أنى أنا رجل هاوي للعلم فكنت أجلس في القاعة العامة، فأقول يا أبا مهدي: أعطني ـ طبعًا بوصل ـ الكتاب الفلاني المخطوط يعني، فلا أكاد أنتهي منه إلا أطلب كتاب ثاني وثالث ورابع . . .

فأحيانًا كان يجتمع عندي كوم من المخطوطات على الطاولة ، والطاولة وضعت لأربعة أشخاص أثنان في جهة واثنان في الجهة الأخرى.

فبحكم هذا الواقع كان لا يستطيع أحد من الطلاب أن يأتي ليشاركني في الجلوس على هذه الطاولة.

بلا شك هذا يوجد شيء من الاعتراض من الطلبة . . . خاصة في أوقات الامتحان.

فكأن المسؤولين هناك وجدوا حلاً للمشكلة، عندهم غرفة مظلمة لا تصلح لتكديس الحطب فيها، فعرضوا عليَّ ذلك. . وجعلوني في هذه الغرفة ، ووضعوا لي ما أحتاج من الكتب كمراجع حتى ما أتعب الموظفين هناك، هات الكتاب الفلاني، وخذ الكتاب الفلاني، حتى بعض المخطوطات تركوها عندي.

هذا هو الاحتمال الأول، وهو الأغلب في ظني؛ لأنه بَعُدَ العهد عني.

الاحتمال الثاني: أن كلية الشريعة في الجامعة السورية، عقدوا عدة اجتماعات عديدة وقرروا أن يضعوا نواة لموسوعة الحديث، ومع الأسف أقول: لا يجدون من دكاترتهم من يقوم بهذا الأمر، فأرسلوا لي للتداول في الموضوع. فألتقيت معهم في الجامعة ، فعرضوا عليَّ الفكرة وطلبوا مني أن أعمل في منهج وضعوه هم، وبعد المداولة في الموضوع اتفقت معهم على أن أعمل لهم في كل يوم أربع ساعات وبقية الساعات لعملي الخاص، وبشرط

أن يسمح لي في المكتبة الظاهرية بالدخول في أي وقت إن شئت من ليل أو نهار.

فقلت لهم: إذا كان المسؤولون عن المكتبة يسمحون بذلك. فأنا أعطيكم كل يوم أربع ساعات.

قالوا: نحن نتكلم مع المدير المسؤول هناك...

جاء أظن يومئذ لا أذكر مصطفى السباعي أو محمد المبارك وصعد إلى المدير المسؤول وتحدثوا في الموضوع ثم أرسلوا لي وقالوا: نحن اتفقنا مع المدير على أن يأمر الحارس أن كل ما تأتي أنت يفتح لك الباب..

وهكذا وفرت أربع ساعات لهم، فكنت أعمل في مشروع موسوعة أحاديث البيوع..

الشاهد: الآن أن الحقيقة لا أستطيع أن أقطع، هل بهذه المناسبة فرّغوا لي هذه الغرفة، أم من قبل ذلك، وهذا الذي يترجح عندي إنما أعطوني هذا الإذن الخاص في الدخول متى شئت من ليل أو نهار فهذه قصة الغرفة التي تفردت بها دون جميع المطالعين هناك.

الكتب التي كان يُدرِّسُها الشيخ لطلبة العلم في بداية الدعوة:

قال الحويني: ذكرتم قبل ذلك أنكم استأجرتم داراً في دمشق لإعطاء الدروس فيها، فما هو المنهج الذي اتبعتموه آنذاك هل تقرؤون كتاباً، أم هي دروس عامة بالنسبة للطلبة؟

فأجاب الشيخ الإمام: أذكر أنني أول شيء درّست للإخوان منه هو كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيم الجوزية فكنت أقرأ عليهم المقطع من كتاب الزاد ثم أعلق عليه بما عندي من علم سابق أو من تعليقات استحضرتها قبل أن أحضر للدرس، وكان الدرس يومئذ ما بين ثلاثة أرباع الساعة، والساعة الكاملة، ثم بعد ذلك نصف ساعة للإجابة على الأسئلة.

وبعد أن انتهيت من الجزء الأول من زاد المعاد أظن ـ والله أعلم ـ إن لم أكن نسيت، طلبوا مني أن أدرس لهم كتاب «الروضة الندية شرح الدرر البهية»؛ لأن الحقيقة كتاب زاد المعاد، كتاب علمي ما يتحمله كل الطلبة، بينما الروضة الندية مكثفة مواده، وفعلاً درست

لهم هذا الكتاب من أوله إلى آخره .

وفيما بعد ـ أظن ـ جاء دور «الترغيب والترهيب» ومن كل هذه الدراسات كان هناك مجهود علمي ، الأصل فيه هو التحضير ، وكان من آثار ذلك «التعليقات الجياد على زاد المعاد» الجزء الأول ، والتعليقات الموجودة على هامش الروضة الندية، و«التعليق الرغيب على الترغيب والترهيب» ؛لأنه كانت طبيعتي أن لا ألقي عليهم حديثًا إلا بعد أن أتثبت من صحته والتأكد مما يراد من فقه أو معنى ،هكذا كان إلقائى للدرس هناك . . .

سأل أحد الحضور في الجلسة الشيخ بقوله:

يا شيخ، من خلال ترددكم على المكتبة الظاهرية من تعرفون من طلبة العلم كانوا آنذاك مجدين معاصرين لكم ؟

فأجاب الشيخ: أنا مع الأسف ما كنت أرى أحدًا يتردد على المكتبة الظاهرية ، لا من الطلبة ، ولا من المشايخ ، ولا من الدكاترة ، لكن موجود هناك الشيخ عبد القادر الأرناؤوط فهو لا بأس فيه . .

قال الحويني للشيخ: بالنسبة لكتاب « اقتضاء الصراط المستقيم » هل درستموه؟

فأجاب الشيخ: درَّست منه، وليس كله .

علاقة الشيخ الألباني بالشيخ محمد بهجت البيطار:

سأل الحويني الشيخ الإمام عن الشيخ محمد بهجت البيطار ، هل من طبقتكم أم من الطبقة السابقة لكم؟

فأجاب الشيخ: هو من الطبقة السابقة.

فسأل الحويني: هل تلقيت عليه شيئًا من العلم؟

فأجاب الشيخ بقوله: لا، لكن كان هناك حلقة أدبية . . وكان يحضرها كبار الأدباء المعروفين يومئذ في دمشق ومن أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق منهم مثلاً: الأستاذ عز الدين التنوخي رحمه الله، وغيرهم مثل مصطفى الشهاب،كانوا يجتمعون ،ويتدارسون

كتاب« الحماسة» لأبي تمام ، والمختص منهم كالتنوخي كان يتولى التعليق والشرح والبيان ، فكنت أنا وأخ لي توفي إلى رحمة الله ، اسمه منير أبو عبد الله ، كنا نحضر هذه الجلسة تباعًا من أجل تقوية اللغة العربية، والتأدب بشيء من آدابها ، وهذه الحلقة كان من أعضائها الشيخ بهجت البيطار ، لكن أنا ما تلقيت عليه شيئًا من العلم. . .

سأل الحويني الشيخ بقوله: هل التقيتم بالكوثري؟

فأجاب الشيخ: لا، فأنا لا أعرفه إلا من آثاره.

فقال الحويني: هو كان معاصراً لكم؟!

فقال الشيخ: نعم، ولكن هو كان في مصر، وأنا في دمشق ، وأنا ذهبت إلى مصر وهو حي. .

كيف تم اختيار الشيخ للتدريس في الجامعة الإسلامية؟

قال الحويني : كيف تم اختياركم للتدريس في الجامعة الإسلامية ؛ لأن المعهود أن الدراسة الأكاديمية تحتاج إلى دكتوراه ونحو ذلك؟

فأجاب الشيخ الإمام: هذه أول مرة أسأل هذا السؤال، والذي يحضري الآن للجواب، إلى أمرين اثنين:

الأمر الأول: أن الجامعة كانت حديثة عهد بالتدريس الجامعي، وخاصة في البلاد السعودية. . . هذا السبب الأول.

السبب الثاني: هو شهرة بعض المؤلفات ورضاء الجماعة هناك عنها، وفيما يبدو تقديرهم لها حق قدرها، هو الذي دفعهم إلى أن يرسلوا إليَّ وأنا ما طلبت ولم أطلب وعشت هكذا، والحمد لله ، لا أطلب مهنةً ما، فأنا منذ نعومة أظفاري كنت أكسب قوت يومي من كد يميني وعرق جبيني ،وأنا في هذا الوقت جاءني طلب من الشيخ محمد بن إبراهيم، حيث كان هو مفتي المملكة ، وكان رئيس الجامعة ، يطلب مني الموافقة على تدريس مادة الحديث في الجامعة الإسلامية التي ستفتح أبوابها.

فأنا تشاورت مع إخـواننا هناك، الذي أثق في فهمهم وعلمهم ، فـقال لي أحدهم: . جرب سنة فإن آنست من تدريسك خيرًا ظللت على الدراسة معهم ما كتب لك. .

والحقـيقة أنني عندمـا ذهبت إلى هناك وجدت مناخًـا رائعًا جدًا لديه اسـتعداد لتـقبل الدعوة أولاً، والمنهج العلمي الذي أنا فطرت عليه وظللت عليه ثانيًا.

كيف كان يتعامل الشيخ مع تلامذته في الجامعة؟

وقصتي في الجامعة فى ظني نادرة الوقوع من أستاذ مادة تدرس في الجامعة، فقد كنت مع الطلاب كأني واحد منهم، وهناك صور تقرب لهم هذه الحقيقة:

مثلاً: إذا انتهيت من حصتي من تدريس وجاءت الفسحة، كعادة الأساتذة ينطلقون من درسهم إلى غـرفة الاستراحـة وهناك يجلسون مدة الفسـحة. . . يشربون الشاي أو الـقهوة ويتحدثون شتى الأحاديث.

أمـا أنا فكنت أعرض عـن ذلك كله، وأخرج من الدرس إلى الـساحـة وأجلس على الأرض الرملية، ويجتمع الطلاب الذين كنت أدرس لهم قبيل دقائق ، ويجتمع الطلاب من كل السنوات ؛ لأن الحلقة في العراء.

وألقي عليـهم بعض التوجـيهات ، وبعـض النصائح وأجيـبهم عن بعض الأسـئلة ، وهكذا قضيت كل السنوات التي درستها في الجامعة .

وأذكر جيدًا أن من يسمى في مصطلح الجامعات بالمعيد ، أنه مرّ على ذات يوم، قال: السلام عليكم، قلت: عليكم السلام.

قال: تدري يا شيخ أن الدرس الحقـيقي هو هذا. . . لأن الطلاب في هذه الحلقة كانوا على حريتهم. . أمـا في الدرس النظامي ـ صحيح أنني كت معهم واسـعًا أيضًا ـ لكن مع ذلك لابد من حدود وقيود.

هذه صورة تفرد بها الألباني من بين كل الأساتذة هناك في الجامعة.

وكان هناك آثار أخرى طيبة، مثلاً: الألباني إذا دخل الجامعة قبل الدرس بدقائق تحلقوا حول السيـارة ، حتى ضاعت السيـارة بينهم لا تُرى ، وكل واحد يسابق أخاه لـكي يتوجه

بسؤال إليَّ، وإذا خرجت تسابقوا أيضًا ليركبوا معي حتى ينتهزوها فرصة.

وهكذا كان دأبي في الذهاب والإياب، ولا أمنع أحدًا من الركوب في سيارتي، فكانت دائمًا مشغولة بالطلاب ذهابًا وإيابًا.

وهذا الوضع أوجد في نفوس الطلاب تعلقهم بالألبانى حبًا عجيبًا جدًا، زد على ذلك أنه جاءهم بعلمٍ ما سمعوا به من قبل:

أستاذ التفسير ، الفقه ، الأصول ، يروون لهم أحاديث تناسب دروسهم ، فصار الأساتذة أنفسهم يسمعون لغة جديدة: يا أستاذ هذا الحديث من رواه؟ وهل إسناده صحيح؟

وأذكر أيضًا جيدًا حادثة وقعت ، أستاذ الأصول ـ يعني أصول الفقه ـ جاء بحديث معاذ بن جبل «**يا معاذ بم تحكم...**» جاء لهم بهذا الحديث محتجًا على القياس، كان في الدرس أخونا عبد الرحمن عبد الخالق، كان في السنة الثالثة ـ فقال له يا أستاذ هذا الحديث صحيح؟

قال الأستاذ : نعم.

قال له: سمعنا الشيخ الألباني يقول: هذا حديث منكر لا أدري ماذا كان جواب الأستاذ، ولكنه كان غير راضٍ عن كلام هذا الطالب، بعد أيام جاءني الشيخ المدرس لمادة الأصول إلى داري، فقال لي: بلغني أنك تقول عن هذا الحديث إنه منكر.

فقلت له: نعم .

قال: هل كتبت شيئًا عن هذا الحديث؟

قلت له: نعم في « سلسلة الأحاديث الضعيفة » وهو في المجلد الثاني ولم يكن قد طبع يومئذ.

قال: ممكن أطلع عليه فأطلعته على ما كتبت، وأنا قد أوردت كل طرقه وبينت عللها، الواهية، وإذا به في درس آخر يؤكد لهم أن الحديث صحيح، والشيخ الألباني نفسه أتى لهذا الحديث بطرق تقويه، بينما هي لا تزيده إلا وهنًا على وهن.

يعني مثل هذه الصورة ، وهذه الظاهرة الغريبة جدًا في الجامعة وتكتل الطلاب حولي

أثار حفيظة الأساتذة فكتبوا إلى المفتي ـ والله أعلم ـ مباشرة أو إلى الملك ، وصوروا لهم بأنه يشكل حزب ويخشى أن يعمل شيء، وانتهت السنة الثالثة ، فرجعت إلى دمشق لقضاء العطلة الصيفية، كان يومئذ الشيخ ابن باز، جزاه الله خيرًا هو نائب الرئيس وإذا به يكتب إلى قبل أسبوع أو أسبوعين من رجوعي إلى المدينة ، وأذكر جيدًا أن بعض أولادي، وهو عبد اللطيف ، كان عليه إكمال في درس من الدروس، فأرسلته أمامي حتى يقدم الامتحان وإذا به يفاجأ بخطاب من الشيخ ابن باز بأنه جاءه خطاب من قِبَل المفتي بأنه ما في داعي هذه السنة لتجديد العقد مع الشيخ الألباني ؛ولذلك انتهت علاقتي بالجامعة ، وكتب لي كلمة طيبة ـجزاه الله خيرًا .

يقول: ومثلك في أي صورة كان فهو يقوم بواجبه.

وخلاصة الجواب: أنني طلبت للتدريس ؛يظهر لأنهم ما كانوا ملتزمين بالقوانين الجامعية ؛ ولأنهم بحاجة إلى شخص يثقون بعلمه وبعقيدته في آن واحد ، فهذا وذاك هو الذي حملهم على أن ينتدبوني إلى التدريس. . .

هجرة الشيخ الإمام من الشام إلى عمان، ثم الشام ثم إلى بيروت ، ثم إلى الإمارات ثم إلى عمان:

قال الحويني للشيخ الإمام: ذكرتم في بعض كتبكم على وجه الإجمال دخولكم لعمان ثم رجوعكم لسوريا مرة أخرى تحت ظروف قاهرة. فنريد معرفة هذا الأمر.

فقال الشيخ الإمام[1] : أنا كت سكنت هنا في دار متواضعة صغيرة ، كما كنت أفتش على أرض أبني عليها دارًا، فوقع اختياري على هذه الأرض وبدأت بالبناء ، وكان إخواننا حريصين جدًا على أن أعطيهم درسًا، كما كنت من قبل استيطاني هنا، كنت آتي كل شهر شهرين ثلاثة حسب ظروفي ، فألقي بعض الدروس في دار الشيخ أحمد عطية، وكنا نتردد أيضًا على الزرقاء نلقي هناك بعض الدروس. . هكذا كانت عادتي قبل

---

(١) يلاحظ جواب الشيخ رحمه الله أنه لم يذكر سبب هجرته تلك وقد سأله الحويني عن سبب هجرته من سوريا كما سيأتي.

استيطاني ، ولَمَّا استوطنت شغلت ببناء الدار . . وبنينا وسكنَّا ، والحمد لله وكنا نعقد الدرس على سطح دار الشيخ أحمد هنا غير الدار السابقة التي كنت ألقي فيها الدروس ، فامتلأ السطح على سعته، وكان درس في «رياض الصالحين» نحو ثلاث أرباع ساعة، ثم بعد ذلك أسئلة وأجوبة ما جاء الدرس الثالث، إلا جاءت مخابرات هنا ورائي ، وقد صليت الظهر في مسجد النور أنا وأخي أكبر مني اسمه محمد ناجي أبو أحمد وكان أيضًا يومئذ معي ابني عبد المصور . . وأنا صاعد وخلفي أخي ثم ابني، وإذا واحد يقول لأخي: أنت فلان، فالتفت أنا وقلت له: أنا فلان، قال: نريدك بعض الوقت.

فأخذوني إلى المخابرات ، وهناك طلبوا مني هويتي وسألوني عن عملي، إلى آخره، ثم دخل موظف يبدو أنه كبير ، وقال لي: يا شيخ ، أنت غير مرغوب في إقامتك هنا في هذا البلد .

قلت له: لماذا فأنا مقيم هنا منذ سنة ، وليس هذا فقط ، بل اشتريت أرضًا بإذن الدولة . . . وليس هذا فقط بل وبنيت عليها دارًا بإذن الدولة ، وليس هذا فقط، بل وتزوجت من نسائها.

ثم تشاور الموظف الكبير مع الآخر ثم خرج . .

ثم نقلوني أيضاً إلى غرفة واستجوبوني أيضًا ، ثم أنزلوني مع جندي إلى أسفل وأركبوني سيارة عسكرية ، وجعلوا يطوفون بي من مكان إلى مكان ، حتى أوصلوني إلى مكان فيه جمع أكثرهم يُستدل من وجوههم أنهم أراذل الناس، يعني مجرمين، ومعهم أمتعتهم ، وبالقرب منهم سيارة جيش ، فعلمت أن هؤلاء مرحلون، وفي مركز من المراكز التي نقلوني إليها أخبرني أحدهم .

قال : أنت الآن يراد نفيك إلى سورية . .

ثما جاء شاويش وقال: هيا يا شباب اركبوا ، وكنت أنا آخر واحد ، فاستعصيت وقلت للشاويش : أنا ما أريد الذهاب إلى سورية ـ علمًا بأن خروجي من سورية كان طبيعي أيضًا، وهذه نقطة يجهلها كثير من الناس ؛ لأن بعد خروجي أنا بأشهر وقعت الثورة السورية ـ ولكن بعد ما أقمت هنا ما استحسنت الرجوع إلى سورية . . . فالشاويش كذب

عليَّ وقال : لن نأخذك إلى سورية ، بل نأخذك إلى إربل . . ثم أوصلونا بالسيارة حتى الحدود الأردنية السورية ، وهناك استلمني ضابط أردني . . . ثم سمح لي بالذهاب إلى الحدود السورية . . وفي سورية استجوبوني، فذكرت لهم القصة ، فأعطوني ورقة وفيها ملاحظة تقول: يجب مراجعة المخابرات السورية في مدة ثلاثة أيام . . وعندما ذهبت إلى دار أخي هناك وبقيت هناك ليلتين وأنا أتشاور مع إخواننا، هل أذهب إلى المخابرات السورية، أم أخرج من سورية؟ فاتفقت الآراء على عدم الذهاب إلى المخابرات.

وقالوا: لأنك لا تدري ما يفعل بك ، وعلى هذا قررت وسافرت إلى لبنان . وبقيت في لبنان مدة ستة أشهر تقريبًا . . ثم جاء أحد إخواننا من الإمارات ، وجاءني برخصة دخول إليها ، وقضيت فيها شهورًا، ثم سعى أحد إخواننا هنا مثل أبو مالك [محمد إبراهيم شقرة] وغيره، واتصلوا بالمسؤولين حتى أوصلوا الأمر إلى الملك أن الشيخ ليس رجل ثوري، ولا رجل سياسي ، وإنما هو رجل علم، وقدموا لرئيس الوزراء يومئذ صندوقين من الكتب ، وقالوا له هذا هو الشيخ . . فسمح المسؤولون لي بالدخول، وهكذا كان الأمر، هذه قصة ما سألت عنه . . .

سأل الحويني الشيخ عن سبب خروجه من سورية وكيف تم؟

فإجاب الشيخ بقوله: الخروج من سورية كان طبيعيًا تخطيط للمستقبل، يعني أنا خططت في نفسي . . قلت: ما بقي من عمري لازم أنزوي عن الناس، وأكرس ما بقي من عمري لإتمام مشاريعي، أو بعض مشاريعي على الأقل ؛ لأنك تعرف أن هناك بالشام كان عندي انطلاق واسع ، من دمشق إلى حمص إلى حماة إلى حلب إلى إدلب إلى اللاذقية . . . فأنا ما أردت أن أنشغل بالناس عن إتمام مشاريعي العلمية، فقلت : أنا أذهب إلى بلد لست مشهورًا فيها، لكن الحقيقة انعكست معي تمامًا، وهذا كما يقال في بعض الإسرائيليات : عبدي تريد ، وأريد ، ولا يكون إلا ما أريد ، وهذا حق بلا شك . . . فأنا جئت لهذه الغاية لأسكن هنا بعيدًا عن المراجعات ، والأسئلة إلى آخره، وأتفرغ للعلم ، فخروجي كان طبيعيًا تمامًا [1].

---

(١) قال الشيباني في كتاب «حياة الألباني . . .» (ص ٧٧ ـ ٨٠) =

. . . . . .

= يقول الشيخ واصفًا هجرته من الشام عندما خرج منها إلى عمان:

«أما بعد : فإن الله تبارك وتعالى قد جعل بحكمته لكل شيء سببًا، ولكل أمر سمي أجلاً، وقدر كل شيء تقديرًا حسنًا، وكان من ذلك أنني هاجرت بنفسي وأهلي من دمشق إلى عمان في أول شهر رمضان سة ١٤٠٠ هـ فبادرت إلى بناء دار لي فيها آوي إليها ما دمت حيًا، فيسر الله لي ذلك بمنه وفضله وسكنتها بعد كثير من التعب والمرض أصابني من جراء ما بذلت من جهد في البناء والتأسيس، ولا زلت أشكو منه شيئًا قليلاً، والحمد لله على كل حال، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ولقد كان أمرًا طبيعيًا أن يصرفني ذلك عما كنت اعتدته في دمشق من الانكباب على العلم دراسة وتدريسًا ، وتأليفًا وتحقيقًا ، لا سيما مكتبتي الخاصة التي لا تزال في دمشق ، إذ لم أتمكن من ترحيلها إلى عمان ، لصعوبات وعراقيل معروفة ، فكنت أعلل نفسي كل يوم وأمنيها ، بأن المياه عما قريب ستعود إلى مجاريها، ولكن الرياح كثيرًا ما تجري بخلاف ما يشتهي الملاح ، فإنه ما كاد بعض إخواننا في الأردن يشعرون بأنني استقررت في الدار حتى بدؤوا يطلبون مني أن أستأنف إلقاء الدروس التي كنت ألقيتها عليهم في السنين الماضية قبل هجرتي إلى عمان، حيث كنت أسافر إليها في كل شهر أو شهرين فألقى عليهم درساً أو درسين فى كل سفرة وألحوا علىّ فى الطلب، وعلى الرغم من أنني ما كنت عازما على شيء من الإلقاء لأوفر ما بقى لي من نشاط وعمر لإتمام بعض مشاريعي العلمية - وما أكثرها - رأيت أنه لابد من أن أحقق طلبهم ورغبتهم الطيبة، فوعدتهم خيرًا، وأعلنت لهم أنني سألقي عليهم درسًا كل يوم خميس بعد صلاة المغرب في دار أحد إخواننا الطيبين هناك قريبًا من داري. وتحقق ذلك بإذن الله تعالى، فألقيت الدرس الأول ثم الثاني، من كتاب «رياض الصالحين» للإمام النووي بتحقيقي، وأجبتهم بعد الدرس عن بعض أسئلتهم الكثيرة المتوفرة لديهم، والتي تدل على تعطشهم ورغبتهم البالغة في العلم ومعرفة السنة.

وبينما أنا أستعد لإلقاء الدرس الثالث إذا بي أفاجأ بما يضطرني اضطرارًا لا خيار لي فيه مطلقًا للرجوع إلى دمشق حيث لم يبق لي فيها سكن، وذلك أصيل نهار الأربعاء في ١٩ شوال ١٤٠١ هـ فوصلتها ليلاً، وفي حالة كئيبة جدًا، وأنا أضرع إلى الله تعالى في أن يصرف عني شر القضاء، وكيد الأعداء .

فلبثت فيها ليلتين ، وفي الثالثة سافرت بعد الاستشارة والاستخارة إلى بيروت ، مع كثير من الحذر والخوف، لما هو معروف من كثرة الفتن والهرج والمرج القائم فيها والوصول إلى بيروت في الثلث الأول من الليل . قاصدًا دار أخ لي قديم، وصديق وفي حميم ، فاستقبلني بلطفه وأدبه وكرمه المعروف ، وأنزلني عنده ضيفًا معززًا مكرمًا، . جزاه الله خيرًا. =

محنة الشيخ وسجنه مرتين في دمشق:

سأل الحويني الشيخ الإمام عن ملابسات سجنه مرتين في دمشق؟

فقال الشيخ الإمام ـرحمه الله: واحدة كانت بمناسبة ضرب الطائرات اليهودية لدمشق.. فالظاهر أن الدولة خافت أن المشايخ يثوروا...

فاحتياطاً منهم... ألقول القبض على المشايخ، ثم قال الشيخ ضاحكًا: ولا أدري كيف اعتبروني من المشايخ هذه مرة.

والمرة الثانية: استدعوني في المخابرات، وقالوا لي: ما هو رأيك في الحكام اليوم؟

= ثم اضطر الشيخ بعد فترة قضاها من الزمن في بيروت أن يهاجر إلى الإمارات عند بعض محبيه من أهل السنة والجماعة الذين استقبلوه وآووه وسعدوا سعادة عظيمة لا توصف بمقدمه عليهم فكانت أيامهم معه أيام علم ونصح وإرشاد وإنهماك في العلم. فلمّا علم كثير من محبيه في الدول الخليجية المجاورة شدوا رحالهم إليه لرؤيته ،وأخذ العلم منه والاستفادة من خبرته في الدعوة والجهاد في سبيل نصرة السنة، واستطاع الشيخ إبان إقامته في الإمارات أن يسافر إلى الدول المجاورة كالكويت وذلك في شتاء عام ١٤٠٢هـ حيث ألقى فيها عدة محاضرات وندوات ، وقطر حيث التقى بالدكتور يوسف القرضاوي والشيخ محمد الغزالي الذي بعث له برسالة قبل لقائه يواسيه فيها قائلاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكريم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نذكركم على البعد فنذكر الرقابة الدقيقة على السنة المطهرة، والغيرة المحمودة على معالم الإسلام الحنيف، والجهاد العلمي الموصول في ميدان قل فيه الرجال، واحتاج إلى أولى النجدة والنضال فجزاكم الله عن دينه خير الجزاء ، وآنسكم في هجراتكم المتتابعة من قطر إلى قطر ، وأنت خبير بأن أنصار الله في هذا العصر لا يستقرون على حال. وأنهم عرضة للمتاعب الثقال.

أكتب إليكم من قطر، ما زلت أستاذًا زائرًا في جامعتها ونزيلاً في الفندق الذي شرفت بجواركم فيه أيامًا.

والله المسؤول أن يوفقنا إلى الدفاع عن دينه، ونفع المسلمين برسالتهم الجليلة، وأبعث إليكم بمشاعر التقدير والود، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد الغزالي.

قلت لهم متبالهًا ! ما أعرفهم.

قالوا لي: ما هو رأيك في النظام الحاكم تؤيده؟

قلت: لا ، قالوا : لم؟

قلت: لأنه مخالف للإسلام،أخذوني في سيارة ونقلوني من مكان إلى مكان ، ووضعوني في مركز شرطة على أساس ينقلوني . وما أدري إلى أين ، مرَّ بي أحد بني قومي الذي يسمون بالأرناؤوط فسألني عن سبب وجودي في هذا المكان فأخبرته بالأمر، ثم ذهب الرجل، وسأل عن المكان الذي سينقلوني إليه، ثم جاء وقال لي: إنهم قرروا نفيك إلى الحسكة، يعني شمال شرق سوريا.

فطلبت منه أن يذهب إلى ابني في الدكان، ويخبره أن يأتي لي بالشنطة ويضع فيها نسخة صحيح مسلم وبرّاية وقلم رصاص ، ومحاية، إلى آخره ، ويدركني هنا، وإلا فليلحقني إلى منطلق السيارات إلى حلب. وذهب الرجل إلى ابني، وسارع ابني وأتى لي بكل شيء طلبته ، وأدركني في منطلق السيارات والسيارة ترجع القهقري لتنطلق، فصعد إليَّ وسلم علي وعانقني ، وودعني وانطلقت السيارة بنا إلى حلب، ومن حلب إلى الحسكة.

الحسكة فيها سجن جديد واسع جدًا ومرتفع فأدخلوني إلى عروش طويل جدًا ، وإذا فيه شباب من المسلمين من حزب التحرير، ورئيسهم كان يحضر دروسي في حلب ، سلفي يعني ، ثم انحرف مع حزب التحرير ، قلنا : رب ضارة نافعة وكنت ليلاً ونهارًا في نقاش مع الجماعة ولكن أنا جايب زادي أريد أن أشتغل وكانت اللمبة ملتصقة بالسقف، والسقف عالٍ جدًا ما أستفيد شيئًا، حكيت مع صاحبنا هذا الذي كان سلفيًا، اسمه الشيخ مصطفى، وقد مضى عليه في السجن مع الأسف نحو سنتين ، وبسبب طول المكث هناك صار بينهم وبين مدير السجن صحبة ، ومدير السجن الظاهر كان عنده شيء من الفطرة ، ولو أنه بعثي ـ فكان يتجاوب فعلاً من الشيخ مصطفى ، ومع المسلمين أولئك، ويساعدهم بقدر الإمكان، وكانوا مشتركين على الطعام... فاشتركت إنا معهم ،

المهم أنا أريد كهرباء [١] فتحدث الشيخ مصطفى مع مدير السجن ، وقال له : الشيخ الألباني طالب علم ويريد أن يشتغل؛ لأنه أتى معه بالكتب، فقال له مدير السجن :نأتي له بما يريد ولكن على حسابه ، فقلت هذا سهل يأتي هو بالأغراض ونحن ندفع ، . .فنزلت اللمبة من فوق إلى فوق رأسي تمامًا. . . فما أحسست الغربة بالسجن إطلاقًا كما قال ابن تيمية لله يرحمه : سجني خلوة[٢] . . .

---

(١) أوضح الشيخ هذا الكلام أنه يريد سلاسل تتدلى من السقف حتى تكون اللمبة قريبة منه، فيستطيع حينئذ الكتابة تحت ضوئها.

(٢) ذكر الأخ الشيخ سمير الزهري عن الشيخ الإمام رحمه الله أنه قال:

«قدر الله علي أن أسجن في عام (١٣٨٩ هـ) الموافقة لسنة (١٩٦٩م) مع عدد من العلماء من غير جريرة اقترفناها سوى الدعوة إلى الإسلام ، وتعليمه للناس، فأساق إلى سجن القلعة وغيره في دمشق، ثم أفرج عني بعد مدة لأساق مرة ثانية ، وأُنفى إلى الجزيرة لأقضي في سجنها بضعة أشهر أحتسبها في سبيل الله عز وجل.

وقد قدر الله أن لا يكون معي فيه إلا كتابي المحبب : «صحيح الإمام مسلم» وقلم رصاص، ومحاة!.

وهناك اعتكفت على تحقيق أمنيتي في اختصاره وتهذيبه ، وفرغت من ذلك في نحو ثلاثة أشهر، كنت أعمل فيها ليل نهار، ودون كلل ،ولا ملل، وبذلك انقلب ما أراده أعداءُ الأمة انتقامًا منَّا إلى نعمةٍ لنا، يتفيأ ظلالها طلاب العلم من المسلمين في كل مكان. فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات».

ويقول الشيخ عن هذا المختصر بعد أن بين أنه اختصره اختصارًا علميًا دقيقًا.

«ومن المؤسف أن مختصري هذا في حكم المفقود ، ولا أدري إذا كان قد استعاره أحد مني ؛ لدراسته ، وتهيئته للطبع ! ثم جاءت صوارف الدهر ـ وما أكثرها في هذا الزمان ـ فأنستني إياه ـ والله المستعان. «**محدث العصر محمد ناصر الدين الألباني**» (ص٢٩).

وقال الشيباني: وقد كان من نعم الله على الشيخ ناصر أثناء سجنه أن دعا للمسجونين إلى ما كان يدعو إليه خارج السجن، وهو الكتاب والسنة ونبذ الابتداع في الدين والانقياد لقول الله عز وجل ، وقول رسوله، عليه السلام، وترك التقليد ، فاستجاب لدعوته خلق كثير منهم، فاستفاد من سجنه أنه ألف فيه مختصره على صحيح مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى وهو غير اختصار مسلم للمنذري الذي حقق أحاديثه الشيخ .

ثم سأل الحويني الشيخ الإمام عن مؤلفاته التي انتهى منها والتي ما زال يعمل على إنهائها، وسأله أيضًا عن منهجه في بعض تآليفه؟

قلت: وسوف أفرد فصلاً عن مؤلفات الشيخ المطبوعة والمخطوطة والتعريف ببعضها.

ثم طلب الحويني من الشيخ الإمام بعض النصائح العلمية.

وقد أسدى له الشيخ الإمام بعض النصائح، وحثه على تقوى الله عز وجل، ثم ختم كلامه له بقوله: أرجو لك مزيدًا من التوفيق.

قلت: ومن عجائب الأقدار أن يقف كلام شيخنا الإمام عن حياته عند هذا المقدار، فيقف الكلام عند محنته وسجنه بسبب جهره بكلمة الحق، حتى يعلم الشانئون المبغضون الظالمون، للشيخ الإمام، والحاقدون عليه، أنهم قد افتروا عليه عندما اتهموه بأنه كان يمالىء الحكام الظلمة!.

والمفترون والله هم الظلمة.

فها هو شيخ الإسلام محمد ناصر الدين الألباني يقتدي بشيخ الإسلام ابن تيمية في حاله ومقاله، فيسجن الألباني في البلد نفسه الذي سجن فيه ابن تيمية، ويقول الألباني الكلام نفسه الذي قاله ابن تيمية «سجني خلوة».

فاللهم ارحم شيخي الإسلام ابن تيمية والألباني: آمين آمين.

* * *

= وحث الناس في السجن على صلاة الجماعة والجمعة، وهذه أول مرة تقام صلاة الجمعة في القلعة من بعد سجن ابن تيمية رحمه الله. فكانت همته العالية، وشغفه بالعلم لا تعرفان الحدود والقيود. «حياة الألباني..» (ص ٢٨، ٢٩).

ذرية الشيخ

قال الشيخ الإمام رحمه الله: «وإن من توفيق الله عز وجل إياي أن ألهمني أن أعبِّد له أولادي كلهم، وهم عبد الرحمن وعبد اللطيف وعبد الرزاق، من زوجتي الأولى رحمها الله تعالى، وعبد المصور، وعبد الأعلى، وعبد المهيمن، من زوجتي الأخرى، والاسم الرابع ما أظن أن أحدًا سبقني إليه على كثرة ما وقفت عليه من الأسماء في كتب الرجال والرواة، أسأل الله تعالى أن يزيدني توفيقًا، وأن يبارك في آلي ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان: ٧٤] ثم رزقت سنة ١٣٨٣ هـ وأنا في المدينة المنورة غلامًا، فسميته (محمدًا).

ذكرى مدينته ﷺ عملاً بقوله: «**تسموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي**» متفق عليه.

وأولاد الشيخ بالترتيب يكونون كالتالي:

من زوجته الأولى:

١ ـ عبد الرحمن.

٢ ـ عبد اللطيف.

٣ ـ عبد الرزاق.

ومن زوجته الثانية:

٤ ـ عبد المصور.

٥ ـ عبد الأعلى.

٦ ـ محمد.

٧ ـ عبد المهمين.

٨ ـ أنيسة.

٩ ـ آسية.

١٠ ـ سلامة.

١١ ـ حسانة.

١٢ ـ سكينة.

ومن زوجته الثالثة:

١٣ ـ هبة الله.

وأما زوجته الرابعة فلم يُنجب منها[١]

قلت : وهي التي مات عنها وكنيتها أم الفضل.

* * *

(١) «حياة الألباني ...» (١ / ٨٠ ـ، ٨١).

تأثر الشيخ الإمام بشيوخ الإسلام
ابن تيمية ، وابن قيم الجوزية،
ومحمد بن عبد الوهاب ، رحمهم الله تعالى:

لقد تأثر الشيخ الإمام رحمه الله تعالى بمنهج شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الحافظ ابن قيم الجوزية والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى، حيث كانوا يدعون إلى تحكيم الكتاب والسنة، والرجوع إليهما في سائر الأمور، ومحاربة البدع وأصحاب المذاهب الضالة؛ ولهذا نراه يكثر من الاستشهاد بأقوالهم.

وعلى الرغم من ذلك التأثر إلا أنه خالفهم في بعض المسائل وفقًا لما ترجَّح لديه من أدلة ، وهذا دليل على استقلالية شخصيته، وترجيحه ما يستحق الترجيح، ونقده ما يستحق النقد، دون أن تأخذه في الجهر بالحق لومة لائم، أو قرب قريب، أو عداء خصم.

وقد تحدث العلامة الألباني رحمه الله تعالى في الشريط رقم (٨٨٠) من أسئلة الهدى والنور، عن تأثره بهؤلاء الأعلام ومحبته لهم فقال:

«منهجنا قائم على اتباع الكتاب والسنة ، وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح، وأعتقد أن البلاد السعودية إلى الآن لا يزال الكثير من أهل العلم فيها على هذا المنهج، متأثرين بما تأثرنا به نحن مثلهم، بدعوة شيخ الإسلام بحق أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى ، ثم تلميذه ابن قيم الجوزية رحمه الله، ثم بمن سار على منهجهم، وسلك سبيلهم، كالشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي كان له الفضل الأول بإحياء دعوة التوحيد في بلاد نجد أولاً، وبتفصيل دقيق حتى لمسناه في الصغار قبل الكبار هناك.

كما أنه أسس للدعوة : اتبّاع السنة، وعدم إيثار أي مذهب من مذاهب أهل السنة الأربعة على الكتاب والسنة، وكان له الفضل الثالث بعد الشيخين ابن تيمية وابن قيم الجوزية في اعتقادي ، بإحيائه منهج الشيخين في العالم النجدي أولاً، ثم في العالم الإسلامي ثانيًا.

وله الفضل في عصره في نشر هذه الدعوة المباركة ، وقد التزمها كثير من العلماء ليس في نجد ثم في الحجاز التي تليها، بل في سائر العالم الإسلامي في الهند والباكستان وفي بلاد أخرى ».

وقال رحمه الله أيضًا:

«ليس غرضي الآن أن أشبع الكلام في توحيد الربوبية والألوهية وما ينافيهما من الشرك والوثنية، فذلك أمر لا تتسع له هذه المقدمة ، لا سيما وقد قام بذلك خير قيام أئمة التوحيد وشيوخ الإسلام كالإمام ابن تيمية ، وابن قيم الجوزية، ومحمد بن عبد الوهاب، والصنعاني والشوكاني، وغيرهم من أولي الألباب»(١) .

* * *

(١) كتاب «الآيات البينات» (ص ١٥).

دعوته

عُرف الشيخ الألباني بدعوته إلى التلقي من الكتاب والسنة، مع استصحاب فهم السلف الصالح لنصوص الوحيين.

وكان يدعو إلى نبذ العصبية للرجال وعدم أخذ أقوالهم بغير دليل.

وقد رسخ الشيخ رحمه الله دعوته هذه من أقوال الأئمة الأربعة أنفسهم، وذلك عندما صنف كتابه الفذ «صفة صلاة النبي ﷺ» فقال في مقدمته:

إني حين وضعت هذا المنهج لنفسي وهو التمسك بالسنة الصحيحة، وجريت عليه في هذا الكتاب وغيره... كنت على علم أنه سوف لا يرضي ذلك كلَّ الطوائف والمذاهب، بل سوف يوجه بعضهم أو كثير منهم ألسنة الطعن وأقلام اللوم إليَّ، ولا بأس من ذلك، فإني أعلم أيضًا أن إرضاء الناس غاية لا تدرك، وأن «**من أرضي الناس بسخط الله وكَلَهُ الله إلى الناس**» كما قال رسول الله ﷺ(١).

ولله در من قال:

ولست بناجٍ من مقالة طاعنٍ ولو كنتُ في غار على جبل وعر

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالمًا ولو غاب عنهم بين خافيتي نسر(٢)

فحسبي أنني معتقد أن ذلك هو الطريق الأقوم، الذي أمر الله تعالى به المؤمنين، وبيَّنه نبيُّنا محمد سيد المرسلين، وهو الذي سلكه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وفيهم الأئمة الأربعة الذين ينتمي اليوم إلى مذاهبهم جمهور المسلمين، وكلهم متفق على وجوب التمسك بالسنة والرجوع إليها، وترك كل قول يخالفها، مهما كان القائل

---

(١) صححه الشيخ الإمام فى «السلسلة الصحيحة» (٢٣١١).

(٢) الخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه، خفيت، وتكون وراء القوادم.

عظيمًا، فإن شأنه ﷺ أعظم ،وسبيله أقوم ؛ ولذلك فإني اقتديت بهداهم، واقتفيت آثارهم، وتبعت أوامرهم بالتمسك بالحديث، وإن خالف أقوالهم، ولقد كان لهذه الأوامر أكبر الأثر في نهجي هذا المنهج المستقيم ، وإعراضي عن التقليد الأعمى ، فجزاهم الله تعالى عني خيرًا.

* * *

أقوال الأئمة في اتباع السنة وترك أقوالهم المخالفة لها

ومن المفيد أن نسوق هنا ما وقفنا عليه منها أو بعضها . لعلَّ فيها عظة وذكرى لمن يقلدهم ، بل يقلد من دونهم بدرجات تقليداً أعمى[١] ، ويتمسك بمذاهبهم وأقوالهم كما لو كانت نزلت من السماء، والله عز وجل يقول: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣].

١ ـ أبو حنيفة رحمه الله

فأولهم الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله، وقد روى عنه أصحابه أقوالاً شتى وعبارات متنوعة، كلها تؤدي إلى شيء واحد، وهو وجوب الأخذ بالحديث وترك تقليد آراء الأئمة المخالفة لها.

١ ـ «إذا صح الحديث فهو مذهبي»[٢] .

---

(١) وهذا التقليد هو الذي عناه الإمام الطحاوي حين قال: « لا يقلد إلا عصبي أو غبي» نقله ابن عابدين في « رسم المفتي» (١/ ٣٢) من «مجموعة رسائله».

(٢) ابن عابدين في الحاشية (١/ ٦٣) وفي رسالته « رسم المفتي » (١/ ٤) من مجموعة رسائل ابن عابدين) والشيخ صالح الفلاني في «إيقاظ الهمم» (ص ٦٢) وغيرهم ، ونقل ابن عابدين عن شرح الهداية، لابن الشحنة الكبير شيخ ابن الهمام ما نصه:

«إذا صح الحديث وكان على خلاف المذهب عمل بالحديث ، ويكون ذلك مذهبه ولا يخرج مقلده عن كونه حنفياً بالعمل به، فقد صح عن أبي حنيفة أنه قال: إذا صح الحديث فهو مذهبي »، وقد حكى ذلك الإمام ابن عبد البر عن أبي حنيفة وغيره من الأئمة.

قلت: وهذا من كمال علمهم وتقواهم حيث أشاروا بذلك إلى أنهم لم يحيطوا بالسنة كلها، وقد صرح بذلك الإمام الشافعي كما يأتي فقد يقع منهم ما يخالف السنة التي لم تبلغهم فأمرونا بالتمسك بها، وأن نجعلها من مذهبهم ، رحمهم الله تعالى أجمعين.

٢ ـ «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه»(١) .

وفي رواية: «حرام على من لم يعرف دليلي أن يُفتي بكلامي».

زاد في رواية: «فإننا بشر نقول القول اليوم، ونرجع عنه غدًا».

وفي أخرى: «ويحك يا يعقوب (هو أبو يوسف) لا تكتب كل ما تسمع مني ، فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غدًا، وأرى الرأى غدًا وأتركه بعد غد»(٢) .

---

(١) ابن عبد البر في «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء »(ص ١٤٥) ،وابن القيم في «إعلام الموقعين» (٢/ ٣٠٩) ،وابن عابدين في «حاشيته» على «البحر الرائق» (٦ / ٢٩٣) وفي «رسم المفتي» (ص ٢٩ و ٣٢) والشعراني في «الميزان» (١/ ٥٥) بالرواية الثانية ،والرواية الأخرى رواها ابن عباس الدوري في« التاريخ »لابن معين (٦/ ٧٧ / ١) بسند صحيح عن زفر ، وورد نحوه عن أصحابه زفر وأبي يوسف وعافية بن يزيد كما في « الإيقاظ » (ص ٥٢) وجزم ابن القيم (٢ / ٣٤٤) بصحته عن أبي يوسف ،والزيادة في الرواية الثانية، عزاها المعلق على «الإيقاظ» (ص ٦٥) إلى ابن عبد البر وابن القيم وغيرهما.

قلت: فإذا كان هذا قولهم فيمن لم يعلم دليلهم . فليت شعري ماذا يقولون فيمن علم أن الدليل خلاف قولهم . ثم أفتى خلاف الدليل؟ فتأمل في هذه الكلمة فإنها وحدها كافية في تحطيم التقليد الأعمى؛ ولذلك أنكر بعض المقلدة من المشايخ نسبتها إلى أبي حنيفة حين أنكرت عليه إفتاءه بقول لأبي حنيفة لم يعرف دليله!

(٢) فلت :وذلك لأن الإمام كثيرًا ما يبنى قوله على القياس فيبدو له قياس أقوى أو يبلغه حديث عن النبي ﷺ فيأخذ به ويترك قوله السابق، قال الشعراني في «الميزان» (١/ ٦٢) ما مختصره. :

«واعتقادنا واعتقاد كل منصف في الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه لو عاش حتى دونت الشريعة وبعد رحيل الحفاظ في جمعها من البلاد والثغور وظفر بها لأخذ بها وترك كل قياس كان قاسه ، وكان القياس قل في مذهبه كما قل في مذهب غيره بالنسبة إليه، لكن لما كانت أدلة الشريعة مفرقة في عصره مع التابعين وتابعي التابعين في المدائن والقرى والثغور ، كثر القياس في مذهبه بالنسبة إلى غيره من الأئمة ضرورة لعدم وجود النص في تلك المسائل التي قاس فيها. بخلاف غيره من الأئمة ، فإن الحفاظ كانوا قد رحلوا في طلب الأحاديث وجمعها في عصرهم من المدائن والقرى ودونوها فجاوبت أحاديث الشريعة بعضها بعضًا . فهذا كان سبب كثرة القياس في مذهبه ، وقلته في مذاهب غيره.

ونقل القسم الأكبر منه أبو الحسنات فى « النافع الكبير» (ص١٣٥) وعلق عليه بما يؤيده ويوضحه فليراجعه من شاء .

قلت: فإذا كان هذا عذر أبي حنيفة فيما وقع منه من المخالفة للأحاديث الصحيحة دون =

٣ ـ «إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول ﷺ فاتركوا قولي» (١).

٢ ـ مالك بن أنس رحمه الله

وأما الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال:

١ ـ «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأى فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه» (٢).

٢ ـ «ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك ، إلا النبي ﷺ» (٣).

= قصد وهو عذر مقبول قطعًا ؛لأن الله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها فلا يجوز الطعن فيه كما قد يفعل بعض الجهلة. بل يجب التأدب معه؛لأنه إمام من أئمة المسلمين الذين بهم حفظ هذا الدين ووصل إلينا. ما وصل من فروعه. وأنه مأجور على كل حال أصاب أم أخطأ ، كما أنه لا يجوز لمعظميه أن يظلوا متمسكين بأقواله المخالفة للأحاديث ؛ لأنها ليست من مذهبه كما رأيت نصوصه في ذلك، فهؤلاء في واد وأولئك في واد، والحق بين هؤلاء وهؤلاء ، (**ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**).

(١) الفلاني في «الإيقاظ » (ص ٥٠) ونسبه للإمام محمد أيضًا. ثم قال:

«هذا ونحوه ليس في حق المجتهد لعدم احتياجه في ذلك إلى قولهم ، بل هو في حق المقلد .

قلت: وبناءً على هذا قال الشعراني في «الميزان » (١/ ٢٦).

«فإن قلت: فما أصنع بالأحاديث التي صحت بعد موت إمامي ولم يأخذ بها؟ فالجواب الذي ينبغي لك أن تعمل بها . فإن إمامك لو ظفر بها وصحت عنده لربما كان أمرك بها، فإن الأئمة كلهم أسرى في يد الشريعة ، ومن فعل ذلك فقد حاز الخير بكلتا يديه، ومن قال: « لا أعمل بحديث إلا إن أخذ به إمامي » فاته خير كثير، كما عليه كثير من المقلدين لأئمة المذاهب وكان الأولى لهم العمل بكل حديث صح بعد إمامهم تنفيذًا لوصية الأئمة فإن اعتقادنا فيهم أنهم لو عاشوا وأطفروا بتلك الأحاديث التي صحت بعدهم لأخذوا بها وعملوا بما فيها وتركوا كل قياس كانوا قاسوه وكل قول كانوا قالوه.

(٢) ابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ٣٢) وعنه ابن حزم في «أصول الأحكام» (٦/ ١٤٩) وكذا الفلاني (ص ٧٢).

(٣) نسبة هذا إلى مالك هو المشهور عند المتأخرين ، وصححه عنه ابن عبد الهادي في« إرشاد =

٣ ـ قال ابن وهب : سمعت مالكًا سئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء؟

فقال: ليس ذلك على الناس .

قال فتركته حتى خف الناس، فقلت له: عندنا في ذلك سنة؟

فقال: وما هي؟ قلت: حدثنا الليث بن سعد وابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد ابن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن المستورد بن شداد القرشي قال: رأيت رسول الله ﷺ يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه .

فقال : إن هذا الحديث حسن، وما سمعت به قط إلا الساعة. ثم سمعته بعد ذلك يُسأل ، فيأمر بتخليل الأصابع(١) .

٣ ـ الشافعي رحمه الله

وأما الإمام الشافعي رحمه الله، فالنقول عنه في ذلك أكثر وأطيب(٢) ، وأتباعه أكثر عملاً بها وأسعد ، فمنها:

١ ـ «ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه، فمهما قلتُ من

= السالك» (٢٢٧ / ١) وقد رواه ابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ١ / ٩) وابن حزم في «أصول الأحكام » (٦/ ١٤٥ ، ١٧٩) من قول الحكم بن عنبسة ومجاهد ، وأورده تقي الدين السبكي في «الفتاوى» (١/ ١٤٨) من قول ابن عباس متعجبًا من حسنه، ثم قال:

«وأخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد، وأخذها منهما مالك رضي الله عنه واشتهرت عنه».

قلت: ثم أخذها عنهم الإمام أحمد فقد قال أبو داود في «مسائل أحمد» (ص ٢٧٦): «سمعت أحمد يقول: ليس أحد إلا ويؤخذ من رأيه ويترك ما خلا النبي ﷺ».

(١) مقدمة الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) قال ابن حزم (٦/ ١١٨):

«إن الفقهاء الذين قلدوا مبطلون للتقليد، وأنهم نهوا أصحابهم عن تقليدهم ، وكان أشدهم في ذلك الشافعي ، فإنه رحمه الله بلغ من التأكيد في اتباع صحاح الآثار والأخذ بما أوجبته الحجة، حيث لم يبلغ غيره، وتبرأ من أن يقلد جملة ، وأعلن بذلك نفع الله به وأعظم أجره، فلقد كان سببًا إلى خير كثير».

قول، أو أصلتُ من أصل، فيه عن رسول الله ﷺ خلافُ ما قلت، فالقول ما قال رسول الله ﷺ ، وهو قولي»(١) .

٢ ـ «أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد»(٢) .

٣ ـ «إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ، ودعوا ما قلت. (وفي رواية) : «فاتبعوها ، ولا تلتفتوا إلى قول أحد»(٣) .

٤ ـ «إذا صح الحديث فهو مذهبي»(٤) .

---

(١) رواه الحاكم بسنده المتصل إلى الشافعي، كما في «تاريخ دمشق » لابن عساكر (١٥ / ١ / ٣) و«إعلام الموقعين» (٢/ ٣٦٣ ، ٣٦٤) و«الإيقاظ » (ص ١٠٠).

(٢) ابن القيم (٣/ ٣٦١) ،والفلاني (ص ٦٨).

(٣) الهروي في «ذم الكلام» (٣/ ٤٧ / ١) والخطيب في «الاحتجاج بالشافعي» (٨/ ٢)، وابن عساكر (١٥/ ٩/ ١٠) والنووي في «المجموع» (١/ ٦٣)، وابن القيم (٢/ ٣٦١) ،والفلاني (ص ١٠٠) والرواية الأخرى لأبي نعيم في «الحلية» (٩ / ١٠٧).

(٤) النووي في المصدر السابق، الشعراني (١/ ٥٧) وعزاه للحاكم والسهمي ، الفلاني (ص ١٠٧) ، رقال الشعراني .

« قال ابن حزم صح عنده أو عند غيره من الأئمة».

قلت: وقوله الآتي عقب هذا صريح في هذا المعنى ، قال النووي رحمه الله ما مختصره. :

«وقد عمل بهذا أصحابنا في مسألة التثويب ، واشتراط التحلل من الإحرام بعذر المرض وغيرهما مما هو معروف في كتب المذهب وممن حكى عنه أنه أفتى بالحديث من أصحابنا أبو يعقوب البويطي ، وأبو القاسم الداركي، وممن استعمله من أصحابنا المحدثين أبو بكر البيهقي وآخرون، وكان جماعة من متقدمي أصحابنا إذا رأوا مسألة فيها حديث ومذهب الشافعي خلافه، عملوا بالحديث وأفتوا به قائلين : مذهب الشافعي ما وافق الحديث. قال الشيخ أبو عمرو فمن وجد من الشافعية حديثًا يخالف مذهبه. نظر إن كملت آلات الاجتهاد فيه مطلقًا، أو في ذلك الباب أو المسألة . كان له الاستقلال بالعمل به،وإن لم تكمل وشق عليه مخالفة الحديث بعد أن بحث فلم يجد لمخالفه عنه جوابًا شافيًا ،فله العمل به إن كان عمل به إمام مستقل غير الشافعي ،ويكون هذا عذرًا له في ترك مذهب إمامه هنا وهذا الذي قاله حسن متعين ، والله أعلم.

=

٥ ـ «أنتم (١) أعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث الصحيح فأعلموني به أي شيء يكون : كوفيًا أو بصريًا أو شاميًا، حتى أذهب إليه إذا كان صحيحًا».

٦ ـ «كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت؛ فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي»(٢) .

٧ ـ «إذا رأيتموني أقول قولاً ، وقد صح عن النبي ﷺ خلافه فأعلموا أن عقلي قد ذهب»(٣) .

= قلت: وهناك صورة أخرى لم يتعرض لذكرها ابن الصلاح ، وهي فيما إذا لم يجد من عمل بالحديث ، فماذا يصنع؟ أجاب عن هذا تقي الدين السبكي في رسالة «معنى قول الشافعي. . . إذا صح الحديث. . .» (٣/ ١٠٢) فقال:

«والأولى عندي اتباع الحديث ، وليفرض الإنسان نفسه بين يدي النبي ﷺ وقد سمع ذلك منه، أيسعه التأخير عن العمل به؟ لا والله. . . وكل واحد مكلف بحسب فهمه».

وتمام هذا البحث وتحقيقه تجده في «إعلام الموقعين» (٢/ ٣٠٢ ، ٣٧٠) وكتاب الفلاني المسمى «إيقاظ همم أولى الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار ، وتحذيرهم عن الابتداع الشائع في القرى والأمصار . من تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الأعصار » وهو كتاب فذ في بابه يجب على كل محب للحق أن يدرسه دراسة تفهم وتدبر.

(١) الخطاب للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، رواه أبي حاتم في «آداب الشافعي» (ص٩٤ ، ٩٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٩ / ١٠٦) ،والخطيب في «الاحتجاج بالشافعي» (٨ / ١) وعنه ابن عساكر (١٥ / ٩ / ١) وابن عبد البر في «الانتقاء» (ص ٧٥) ،وابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٤٩) ،والهروي (٢/ ٤٧ / ٢) ،من ثلاثة طرق عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أن الشافعي قال له. . . فهو صحيح عنه، ولذلك جزم بنسبته إليه ابن القيم في «الإعلام» (٢/ ٣٢٥) والفلاني في «الإيقاظ» (ص ١٥٢) ثم قال:

«قال البيهقي : ولهذا كثر أخذه ـ يعني الشافعي ـ بالحديث وهو أنه جمع علم أهل الحجاز والشام واليمن والعراق ، وأخذ بجميع ما صح عنده من غير محاباة مه ولا ميل إلى ما استحلاه من مذهب أهل بلده مهما بان له الحق في غيره ، وفيمن كان قبله من اقتصر على ما عهده من مذهب أهل بلده ، ولم يجتهد في معرفة صحة ما خالفه . والله يغفر لنا ولهم».

(٢) أبو نعيم (٩ / ١٠٧) ،والهروي (١/ ٤٧) ،وابن القيم في «إعلام الموقعين» (٢ / ٣٦٢) والفلاني (ص١٠٤).

(٣) ابن أبي حاتم في «الآدب» (ص ٩٣) وأبو القاسم السمرقندي في «الأمالي» كما في «المنتقى منها» =

٨ ـ «كل ما قلت؛ فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح فحديث النبي أولى، فلا تقلدوني»(١) .

٩ ـ «كل حديث عن النبي ﷺ فهو قولي، وإن لم تسمعوه مني»(٢) .

٤ ـ أحمد بن حنبل رحمه الله

وأما الإمام أحمد فهو أكثر الأئمة جمعًا للسنة وتمسكًا بها. حتى «كان يكره وضع الكتب التي تشتمل على التفريع والرأى»(٣) . ولذلك قال:

١ ـ «لا تقلدوني ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا»(٤) .

وفي رواية: «لا تقلد دينك أحدًا من هؤلاء ، ما جاء عن النبي ﷺ فخذ به ،ثم التابعين بعد الرجل فيه مخبر» .

وقال مرة: «الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه ، ثم هو من بعد التابعين مخير»(٥) .

٢ ـ «رأي الأوزاعي ورأى مالك ورأى أبي حنيفة كله رأي وهو عندي سواء ، وإنما الحجة في الآثار»(٦) .

٣ ـ «من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة»(٧) .

= لأبي حفص المؤدب (١/ ٢٣٤) ،وأبو نعيم (٩ / ١٠٦) ،وابن عساكر (١٥ / ١٠ / ١) بسند صحيح.

(١) ابن أبي حاتم وأبو نعيم وابن عساكر (١٥ / ٩ / ٢) .

(٢) ابن أبي حاتم (ص ٩٣، ٩٤).

(٣) ابن الجوزي في «المناقب» (ص ١٩٢) .

(٤) الفلاني ،(ص١١٢٣) ،وابن القيم في «الإعلام» (٢/ ٣٠٢).

(٥) أبو داود في «مسائل الإمام أحمد» (ص ٢٧٦ ، ٢٧٧).

(٦) ابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ١٤٩).

(٧) ابن الجوزي (ص ١٨٢).

تلك هي أقوال الأئمة رضي الله تعالى عنهم في الأمر بالتمسك بالحديث، والنهي عن تقليدهم دون بصيرة ، وهي من الوضوح والبيان، بحيث لا تقبل جدلاً ولا تأويلاً ، وعليه فإن من تمسك بكل ما ثبت في السنة ولو خالف بعض أقوال الأئمة، لا يكون مباينًا لمذهبهم، ولا خارجًا عن طريقتهم، بل هو متبع لهم جميعًا، ومتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وليس كذلك من ترك السنة الثابتة لمجرد مخالفتها لقولهم، بل هو بذلك عاصٍ لهم، ومخالف لأقوالهم المتقدمة، والله تعالى يقول: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] ، وقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى:

«فالواجب على كل من بلغه أمر الرسول ﷺ وعرفه أن يبينه للأمة، وينصح لهم، ويأمرهم باتباع أمره، وإن خالف ذلك رأي عظيم من الأمة ، فإن أمر رسول الله ﷺ أحق أن يعظم ويقتدى به من رأى أي معظم قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأ، ومن هنا رد الصحابة ومن بعدهم على كل مخالف سنة صحيحة، وربما أغلظوا في الرد[1] لا بغضًا له، بل هو محبوب عندهم معظمٌ في نفوسهم، لكن رسول الله أحب إليهم، وأمره فوق

---

(١) قلت: حتى ولو على أبائهم وعلمائهم ، كما روى الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٣٧٢) وأبو يعلى في «مسنده» (٣/ ١٣١٧) بإسناد رجاله ثقات عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: «إني لجالس مع ابن عمر رضي الله عنه، في المسجد إذا جاءه رجل من أهل الشام فسأله عن التمتع بالعمرة إلى الحج؟ فقال ابن عمر: حسن جميل. فقال: فإن أباك كان ينهى عن ذلك؟ فقال: ويلك فإن كان أبي قد نهى عن ذلك وقد فعله رسول الله ﷺ وأمر به. فبقول أبي نأخذ أم بأمر رسول الله ﷺ ؟ قال : بأمر رسول الله ﷺ ، فقال: فقم عني، وروى أحمد (رقم ٥٧٠٠) نحوه والترمذي (٢/ ٨٢ بشرح التحفة) وصححه وروى ابن عساكر (٧ / ٥١ / ١) عن ابن أبي ذئب قال: قضى سعد بن إبراهيم (يعني ابن عبد الرحمن بن عوف) على رجل برأى ربيعة بن عبد الرحمن، فأخبرته عن رسول الله ﷺ بخلاف ما قضى به، فقال سعد لربيعة: قد اجتهدت ومضى حكمك فقال سعد: وا عجبًا! أنفذ قضاء سعد و لا أنفذ قضاء رسول الله ﷺ . بل أرد قضاء سعد ابن أم سعد، وأنفذ قضاء رسول الله ﷺ فدعا سعد بكتاب القضية فشقه وقضى للمقضي عليه.

أمر كل مخلوق ، فإذا تعارض أمر الرسول وأمر غيره فأمر الرسول أولى أن يقدم ويتبع، ولا يمنع من ذلك تعظيم من خالف أمره وإن كان مغفورًا له[١] ،بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يخالف أمره إذا ظهر أمر الرسول ﷺ بخلافه»[٢] .

قلت: كيف يكرهون ذلك وقد أمروا به أتباعهم كما مر، وأوجبوا عليه أن يتركوا أقوالهم المخالة للسنة، بل إن الشافعي رحمه الله أمر أصحابه أن ينسبوا السنة الصحيحة إليه ولو لم يأخذ بها، أو أخذ بخلافها ؛ولذلك لما جمع المحقق ابن دقيق العيد رحمه الله المسائل التي خالف مذهب كل واحد من الأئمة الأربعة الحديث الصحيح فيها انفرادًا واجتماعًا في مجلد ضخم؛ قال في أوله: «إن نسبة هذه المسائل إلى الأئمة المجتهدين حرام، وإنه يجب على الفقهاء المقلدين لهم معرفتها لئلا يعزوها إليهم، فيكذبوا عليهم»[٣].

ترك الأتباع بعض أقوال أئمتهم اتباعًا للسُنة

ولذلك كله كان أتباع الأئمة ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ [الواقعة: ١٣، ١٤] لا يأخذون بأقوال أئمتهم كلها ، بل قد تركوا كثيرًا منها لما ظهر لهم مخالفتها للسنة، حتى إن الإمامين: محمد بن الحسن وأبا يوسف رحمهما الله قد خالف شيخهما أبا حنيفة «في نحو ثلث المذهب»[٤] وكتب الفروع كفيلة ببيان ذلك، ونحو هذا يقال في الإمام المزني[٥] وغيره من أتباع الشافعي وغيره ، ولو ذهبنا نضرب على ذلك

---

(١) قلت: بل هو مأجور لقوله ﷺ : «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد**» رواه الشيخان وغيرهما.

(٢) نقله في التعليق على «إيقاظ الهمم» (ص ٩٣).

(٣) الفلاني (ص ٩٩).

(٤) ابن عابدين في «الحاشية» (١/ ٦٢) وعزاه اللكنوي في «النافع الكبير» (ص ٩٣) للغزالي.

(٥) وهو القائل في أول مختصره في فقه «الشافعي» المطبوع بهامش «الأم» للإمام ما نصه: «اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ومن معنى قوله. لأقربه على من أراده، مع إعلامه نهيه عن تقليده وتقليد غيره، لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه ».

الأمثلة لطال الكلام ، ولخرجنا به عما قصدنا إليه في هذا البحث من الإيجاز ، فلنقتصر على مثالين اثنين :

١ـ قال الإمام محمد في «موطئه»[١] (ص ١٥٨): «قال محمد: أما أبو حنيفة رحمه الله فكان لا يرى في الاستسقاء صلاة، وأما في قولنا، فإن الإمام يصلي بالناس ركعتين ثم يدعو ويحول رداءه» إلخ.

٢ ـ وهذا عصام بن يوسف البلخي من أصحاب الإمام محمد[٢] ومن الملازمين للإمام أبي يوسف[٣] «كان يفتي بخلاف الإمام أبي حنيفة كثيرًا؛ لأنه لم يعلم الدليل، وكان يظهر له دليل غيره فيفتي به»[٤] ؛ولذلك «كان يرفع يديه عند الركوع والرفع منه»[٥] كما هو في السنة المتواترة عنه ﷺ ، فلم يمنعه من العمل بها أن أئمته الثلاثة قالوا بخلافها، وذلك ما يجب أن يكون عليه كل مسلم بشهادة الأئمة الأربعة وغيرهم كما تقدم.

---

(١) وقد صرح فيه بمخالفة إمامه في نحو عشرين مسألة نشير إلى مواطنها منه (٤٢، ٤٤، ١٠٣، ١٢٠، ١٥٨، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٣، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٤، ٣١٤، ٣٣١، ٣٣٨، ٣٥٥، ٣٥٦) من «التعليق الممجد على موطأ محمد».

(٢) ذكره فيهم ابن عابدين في «الحاشية» (١/ ٧٤) وفي «رسم المفتي» (١/ ١٧) وأورده القرشي في «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (ص ٣٤٧) وقال: كان صاحب حديث ثبتا ،وكان هو وأخوه إبراهيم شيخى بلخ في زمانهما.

(٣) «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص ١١٦).

(٤) «البحر الرائق» (٦/ ٩٣) ،و «رسم المفتي» (١/ ٢٨).

(٥) «الفوائد» (ص ١١٦) ثم علق عليه بقوله وقد أجاد:

«قلت: يعلم منه بطلان رواية مكحول عن أبي حنيفة: «أن من رفع يديه في الصلاة فسدت صلاته» التي اغتر بها أمير كاتب الإتقاني كما مر في ترجمته. فإن عصام بن يوسف كان من ملازمي أبي يوسف وكان يرفع ، فلو كان لتلك الرواية أصل لعلم بها أبو يوسف وعصام. قال: ويعلم أيضًا أن الحنفي لو ترك في مسألة مذهب إمامه لقوة دليل خلافه لا يخرج به عن ربقة التقليد، بل هو عين التقليد في صورة ترك التقليد، ألا ترى أن عصام بن يوسف ترك مذهب أبي حنيفة في عدم الرفع ومع ذلك هو معدود في الحنفية؟ قال: وإلى الله المشتكى من جهلة زماننا حيث يطعنون على من ترك تقليد إمامه في مسألة واحدة لقوة دليلها ويخرجونه عن جماعة مقلديه؟ ! ولا عجب منهم فإنهم من العوام، إنما العجب ممن يتشبه بالعلماء ويمشي مشيهم كالأنعام!».

وخلاصة القول: إنني أرجو أن لا يبادر أحد من المقلدين إلى الطعن في مشرب هذا الكتاب وترك الاستفادة مما فيه من السنن النبوية بدعوى مخالفتها للمذهب، بل أرجو أن يتذكر ما أسلفناه من أقوال الأئمة في وجوب العمل بالسنة وترك أقوالهم المخالفة لها، وليعلم أن الطعن في هذا المشرب إنما هو طعن في الإمام الذي يقلده أيًا كان من الأئمة فإنما أخذنا هذا المنهج منهم كما سبق بيانه، فمن أعرض عن الاهتداء بهم في هذا السبيل فهو على خطر عظيم؛ لأنه يستلزم الإعراض عن السنة، وقد أمرنا عن الاختلاف بالرجوع إليها والاعتماد عليها، كما قال تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن قال فيهم: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٥١، ٥٢].

شبهات وجوابها

ذلك ما كنت كتبته منذ عشر سنوات في مقدمة هذا الكتاب، وقد ظهر لنا في هذه البرهة، أنه كان لها تأثير طيب في صفوف الشباب المؤمن ، لإرشادهم إلى وجوب العودة في دينهم وعبادتهم إلى المنبع الصافي من الإسلام: الكتاب والسنة ، فقد ازداد فيهم ـ والحمد لله ـ العاملون بالسنة والمتعبدون بها، حتى صاروا معروفين بذلك، غير أني لمست من بعضهم توقفًا عن الاندفاع إلى العمل بها، لا شكًا في وجوب ذلك بعد ما سقنا من الآيات والأخبار عن الأئمة في الأمر بالرجوع إليها، ولكن لشبهات يسمعونها من بعض المشايخ المقلدين ؛ لذا رأيت أن أتعرض لذكرها والرد عليها، لعل ذلك البعض يندفع بعد ذلك إلى العمل بالسنة مع العاملين بها، فيكون من الفرقة الناجية بإذن الله تعالى.

١ ـ قال بعضهم : لا شك أن الرجوع إلى هدي نبينا ﷺ في شؤون ديننا، أمر واجب، لا سيما فيما كان منها عبادة محضة، لا مجال للرأي والاجتهاد فيها؛ لأنها توقيفية، كالصلاة مثلاً ولكننا لا نكاد نسمع أحدًا من المشايخ المقلدين يأمر بذلك بل نجدهم يُقرُّون الاختلاف ، ويزعمون أنه توسعة على الأمة ، ويحتجون على ذلك بحديث طالما كرروه في مثل هذه المناسبة رادين به على أنصار السنة: «اختلاف أمتي رحمة» فيبدو لنا أن هذا الحديث يخالف النهج الذي تدعو إليه، وألفت كتابك هذا وغيره عليه، فما قولك في هذا الحديث؟

والجواب من وجهين:

الأول: أن الحديث لا يصح ، بل هو باطل لا أصل له، قال العلامة السبكي:

«لم أقف له على سند صحيح، ولا ضعيف، ولا موضوع».

قلت: وإنما روي بلفظ: «**... اختلاف أصحابي لكم رحمة**». و«**أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم**». وكلاهما لا يصح الأول واهٍ جدًا، والآخر موضوع، وقد حققت القول في ذلك كله في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (رقم ٥٨، ٥٩، ٦١) .

الثاني: أن الحديث مع ضعفه مخالف للقرآن الكريم. فإن الآيات الواردة فيه في النهي عن الاختلاف في الدين، والأمر بالاتفاق فيه أشهر من أن تذكر ، ولكن لا بأس من أن نسوق بعضها على سبيل المثال، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[الروم: ٣١، ٣٢].

وقال: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾[هود: ١١٨، ١١٩].

فإذا كان من رحم ربك لا يختلفون ، وإنما يختلف أهل الباطل ، فكيف يعقل أن يكون الاختلاف رحمة؟!

فثبت أن هذا الحديث لا يصح، لا سندًا ولا متنًا [١]. وحينئذ يتبين بوضوح أنه لا يجوز اتخاذه شبهة للتوقف عن العمل بالكتاب والسنة الذي أمر به الأئمة.

٢ ـ وقال آخرون : إذا كان الاختلاف في الدين منهيًا عنه فماذا تقولون في اختلاف الصحابة والأئمة من بعدهم؟ وهل ثمة فرق بين اختلافهم واختلاف غيرهم من المتأخرين؟

فالجواب: نعم هناك فرق كبير بين الاختلافين ، ويظهر ذلك في شيئين الأول: سببه، والآخر : أثره.

فأما اختلاف الصحابة ، فإنما كان عن ضرورة واختلاف طبيعي منهم في الفهم ، لا اختيارًا منهم للخلاف . يضاف إلى ذلك أمور أخرى كانت في زمنهم ، استلزمت اختلافهم ثم زالت من بعدهم [٢] ومثل هذا الاختلاف لا يمكن الخلاص منه كليًا ، ولا يلحق أهله الذم الوارد في الآيات السابقة وما في معناه ، لعدم تحقق شرط المؤاخذة ، وهو القصد أو الإصرار عليه.

وأما الاختلاف القائم بين المقلدة، فلا عذر لهم فيه غالبًا، فإن بعضهم قد تتبين له

---

(١) ومن شاء البسط في ذلك فعليه بالمصدر السابق.

(٢) راجع «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم وحجة الله البالغة للدهلوي، أو رسالته الخاصة بهذا البحث « عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد».

الحجة من الكتاب والسنة، وأنها تؤيد المذهب الآخر الذي لا يتمذهب به عادة، فيدعها لا لشيء إلا لأنها خلاف مذهبه، فكأن المذهب عنده هو الأصل، أو هو الدين الذي جاء به محمد ﷺ، والمذهب الآخر هو دين آخر منسوخ!.

وآخرون منهم على النقيض من ذلك، فإنهم يرون هذه المذاهب ـ على ما بينها من اختلاف واسع ـ كشرائع متعددة، كما صرح بذلك بعض متأخيرهم [١]: لا حرج على المسلم أن يأخذ من أيها ما شاء، ويدع ما شاء ، إذ الكل شرع! وقد يحتج هؤلاء وهؤلاء على بقائهم في الاختلاف بذلك الحديث الباطل «اختلاف أمتي رحمة» وكثيرًا ما سمعناهم يستدلون به على ذلك!

ويعلل بعضهم هذا الحديث ويوجهونه بقولهم: إن الاختلاف إنما كان رحمة؛ لأن فيه توسعة على الأمة! ومع أن هذا التعليل مخالف لصريح الآيات المتقدمة، وفحوى كلمات الأئمة السابقة، فقد جاء النص عن بعضهم برده. قال ابن القاسم:

«سمعت مالكًا والليث يقولان في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ: ليس كما قال ناس: «فيه توسعة» ليس كذلك إنما هو خطأ وصواب [٢].

وقال أشهب: سئل مالك عمن أخذ بحديث حدثه ثقة عن أصحاب رسول الله ﷺ، أتراه من ذلك في سعة؟ فقال: لا والله حتى يصيب الحق، ما الحق إلا واحد، قولان مختلفان يكونان صوابًا جميعًا؟ ما الحق والصواب إلا واحد [٣].

وقال المزني صاحب الإمام الشافعي:

«وقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ فخطَّأ بعضهم بعضًا ، ونظر بعضهم في أقاويل بعض وتعقبها ، ولو كان قولهم كله صوابًا عندهم لما فعلوا ذلك، وغضب عمر بن الخطاب من اختلاف أبي بن كعب وابن مسعود في الصلاة في الثوب الواحد، إذا قال أبي: إن

---

(١) انظر «فيض القدير » للمناوي (١/ ٢٠٩) أو «سلسلة الأحاديث الضعيفة » (١/ ٧٦، ٧٧) طبع المكتب الإسلامي.

(٢) ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٨١ ، ٨٢).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٨٢ ، ٨٨، ٨٩).

الصلاة في الثوب الواحد حسن جميل، وقال ابن مسعود: إنما كان ذلك والثياب قليلة، فخرج عمر مغضبًا، فقال: اختلف رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ ممن ينظر إليه ويؤخذ عنه! وقد صدق أبي، ولم يأل ابن مسعود، ولكني لا أسمع أحدًا يختلف فيه بعد مقامي هذا إلا فعلت به كذا وكذا» (١).

وقال الإمام المزني أيضًا:

«يقال لمن جوز الاختلاف وزعم أن العالمين إذا اجتهد في الحادثة فقال أحدهما: حلال، والآخر: حرام، أن كل واحد منهما في اجتهاده مصيب الحق: أبأصل قلت هذا أم بقياس؟ فإن قال: بأصل، قيل له: كيف يكون أصلاً والكتاب ينفي الاختلاف ؟! وإن قلت: بقياس، قيل: كيف تكون الأصول تنفي الخلاف، ويجوز لك أن تقيس عليها جواز الخلاف؟! هذا ما لا يجوز عاقل، فضلاً عن عالم»(٢).

فإن قال قائل: يخالف ما ذكرته عن الإمام مالك أن الحق واحد لا يتعدد ما جاء في كتاب «المدخل الفقهي» للأستاذ الزرقاء (١/ ٨٩):

«ولقد وهمَّ أبو جعفر المنصور ثم الرشيد من بعده أن يختارا مذهب الإمام مالك وكتابه «الموطأ» قانونًا قضائيًا للدولة العباسية، فنهاهما مالك عن ذلك وقال:

إن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع، وتفرقوا في البلدان، وكل مصيب».

وأقول: إن هذه القصة معروفة مشهورة عن الإمام مالك رحمه الله، لكن قوله في آخرها: «وكل مصيب» مما لا أعلم له أصلاً في شيء من الروايات والمصادر التي وقفت عليها(٣) اللهمَّ إلارواية واحدة أخرجها أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٣٢) بإسناد فيه المقدام ابن داود وهو ممن أوردهم الذهبي في «الضعفاء» ومع ذلك فإن لفظها «وكل عند نفسه

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٨٣، ٨٤).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٨٩).

(٣) راجع «الانتقاء» لابن عبد البر(٤١)، و«كشف المغطا في فضل الموطا» (ص ٦، ٧) للحافظ ابن عساكر، و «تذكرة الحفاظ» للذهبي (١/ ١٩٥).

مصيب» فقوله: «عند نفسه» يدل على أن رواية «المدخل» مدخولة، وكيف لا تكون كذلك وهي مخالفة لما رواه الثقات عن الإمام مالك أن الحق لا يتعدد كما سبق بيانه، وعلى هذا كل الأئمة من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة المجتهدين وغيرهم قال ابن عبد البر (٢/ ٨٨):

«ولو كان الصواب في وجهين متدافعين ما خطأ السلف بعضهم بعضًا في اجتهادهم وقضائهم وفتواهم، والنظر يأبى أن يكون الشيء وضده صوابًا كله، ولقد أحسن من قال:

إثبات ضدين معًا في حال أقبح ما يأتي من المحال».

فإن قيل: إذا ثبت أن هذه الرواية باطلة عن الإمام فلماذا أبى الإمام على المنصور أن يجمع الناس علي كتابه «الموطأ» ولم يُجِبْهُ إلى ذلك؟

فأقول: أحسن ما وقفت عليه من الرواية ما ذكره الحافظ ابن كثير في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص ٣١) وهو أن الإمام مالك قال:

«إن الناس قد جمعوا واطلعوا على أشياء لم نطلع عليها» وذلك من تمام علمه وإنصافه كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى.

فثبت أن الخلاف شرٌ كله، وليس رحمة، ولكن منه ما يؤاخذ عليه الإنسان، كخلاف المتعصبة للمذاهب، ومنه ما لا يؤاخذ عليه، كخلاف الصحابة ومن تابعهم من الأئمة، حشرنا الله في زمرتهم، ووفقنا لاتباعهم.

فظهر أن اختلاف الصحابة هو غير اختلاف المقلدة. وخلاصته: أن الصحابة اختلفوا اضطرارًا، ولكنهم كانوا ينكرون الاختلاف، ويقرون منه ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

وأما المقلدة فمع إمكانهم الخلاص منه ولو في قسم كبير منه، فلا يتفقون ولا يسعون إليه، بل يقرونه. فشتان إذن بين الاختلافين.

وذلك هو الفرق من جهة السبب.

وأما الفرق من جهة الأثر، فهو أوضح وذلك أن الصحابة رضي الله عنهم مع اختلافهم المعروف في الفروع، كانوا محافظين أشد المحافظة على مظهر الوحدة، بعيدين

كل البعد عما يفرق الكلمة، ويصدع الصفوف ، فقد كان فيهم مثلاً من يرى مشروعية الجهر بالبسملة ، ومن يرى عدم مشروعيته ،وكان فيهم من يرى استحباب رفع اليدين ، ومن لا يراه، وفيهم من يرى نقض الوضوء بمس المرأة ، ومن لا يراه، ومع ذلك فقد كانوا يصلون جميعًا وراء إمام واحد، ولا يستنكف أحد منهم من الصلاة وراء الإمام لخلاف مذهبي.

وأما المقلدون فاختلافهم على النقيض من ذلك تمامًا، فقد كان من آثاره أن تفرق المسلمون في أعظم ركن بعد الشهادتين ألا وهو الصلاة، فهم يأبون أن يصلوا جميعًا وراء إمام واحد، بحجة أن صلاة الإمام باطلة أو مكروهة على الأقل بالنسبة إلى المخالف له في مذهبه، وقد سمعنا ذلك، ورأيناه كما رآه غيرنا [١] ،كيف لا وقد نصت كتب بعض المذاهب المشهورة اليوم على الكراهة أو البطلان، وكان من نتيجة ذلك أن تجد أربعة محاريب في المسجد الجامع، يصلي فيها أئمة أربعة متعاقبين، وتجد أناسًا ينتظرون إمامهم بينما الآخر قائم يصلي!

بل لقد وصل الخلاف إلى ما هو أشد من ذلك عند بعض المقلدين ، مثاله منع التزاوج بين الحنفي والشافعية ، ثم صدرت فتوى من بعض المشهورين عند الحنفية ، وهو الملقب بـ«مفتي الثقلين» فأجاز تزوج الحنفية بالشافعية، وعلل ذلك بقوله: «تنزيلاً له منزلة أهل الكتاب» [٢] ومفهوم ذلك ـ ومفاهيم الكتب معتبرة عندهم ـ أنه لا يجوز العكس، وهو تزوج الشافعي بالحنفية ، كما لا يجوز تزوج الكتابي بالمسلمة؟!

هذان مثالان من أمثلة كثيرة توضح للعاقل الأثر السيئ الذي كان نتيجة اختلاف المتأخرين وإصرارهم عليه، بخلاف اختلاف السلف ، فلم يكن له أي أثر سيئ في الأمة؛ ولذلك فهم في منجاة من أن تشملهم آيات النهي عن التفرق في الدين، بخلاف المتأخرين، هدانا الله جميعًا إلى صراطه المستقيم.

وليت أن اختلافهم المذكور انحصر ضرره فيما بينهم ، ولم يتعداه إلى غيرهم من أمة

---

(١) راجع الفصل الثامن من كتاب «ما لا يجوز فيه الخلاف » (ص ٦٥ ـ ٧٢) تجد أمثلة عديدة مما أشرنا إليه، وقعت بعضها من بعض علماء الأزهر!.

(٢) البحر الرائق.

الدعوة ، إذن لهان الخطب بعض الشيء ولكنه ويا للأسف تجاوزهم إلى غيرهم من الكفار في كثير من البلاد والأقطار ، فصدوهم بسبب اختلافهم عن الدخول في دين الله أفواجًا! جاء في كتاب «ظلام من الغرب» للأستاذ الفاضل محمد الغزالي (ص ٢٠٠) ما نصه:

«حدث في المؤتمر الذي عقد في جامعة «برينستون» بأمريكا أن أثار أحد المتحدثين سؤالاً ، كثيرًا ما يثار في أوساط المستشرقين والمهتمين بالنواحي الإسلامية قال:

«بأي التعاليم يتقدم المسلمون إلى العالم ، ليحددوا الإسلام الذي يدعون إليه؟

أبتعاليم الإسلام كما يفهمها السنيون ؟ أم بالتعاليم التي يفهمها الشيعة من إمامية أو زيدية؟

ثم إن كلاً من هؤلاء وأولئك مختلفون فيما بينهم.

وقد يفكر فريق منهم في مسألة ما تفكيرًا تقدميًا محدودًا. بينما يفكر آخرون تفكيرًا قديمًا متزمتًا.

والخلاصة: أن الداعين إلى الإسلام يتركون المدعوين إليه في حيرة ؛ لأنهم هم أنفسهم في حيرة».

وفي مقدمة رسالة «هدية السلطان إلى مسلمي بلاد جابان» للعلامة محمد سلطان المعصومي رحمه الله تعالى:

«إنه كان ورد علي سؤال من مسلمي بلاد جابان، (يعني اليابان) من بلدة (طوكيو) و(أوصاكا) في الشرق الأقصى، حاصله: ما حقيقة دين الإسلام؟ ثم ما معنى المذهب؟ وهل يلزم من تشرف بدين الإسلام أن يتمذهب على أحد المذاهب الأربعة؟ أي أن يكون مالكيًا، أو حنفيًا، أو شافعيًا، أو غيرها أو لا يلزم؟

لأنه قد وقع هنا اختلاف عظيم، ونزاع وخيم، حينما أراد عدة أنفار من متنوزي الأفكار من رجال (يابونيا) أن يدخلوا في دين الإسلام، ويتشرفوا بشرف الإيمان ، فعرضوا ذلك على جمعية المسلمين الكائنة في (طوكيو) ، فقال جمع من أهل الهند: ينبغي أن

يختاروا مذهب الإمام أبي حنيفة ؛ لأنه سراج الأمة ، وقال جمع من أهل أندونسيا (جاوا): يلزم أن يكون شافعيًا! فلما سمع اليابانيون كلامهم تعجبوا جدًا، وتحيروا فيما قصدوا ، وصارت مسألة المذاهب سدًا في سبيل إسلامهم»!

ويزعم آخرون أن معنى هذا الذي تدعون إليه من الاتباع للسنة، وعدم الأخذ بأقوال الأئمة المخالفة لها، ترك الأخذ بأقوالهم مطلقًا والاستفادة من اجتهاداتهم وآرائهم.

فأقول: إن هذا الزعم أبعد ما يكون عن الصواب، بل هو باطل ظاهر البطلان، كما يبدو ذلك جليًا من الكلمات السابقات، فإنها كلها تدل على خلافه، وأن كل الذي ندعوا إليه إنما هو ترك اتخاذ المذاهب دينًا، ونصبها مكان الكتاب والسنة، بحيث يكون الرجوع إليها عند التنازع ، أو عند إرادة استنباط أحكام جديدة لحوادث طارئة، كما يفعل متفقهة هذا الزمان، وعليه وضعوا الأحكام الجديدة للأحوال الشخصية، والنكاح والطلاق ، وغيرها دون أن يرجعوا فيها إلى الكتاب والسنة، ليعرفوا الصواب منها من الخطأ ، والحق من الباطل، وإنما على طريقة «اختلافهم رحمة»! وتتبع الرخص والتيسير أو المصلحة زعموا، وما أحسن قول سليمان التيمي رحمه الله تعالى:

« إن أخذت برخصة كل عالم، اجتمع فيك الشر كله ».

رواه ابن عبد البر (٢ / ٩١، ٩٢) وقال عقبه:

«هذا إجماع لا أعلم فيه خلافًا ».

فهذا الذي ننكره ، وهو وفق الإجماع كما ترى .

وأما الرجوع إلى أقوالهم والاستفادة منها والاستعانة بها على تفهم وجه الحق فيما اختلفوا فيه مما ليس عليه نص في الكتاب والسنة، أو ما كان منها بحاجة إلى توضيح ، فأمر لا ننكره ، بل نأمر به ونحض عليه ؛لأن الفائدة منه مرجوة لمن سلك سبيل الاهتداء بالكتاب والسنة(١) .

---

(١) وقد سئل الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ هذا السؤال:

يتهموك بأنك لا تأخذ بأقوال الأئمة الأربعة رضي الله عنهم أو إن صح التعبير : باجتهاداتهم الفقهية؟

فأجاب ـ رحمه الله: =

. . . . . .

= «أقول: إن الذين يتهموننا بهذه التهمة شأني معهم كما قال الشاعر:

غيري جنى وأنا المعذب فيكم فكأنني سبابة المتندم

غيري جنى، غيري الذي لا يأخذ باجتهادات الأئمة ،أما نحن فنأخذ باجتهاداتهم جميعاً؛ لأن الطالب للعلم لا سبيل له إلى طلب العلم إلا من طريقين:

إما أن يأخذ عن إمام فقط من الأئمة الأربعة. . .

والطريق الثاني: أن يأخذ عن كل الأئمة.

الطريق الأول هو طريقة المذهبيين، طريقة المقلدين الجامدين الذين أولا: لا يلتفتون أبدًا إلى ما قال الله وإلى ما قال رسول الله.

وثانيًا : لا يلتفتون إلى الأخذ من الأئمة الآخرين الذين هو لا ينتمي في طلبة العلم إلى مذهبهم.

إذًا طريق طلب العلم: إما بتقليد مذهب معين وإما باتباع الأئمة دون تعصب لواحد منهم على الآخرين.

فما هي طريقة القوم اليوم الذين يتهموننا بأننا لا نأخذ باجتهادات الأئمة وما هي طريقتنا؟!!

إذا علمتم أن طريقتنا هي الأخذ عن كل إمام ولس فقط الأئمة الأربعة، فإن الله عز وجل قد تفضل على أمة محمد ﷺ بأئمة من أمثال الأئمة الأربعة بالعشرات بل بالمئات بل بالألوف المؤلفة فالذين يأخذون بطريقة اتباع الكتاب والسنة، فهم الذين يأخذون باجتهادات الأئمة ، أما الذي يقلدون مذهبًا معينًا، فهؤلاء لا يستفيدون من الأئمة الآخرين، ولا يأخذون باجتهاداتهم.

إذًا فقد ظهر أنني كما قلت لكم آنفًا:

غيري جنى وأنا المعذب فيكم . . . . . .

غيري الذي لا يأخذ باجتهاد الأئمة وليس أنا، أنا آخذ باجتهادات الأئمة كلهم دون تفريق بين واحد والآخر منهم.

ثم لابد هنا من التنبيه: إلى أن هذه الطريقة التي نسلكها نحن في عدم التعصب لإمام على إمام هي الطريقة التي خطها ونهجها نفس الأئمة الأربعة وغيرهم خطوها للمسلمين ؛ لأن ذلك هو الذي يقتضيه الكتاب والسنة، ألا نقلد شخصًا معينًا ؛ لأن الشخص المعين معرض للخطأ والصواب، ونحن فيه نقول خطأ لا نعني الغمز ولا اللمز ولا الطعن كما يتهمنا أولئك الناس، وإنما نعني أنه - أي المجتهد من هؤلاء المجتهدين - إما أن يؤجر أجرين، وإما أن يؤجر أجرًا واحدًا، فإذا أُجر أجرًا واحدًا فذلك يساوي عندنا أخطأ ،وأخطأ يساوي عندنا أُجر أجرًا واحداً ،فالناس في جملة ما اضطربت عندهم من مفاهيم وخرجوا عن الفهم الصحيح للكتاب والسة؛ أن المسلم إذا قال في حق رجل عالم: «أخطأ » اعتبر هذا طعنًا في الذي قيل فيه إنه أخطأ وهذا جهل.=

. . . . . .

= قال الرسول ﷺ في أبي بكر في قضية : «أخطـأت» هل طعن الرسول في صاحبه في الغار؟ حاشا ، بل لقد قال في بعض أصحابه حينما أفتى فتوى فأخطأ فيها «كذب فلان» ، وكذب في اللغة العربية التي نكاد أن ننساها معناها هذه الكلمة كذب: أي أخطأ. . .

فالخلاصة: والبحث في هذا طويل :

نحن نحترم الأئمة كلهم، ونأخذ باجتهادهم ، وليس باجتهاد واحد منهم.

وعلى العكس من ذلك كل متمذهب ، إذا قال: نحن نحترم الأئمة ونعظمهم ، فهو منافق يقول ما لا يعتقد.

في كتب المذهب ـ بصورة خاصة ـ يقول ابن عابدين:

إذا سُئلنا عن مذهبنا قلنا مذهبنا صواب يحتمل الخطأ، وإذا سئلنا عن مذهب غيرنا، قلنا: خطأ ـ كله، مذهب غيرنا ـ أنا حنفي!! مذهبي كله صواب يحتمل الخطأ ، ومذهب غير أبي حنيفة مذهب مالك والشافعي وأحمد والثوري وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم كل هؤلاء مذهبهم خطأ يحتمل الصواب!!

هذا قولهم مسطورًا مطبوعًا، أما إذا قلنا : فلان أخطأ في هذه المسألة، ونعني أُجر أجرًا واحدًا، يا غيرة الله!!

أما المطبوع في الكتب كل المذاهب خطأ إلا مذهبنا هذا معليش هذه عقيدة يجب أن يعتقدوها!!!

خلاصة القول: رمتني بدائها وانسلت، نحن نتبع الأئمة، ليس المقلدون هم الذين لا يتبعون أبدًا واحترامهم للأئمة إن أرادوا أن يكونوا صادقين فعليهم أن يثبتوا لنا ، في ماذا اتبع الحنفي الشافعي؟ في أي مسألة ؟ وفي أي مسألة أتبع الإمام مالكًا؟ وفي أي مسألة أتبع الإمام أحمد؟ حتى نعتقد أنهم يحترمون الأئمة أما أن يظل يعيش أحدهم لا يحيد قيد شعرة عن مذهبه، ولا يعترف بما قيمة شعرة في المذاهب الأخرى صواب، وهو حين يقول : إنه يحترم الأئمة يحتاج إلى ما يدعمه لنصدقه.

أما نحن، واقعنا فيشهد أننا نحترم الأئمة كلهم، أنا مثلاً رجل حنفي، في بلادي لا يُعرف إلا المذهب الحنفي ، والإسلام كله مذهبه الحنفي هناك، وربنا عز وجل إتفضل علينا وألهم أبانا فهاجر بنا لنتعلم اللغة العربية ، ونتعلم الإسلام من مصدريه الصافيين ، الكتاب والسنة ، فقد عرفنا الأئمة فضلهم وعلمهم وإلى آخره. . فأنا حنفي تعلمت في الفقه الحنفي: مكروه رفع اليدين عند الركوع والرفع منه، وقيل: إنه حرام، وقيل : إن الصلاة باطلة إذا رفعت يديك عند الركوع والرفع منه، وهذا مسجل في الكتب وهي مطبوعة ، لما تبينت لي السنة في رفع اليدين ـ وجدت الإمام الشافعي

قال العلامة بن عبد البر رحمه الله تعالى (٢/ ١٧٢):

«فعليك يا أخي بحفظ الأصول والعناية بها، واعلم أن من عني بحفظ السنن والأحكام المنصوصة في القرآن ، ونظر في أقاويل الفقهاء فجعله عونًا له على اجتهاده ، ومفتاحًا لطرائق النظر وتفسيرًا لجمل السنن المحتملة للمعاني، ولم يقلد أحدًا منهم تقليد السنن التي يجب الانقياد إليها على كل حال، دون نظر ، ولم يرح نفسه مما أخذ العلماء به أنفسهم من حفظ السنن وتدبرها، واقتدى بهم في البحث والتفهم والنظر، وشكر لهم سعيهم فيما أفادوه ونبهوا عليه، وحمدهم على صوابهم الذي هو أكثر أقوالهم، ولم يبرئهم من الزلل كما لم يبرؤوا أنفسهم منه فهذا هو الطالب المتمسك بما عليه السلف الصالح، وهو المصيب لحظه ، والمعاين لرشده ، والمتبع لسنة نبيه ﷺ وهدي صحابته رضي الله عنهم.

ومن أعفَّ نفسه من النظر، وأضرب عما ذكرنا ، وعارض السنن برأيه، ورام أن يردها إلى مبلغ نظره، فهو ضال مضل ، ومن جهل ذلك كله أيضًا ، وتقحم في الفتوى بلا علم، فهو أشد عمى، وأضل سبيلاً».

فهذا هو الحق ليس به خفاء فدعني عن بنيات الطريق

٤ـ ثم إن هناك وهمًا شائعًا عند بعض المقلدين يصدهم عن اتباع السنة التي تبين لهم أن المذهب على خلافها، وهو ظنهم أن اتباع السنة يستلزم تخطئة صاحب المذهب، والتخطئة معناها عندهم الطعن في الإمام ، ولما كان الطعن في فرد من أفراد المسلمين لا يجوز، فكيف في إمام من أئمتهم؟!

= والإمام أحمد والإمام مالك أيضًا ـ أخذناها إما من الجمهور كمالك والشافعي وأحمد أو تارة عن الشافعي دون مالك ، وتارة عن مالك دون الشافعي ، وتارة عن أحمد دون هذا وهذا ، هو احترامنا للأئمة لكن هم تارة بقصد سيء، وتارة بسوء فهم، وقد يكون القصد حسنًا، يتوهمون أننا إذا قلنا القول بأن رفع اليدين في الصلاة مكروه خطأ طعن في الإمام أبي حنيفة، لا ما طعنا في الإمام أبي حنيفة، إذا أنتم شو بتقولوا؟ مذهبنا كله صواب يحتمل الخطأ، إذًا طعنتم في الأئمة كلهم في أقوالهم كلها، معليش هكذا يعني يجمعون بين متناقضات في أذهانهم، نسأل الله عز وجل أن يهدينا وإياهم لاحترام الأئمة واتباعهم حسب منهجهم هم لا حسب المقلدين تقليدًا أعمى».

والجواب: أن هذا المعنى باطل، وسببه الانصراف عن التفقه في السنة، وإلا فكيف يقول ذلك المعنى مسلم عاقل؟! ورسول الله ﷺ هو القائل: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد**»[(١)] فهذا الحديث يرد ذلك المعنى، ويبين بوضوح لا غموض فيه أن قول القائل: «أخطأ فلان» معناه في الشرع: «أثيب فلان أجرًا واحدًا»، فإذا كان مأجورًا في رأى من خطَّأه، فكيف يتوهم من تخطئته إياه الطعن فيه؟! لا شك أن هذا التوهم أمر باطل يجب على كل من قام به أن يرجع عنه، وإلا فهو الذي يطعن في المسلمين ، وليس في فرد عادى منهم، بل في كبار أئمتهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المجتهدين وغيرهم ، فإننا نعلم يقينًا أن هؤلاء الأجلَّة كان يخطئ بعضهم بعضًا، ويرد بعضهم على بعض[(٢)] أفيقول عاقل: إن بعضهم كان يطعن في بعض، بل لقد صح أن رسول الله ﷺ خطَّأ أبا بكر رضي الله عنه في تأويله لرؤيا كان رآها رجل، فقال ﷺ له : «**أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا**»[(٣)] فهل طعن ﷺ في أبي بكر بهذه الكلمة؟!

ومن عجيب تأثير هذا الوهم على أصحابه، أنه يصدهم عن اتباع السنة المخالفة لمذهبهم ؛ لأن اتباعهم إياها معناه عندهم الطعن في الإمام ، وأما اتباعهم إياه ـ ولو في خلاف السنة ـ فمعناه احترامه وتعظيمه! ولذلك فهم يصرون على تقليده، فرارًا من الطعن الموهوم.

ولقد نسى هؤلاء ـ ولا أقول : تناسوا ـ أنهم بسبب هذا الوهم وقعوا فيما هو شر مما منه فروا ، فإنه لو قال لهم قائل: إذا كان الاتباع يدل على احترام المتبوع، ومخالفته تدل على الطعن فيه، فكيف أجزتم لأنفسكم مخالفة سنة النبي ﷺ ، وترك اتباعها، إلى اتباع إمام المذهب في خلاف السنة، وهو غير معصوم ، والطعن فيه ليس كفرًا؟! فلئن كان

---

(١) البخاري ومسلم.

(٢) انظر كلام الإمام المزني المتقدم آنفًا (ص ٤٠ ، ٤١) ،وكلام الحافظ ابن رجب المتقدم (ص٣٢).

(٣) البخاري ومسلم ، وراجع سببه وتخريجه في «الأحاديث الصحيحة» (١٣١).

عندكم مخالفة الإمام تعتبر طعنًا فيه، فمخالفة الرسول أظهر فيه كونها طعنًا فيه، بل ذلك هو الكفر بعينه، والعياذ بالله منه، لو قال لهم ذلك قائل لم يستطيعوا عليه جوابًا، اللهم إلا كلمة واحدة طالما سمعناها من بعضهم ، وهي قولهم: إنما تركنا السنة ثقة منا بإمام المذهب، وأنه أعلم بالسنة منا.

وجوابنا على هذه الكلمة من وجوه يطول الكلام عليها في هذه المقدمة؛ ولذلك فإني أقتصر على وجه واحد منها ، وهو جواب فاصل بإذن الله فأقول:

ليس إمام مذهبكم فقط هو أعلم منكم بالسنة، بل هناك عشرات بل مئات الأئمة هم أعلم أيضًا منكم بالسنة، فإذا جاءت السنة الصحيحة على خلاف مذهبكم، وكان قد أخذ بها أحد من أولئك الأئمة فالأخذ بها والحالة هذه حتم لازم عندكم؛ لأن كلمتكم المذكورة لا تتفق هنا، فإن مخالفكم سيقول لكم معارضًا: إنما أخذنا بهذه السنة ثقة منا بالإمام الذي أخذ بها، فاتباعه أولى من اتباع الإمام الذي خالفها، وهذا بين لا يخفى على أحد إن شاء الله تعالى.

* * *

تأصيل الشيخ الألباني للمنهج السلفي
في محاضرة له عن معالم وقواعد المنهج السلفي

قال الشيخ الإمام رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وخير الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد:

فإن خير ما نستفتح به كلمتنا هذه إنما هو قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

إن هذه الآية الكريمة هي الأساس الذي ينبغي لكل مسلم أن ينطلق منها لمعرفة الدعوة.

ظهور اصطلاح الدعوة السلفية قديماً وحديثاً:

اصطلح بعض العلماء قديمًا وحديثًا على تسميتها بـ «الدعوة السلفية» وقد يسميها بعضهم بدعوة أنصار السنة المحمدية وآخرون بدعوة «أهل الحديث»، وكلها أسماء تدل على معنى واحد، هذا المعنى الواحد طالما غفل عنه جماعاتٌ من المسلمين قديمًا وحيثًا ولم ينتبهوا لها، أو أنهم انتبهوا لها ولم يرعوها حق رعايتها.

الدعوة السلفية ترفض الجمود على التقليد المذهبي:

ذلك لأن الناس قد مضى عليهم قرون طويلة وقد ران على قلوبهم الجمود على التقليد المذهبي بين أهل السنة الذين ينتمون إلى أنهم من أهل السنة والجماعة، ران على هؤلاء كلهم في القرون المتأخرة بعد القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية ران عليهم الجمود على التقليد، والتدين بالتقليد فضلاً عن غير أولئك الذين لا ينتمون إلى مذهب أهل السنة والجماعة من الفرق الأخرى التي يشملها قول نبينا ﷺ في الحديث المشهور:

«تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفترق النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة».

قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: **«هي الجماعة».**

وفي رواية مفسرة للرواية الأولى: قال ﷺ :

«هي التي تكون على ما أنا عليه وأصحابي».

الفرقة الناجية هي التي تنتمي إلى الكتاب والسنة قولاً وعملاً:

فإذًا هذا الحديث من الأحاديث الصريحة، التي تدل دلالة واضحة على أن الفرقة الناجية من الفرق الثلاث والسبعين التي أخبرنا رسولنا ﷺ أنها ستقع في هذه الأمة، وخبره ﷺ صدقٌ لأنه كما قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤].

فالفرقة الناجية علاماتها ليست فقط كما تدعي جماعاتٌ أخرى في هذا الزمان، هذه الفرقة ليست علامتها فقط أنها تنتمي إلى العمل بالكتاب والسنة، فإن هذا الانتماء لا يستطيع أحدٌ من المسلمين ـ ولو كانوا من الفرق الخارجة عن الفرقة الناجية ـ لا تستطيع أي فرقة من تلك الفرق قديمًا أو حديثًا أن تتبرأ من الانتماء إلى الكتاب والسنة، لأنها إن فعلت؛ فقد رفعت علم الخروج عن الإسلام، ولذلك كل الجماعات الإسلامية وكل الفرق الإسلامية هذه الفرق التي ذكرها الرسول ﷺ أو أشار إليها في الحديث السابق كلها تشترك على كملة واحدة ألا وهي الانتماء إلى الكتاب والسنة.

السلفيون هم الذين ينتمون إلى الكتاب والسنة وبما كان عليه النبي ﷺ

أما الذي أشرنا إليهم في مطلع هذه الكلمة من السلفيين وغيرهم ممن ينحون منحاهم، وقد يُسمون بغير هذا الاسم فهؤلاء يختلفون عن كل الطوائف الإسلامية الأخرى، بأنهم ينتمون إلى شيء آخر، هذا الشيء الآخر: العصمة من الخروج عن الكتاب والسنة باسم التمسك بالكتاب والسنة ألا وهو التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم من أتباعهم وأتباع أتباعهم ، ألا وهم القرون المشهود لهم بالخيرية في الحديث الصحيح، بل الحديث المتواتر الذي قاله رسول الله ﷺ ألا وهو:

«خير الناس قرني ثم الذي يلونهم».

فأتباع هؤلاء الجيل الأول، جيل الصحابة الأبرار الأطهار، ثم الذين جاءوا من بعدهم يقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾[الحشر: ١٠]، هؤلاء لابد لكل من أراد أن يكون من الفرقة الناجية، لابد أن ينتهي إلى العمل بما كان عليه هؤلاء الصحابة والتابعون وهم السلف الصالح الذين نحن نقتدي بهم.

وجوب الاقتداء بالسلف الصالح:

وليس هذا الأمر من وجوب الاقتداء بهؤلاء السلف الصالح بالأمر المبتدع، بل هو الأمر الواجب الذي جاءت الإشارة إليه، بل التصريح به في مثل قوله تبارك وتعالى:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ

وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ [الساء: ١١٥].

فالله تبارك وتعالى قد ذكر في هذه الآية تحذيرًا شديدًا عن مخالفة الرسول ﷺ ومشاقته ، ثم عطف على ذلك فقال: ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ولا شك أن هؤلاء المؤمنين الذين حذَّر الله تبارك وتعالى الناس من المسلمين أن يخالفوا سبيل المؤمنين، لا شك أن هؤلاء إنما هم الذين ذُكروا في الآية السابقة:

﴿ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

فقد رضي الله عنهم ، ورضوا عن ربهم.

ذلك هو المعيار الذي يفرق بين المسلم الذي ينتمي بلسانه إلى الكتاب والسنة ، ثم قد يُخالف الكتاب والسنة حينما لا يرجع إلى العصمة مخالفة الكتاب والسنة ، ألا وهو التمسك بما كا عليه أصحاب النبي ﷺ .

فأنتم الآن أمام نصٌ من الآية ومن الحديث الصحيح، ذكرت الآية سبيل المؤمنين ، وذكر النبي ﷺ أصحابه، كما ذكر سنة الخلفاء الراشدين في الحديث الآخر الصحيح الذي رواه جماعة من أصحاب السنن، منهم: أبو داود ، والترمذي، والإمام أحمد، وغيرهم: عن العرباض بن سارية قال:

وعظنا رسول الله ﷺ موعظة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا يارسول الله ! كأنها وصية مودِّع، فأوصنا ، قال: «**أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة، وإن ولي عليكم عبدٌ حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعد، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**».

وفي الحديث الآخر: «**وكل ضلالة في النار**».

فتجدون النبي ﷺ في هذا الحديث أيضًا عطف سنة الخلفاء الراشدين على سنته ﷺ ، فهذا الحديث يلتقي مع حديث الفرقة الناجية، ويلتقي مع قوله تعالى في الآية الثانية، ألا وهي قوله تبارك وتعالى:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

ولذلك فلا يجوز للمسلم باسم اتباع الكتاب والسنة أن يتبع آراءً أو أقوالاً تخالف ما كان عليه سلفنا الصالح، ذلك لأن ما كانوا عليه تبيانٌ للكتاب والسنة، وأنتم تعلمون جميعًا أن السنة هي بنص القرآن الكريم تبيانُ للقرآن الكريم، كما قال الله تعالى مخاطبًا شخص النبي ﷺ بقوله: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤].

فكما أن النبي ﷺ تولى بيان القرآن بسنته، وسنته تنقسم إلى ثلاثة أقسام: إلى قول، وفعلٍ، وتقريرٍ.

وهذه السنة ليس لنا طريقٌ إلى الوصول إليها والتعرف عليها إلا من طريق أصحاب النبي ﷺ، ولذلك فلا سبيل إلى أن يكون المسلم من الفرقة الناجية إلا بأن يتبع الكتاب والسنة وعلى ما كان عليه السلف الصالح، هذا الأمر الثالث يجب أن يكون ثابتًا في أذهان المسلمين كلهم إذا كانوا صادقين في أن يكونوا من الناجين يوم القيامة: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ [الشعراء: ٨٨].

كثير من الجماعات اليوم لا تعتمد على فهم السلف للكتاب والسنة!!:

ونحن اليوم نعيش مع جمعاتٍ كلها تدّعي أنها تنتمي إلى الإسلام، وكلها تعتقد أن الإسلام هو القرآن والسنة، ولكن الجماهير منهم لم يرتضوا الاعتماد على ما سبق بيانه من الأمر الثالث، ألا وهو سبيل المؤمنين، سبيل الصحابة المكرمين، ومن تبعهم بإحسان من التابعين وأتباعهم، كما ذكرنا آنفًا في الحديث: «**خير الناس قرني**».. إلى آخره.

عدم الاعتماد على فهم السلف الصالح يؤدي إلى الفرقة في الدين:

ولذلك فعدم الرجوع إلى ما كان عليه سلفنا الصالح من المفاهيم ومن الأفكار والآراء، وهو السبب الأصيل الذي جعل المسلمين يتفرقون إلى مذاهب شتى وطرائق قددًا.

فمن كان يريد حقًا الرجوع إلى الكتاب والسنة، فيلزمه الرجوع إلى ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ والتابعين وأتباعهم من بعدهم.

وأنتم تسمعو في كثير من المناسبات أقوالاً يتلفظ بها بعض من ينتمي إلى العلم، ولكن ليس هذا هو العلم الذي طريقه ما ذكرته آنفًا، الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة، وإنما يعنون بالعلم ما يفهمونه هم من الكتاب والسنة دون أن يرجعوا إلى العصمة التي تحفظهم من أن يكونوا من الفرق الضالة.

لذلك تجدون وتسمعون في بعض ما يُنشر ويُطبع في العصر الحاضر، من رسائل أو من مقالات، أن كثيرًا من هؤلاء الذين يدَّعون العلم، أو ينتمون إلى العلم، أو يزعم الجماهير أنهم من أهل العلم، تسمعون منهم من يقول مخالفًا لكل هذه الأدلة التي ذكرنا آنفًا يقول: «**مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وأحكم**».

هذا إعلان صريح مفضوح بأن هذا القائل وأمثاله، لا يرجعون إلى ما ذكرنا آنفًا من النصوص ، التي توجب عليهم أن يلتفتوا إلى ما كان عليه السلف أصحاب النبي ﷺ من الهدى والنور.

فقول هؤلاء: **إن علم السلف أسلم وعلم الخلف أعلم وأحكم.**

معنى ذلك : أنهم أعرضوا عن اتباع السلف الذين أمر النبي ﷺ باتباع سنتهم.

المحاذير التي يقع فيها من يعرض عن منهج السلف الصالح :

ولئن أردتم بعض الأمثلة التي تبين الفرق بين من يتخذ هذا المنهج ـ السلف الصالح ـ مهجًا لهم، وبين أولئك الذين يُعرضون عن هذا المنهج إلى اتباع الخلف، بزعم أنهم أعلم وأحكم ، نقول:

على سبيل المثال: تجدون هؤلاء الذين لا يلتفتون إلى معرفة ما كان عليه سلفا الصالح، يأتون بأقوال وبأفكار وبمذاهب نقطع ببطلانها وبمخالفتها للكتاب والسنة ، لأنها على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة والتابعون لهم بإحسان.

تفريق الخلف بين أحاديث الآحاد والأحاديث المتواترة :

من أوضح الأمثلة على ذلك، والتي يلهج بها بعض الناس في العصر الحاضر:

تفريقهم بن حديث الأحاد وبين حديث المتواتر .

إن هذا التفريق من أبرز الأدلة على خروجهم عن اتباع السلف الصالح، لأنهم لا يعرفون شيئًا اسمه حديث متواتر وحديث آحاد.

وبخاصة أن هؤلاء الخلف الذين اصطلحوا على هذا التفريق بين الحديث الآحاد وأحاديث المتواتر بنوا على ذلك حكمًا شرعيًا.

فقالوا: بأن الحديث الآحاد ولو كان صحيحًا إذا كان قد تضمن عقيدة فلا يُوخذ بهذا الحديث ولو كان صحيحًا ، إلا إذا بلغ مبلغ التواتر.

هذا التقسيم الذي رتب عليه هذا الحكم هو التفريق بين العقيدة، فلايؤخذ فيها بحديث الآحاد، وبين الأحكام ، فُيؤخذ فيها بحديث الآحاد.

هذا التقسيم ، من دَرَسَ ما كان عليه الصحابة، وما كان عليه أتباعهم من بعدهم، يقطع يقينًا بأن مثل هذا التقسيم هو دخيل في الإسلام، وهي فلسفة يتبرأ منها الإسلام، وكلنا يعلم، وهو يعلمون أيضًا ولكنهم يجحدون ، كما قال الله عز وجل في غيرهم: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾ [النمل: ٤٤].

الدليل على حجية حديث الآحاد

فإنهم جميعًا يعلمون أن النبي ﷺ كان يُرسل أفرادًا من أصحابه ﷺ ، يدعون الناس إلى الإسلام ، وليس الإسلام إلا ما جاء به الرسول ﷺ شاملاً كما لا خلاف في ذلك ، بينما كان عقيدة ، وبينما أحكامًا.

ومن الأمثلة المشهور: في السنة الصحيحة التي يعرفونها ، ثم ينحرفون عنها: إرسال النبي ﷺ إلى اليمن تارةً معاذًا ، وتارةً أبا موسى الأشعري، وتارةً عليًا.

ماذا كان يفعل هؤلاء الصحابة حينما أرسلهم رسول الله ﷺ إلى اليمن؟ لا شك أنهم كانوا يدعونهم إلى الإيمان بالله ورسوله، وهو أصل كل عقيدة ، ثم إلى الإسلام الذي جاء به ﷺ .

وقد جاء في « صحيح البخاري » وفي « صحيح مسلم » من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ لما أرسل معاذًا إلى اليمن، قال له:

«ليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فإذا هم أطاعوك فمرهم بالصلاة..» إلى آخر الحديث .

ففيه أن النبي ﷺ أمر معاذًا وهو فردٌ، وحديثه في اصطلاح المتأخرين: حديث آحاد، فأمره ﷺ أن يكون أول ما يدعوهم إليه: الاعتقاد بالله وحده لا شريك له: **«فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله»** فإذا أنتم قابلتم هذا الحديث المجمع على صحته بين المسلمين قاطبة، بين متبعين للسلف، والمخالفين لهم، يعتقدون معنى أن النبي ﷺ أرسل معاذًا إلى اليمن ، وأمره أن يدعوهم إلى شهادة ألا لا إله إلا الله ، فكيف يعتقدون بصحة هذا الحديث ثم يقولون إن حديث الآحاد لا يؤخذ به في العقيدة.

من هنا يتبين لكم أن الحيد عمَّا كان عليه أصحاب النبي ﷺ من انتشارهم في الآفاق، ودعوة الاسلام ، دون فلسفة التفريق بين حديث التواتر وحديث الآحاد ، هذه المسألة وحدها تكفي لتبين لكل مسلم عاقل خطر الانحراف عن اتباع الكتاب والسنة وعن منهج السلف الصالح.

لذلك كان لزامًا على كل من يريد أن يكون على هذا المنهج السلفي كما يدرس الكتاب والسنة فعليه أن يدرس أيضًا ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم، لأنهم هم الذين نقلوا إلينا هذه الدعوة على الوجه الصحيح.

كثير من العقائد ثبتت بأحاديث آحاد، فعدم الاحتجاج بأحاديث الآحاد يؤدي إلى عدم الأخذ بهذه العقائد:

وهذا المثال بين أيديكم ؛ تفريقهم بين حديث الآحاد وحديث التواتر، فهم يقولون بأن العقيدة لا تؤخذ إلا من حديث التواتر، ولقد وقعوا في بعض الأحيان في متناقضات عجيبة جدًا، وذلك بسبب ابتعادهم عن هذا المنهج السلفي ، فإنَّ بعض النصوص الشرعية تتضمن في آن واحد عقيدة وحكمًا ، كمثل قوله ﷺ : والحديث في «الصحيحين»

«إذا جلس أحدكم في التشهد الأخير، فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال».

هذا الحديث فيه أمرٌ بالاستعاذة من هذه الأربع، فهي مسألة فيها حكم من أحكام الشريعة، وهم معنا على أن حديث الآحاد تثبت به الأحكام الشرعية، لذلك لا يسعهم إلا أن يأخذوا بهذا الحديث وفيه الأمر بالاستعاذة من الأربع، أعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرِّ فتة المسيح الدجال، فهل يعتقدون بعذاب القبر؟

هنا يقعون كما يُقال: «في حيص بيص»، عذاب القبر عقيدة، وعذاب القبر في اعتقادهم لم يثبت بحديث متواتر، ولذلك فهم لا يعتقدون بعذاب القبر، اللهم إلا ما جاء في ذكر آية في القرآن في حق فرعون: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر: ٤٦].

هذه النار يقولون: عذاب فرعون وآل فرعون، أما عامة الكفار أولاً، ثم المسلمون الذين ثبت في حقهم شيء من عذاب القبر؛ فهذا مما لا يؤمنون به، وما ذاك إلا انطلاقًا من تلك العقيدة الباطلة، وهي قولهم: إن الحديث الصحيح ما لم يكون متواترًا لا تثبت به عقيدة، ولذلك فهم ينكرون أحاديث كثيرة وكثيرة جدًا، بزعم أنها لم تصل مرتبة التواتر.

فأنتم مثلاً تعلمون إن شاء الله حديث البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ بقبرين، فقال:

«أما إنهما ليعذبان وما يعذنا في كبير، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر لا يستنزه ـ وفي رواية ـ لا يستتر ـ من البول».

ثم أمر النبي ﷺ بأن يؤتى له بغصن من نخيل، فشقه شقين وضع على رأس كل قبر منهما شقًا، وسألوه عن ذلك، فقال: **«لعل الله عز وجل يخفف عنهما ما دام رطبين».**

هذا الحديث في «صحيح البخاري»، وتسمعون أن النبي ﷺ صرَّح فيه بأنَّ هذين مسلمان، ومع ذلك فهما يُعذبان، فدعا الرسول ﷺ لهما بأن يخفف الله عنهما العذاب بقدر ما بقي هذا الغصنان رطبين.

كذلك هناك حديث آخر، يقول فيه النبي ﷺ: **«استنزهوا من البول، فإن أكثر عذاب**

القبر من البول».

وهكذا ، فالأحاديث كثيرة وكثيرة جدًا.

من ذلك أيضًا ولا أطُيل قوله ﷺ لما مرَّ بقبرين لمشركين ماتا في الجاهلية، قال ﷺ :

«لولا أن لا تدافنوا لأسمعتكم عذاب القبر».

مع ورود هذه الأحاديث في عذاب القبر بالنسبة لبعض المشركين ولبعض المسلمين، مع ذلك عُطِّلت هذه الأحاديث، ولم يُعتقد بها وبمضمـوها ، بفلسفة أنها أحاديث آحاد، فماذا كان موقفهم بالنسبة لحديث أبي هريرة رضي الله عنه. **«إذا جلس أحدكم في التشهد الأخير فليستعذ بالله من أربع...».**

منها: عذاب القبر، إن استعاذوا بالله من عذاب القبر تنفيذًا لهذا الحكم الشرعي، وهو واجبـهم، لأنهم لا يختلفون معنا فـي أنه يجب الأخذ بحديث الآحاد في الأحكام، فـهذا حكمٌ شرعي، أمرنا الرسول ﷺ أن ندعو بهذا الدعاء في التشهد الأخير، فإن هم أخذوا به كما هو قولهم، وقولهم الحق لأنه مـعنا، فكيف يأخذون به وهم لا يؤمنون بعذاب القبر ـ لا يصدِّقون بعذاب ـ ؟

فإذًا ؛ هم حـيارى ضالين منحرفين بسـبب الفلسفة التي خرجـوا بها عمَّا كـان عليه أصحاب النبي ﷺ ، من عدم التفريق بين الأحاديث وجعلها تواتر.

موقف السلف والأئمة الأربعة من هذه المسألة :

لا تفريق عند الـسلف إطلاقًا، ولا عند أحد من الأئمـة الأربعة الذين اتبـعوا السلف الصالح في عقـائدهم، إلا من انحرف من أتباع الأتباع من بعض الفرق الضالة، كـالمعتزلة والخوارج ونحو ذلك ، فهؤلاء خالفوا سبيل المؤمنين فحق فيهم وعيد رب العالمين:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

هذا مثال واضح جدًا يؤكـد لكم أن التمسك بالكتاب والسنة وحده لا يفـيدهم ، فقد

أنكروا السنة فيما يتعلق بما سمُّوه بحديث الآحاد، فالعصمة : التمسك بما كان عليه السلف، لذلك نجد أحد أئمتنا والذين لهم الفضل في إرشادهم إيانا إلى التمسك بهذا المنهج ـ منهج السلف الصالح ـ في فهم الكتاب والسنة، وأعني : ابن القيم رحمه الله الذي جمع هذا المعنى في بيت له من الشعر فقال رحمه الله:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة .....

لم يقتصر على قوله: «العلم قال الله قال رسوله» ، بل أضاف إليهما: «قال الصحابة»، وقد عرفتم السبب في ذلك: الآية والأحاديث الصحيحة التي تدل على أن الفرقة الناجية هي التي تتمسك بما كان عليه السلف أصحاب النبي ﷺ .

لذلك قال ابن القيم رحمه الله:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه

ما لعلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأى فقيه

كلا ولا جحد الصفات ونفيها حذراً من التعطيل والتشبيه

وفي هذا البيت الثاني من بيتي ابن القيم رحمه الله إشارة إلى مثال آخر غير المثال الأول، الذي يتعلق بتفريقهم بين حديث الآحاد وحديث التواتر، فلا يأخذون بحديث الآحاد في العقيدة ، مع أن هذا خلاف ما كان عليه السلف من الأخذ بكل الأحاديث في كل ما يتعلق في الإسلام سواء كان عقيدة أو حكمًا.

يشير ابن القيم رحمه الله في قوله:

كلا ولا جحد الصفات ونفيها حذراً من التعطيل والتشبيه

مخالفة الخلف لمذهب السلف في الصفات:

فإن من المنهج الذي سلكه هؤلاء الخلف ، خلافًا لمنهج السلف هو: تأويل الآيات وعدم اتباعها كما جاءت دون تأويل ودون تعطيل ، فالسلف رضي الله عنهم ومنهم الأئمة الأربعة ـ قد ذهبوا في موقفهم من آيات الصفات وأحاديث الصفات إلى الإيمان بحقائق

معانيها ، دون تشبيه، ودون تعطيل.

التشبيه من مذهب المشبِّهة، والتعطيل من مذهب المؤوِّلة، أما السلف فقد جمعوا إثبات معاني الصفات على حقائقها، مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهته للحوادث، والنص القرآني في ذلك صريح ـ كما تعلمون ـ ، ألا وهو قوله عز وجل:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

ليس كمثله شيء: تنزيه، فوقعوا في التعطيل : وهو إنكار صفات الله عز وجل إلى عباده ، حينما وصف نفسه ببعض الآيات وفي بعض الأحاديث ، فعطل الخلف معاني هذه الآيات ، لإخراجها عن معانيها الظاهرة.

زعموا أنهم فعلوا ذلك من باب التنزيه ، فخالفوا الآيات ، وخالفوا السلف الصالح الذين كانوا يُمرونها على معانيها الظاهرة والمعروفة في اللغة العربية، مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهته للمخلوقات.

القاعدة السلفية في إثبات الصفات:

وأنتم تعلمون أن من الأئمة الأربعة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه، فقد أصبح معلومًا لدى الخاصة والعامة ما ثبت عنه بالسند الصحيح: جاء رجلٌ يسأله قال: يا مالك، ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، أخرجوا الرجل فإنه مبتدع.

لقد أجاب هنا الإمام مالك رحمه الله بجواب شاف واف، حيث بيَّن أن الاستواء في اللغة العربية معلوم، وهو العلو أي أن قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]. يعني : استعلى.

ولذلك يقول كل مسلم يعبد الله ساجدًا: سبحان ربي الأعلى، فأجاب مالك بأن الإستواء المذكور في الآية معلوم لغةً ، لكن أنت تسأل عن التكييف كيف استوى؟

الكيف مجهول، لأن الحق أن صفات الله عز وجل يُقال فيها ما يُقال في ذاته عز وجل، فكما أن كل مسلم يُثبت وجود الله تعالى ذاته، كذلك يثبت صفاته عز وجل، وكما

أنه عاجزٌ عن أن يكيف ذات الله تبارك وتعالى، فكذلك هو عاجزُ أن يكيف شيئًا من صفات الله تبارك وتعالى، ولذلك قال: والكيف مجهول والسؤال عنه ـ أي عن الكيف ـ بدعة، فأنت مبتدع، لذلك أمر بطرد الرجل من ذلك المجلس الذي كان فيه مالك رحمه الله تبارك وتعالى.

فإذًا مذهب السلف: الإيمان بآيات الصفات وأحاديث الصفات على المعنى اللغوي، دون تأويل لأنه تعطيل، ودون تشبيه لأنه ينافي التنزيه المصرَّح به في قوله تعالى: ﴿ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

التعطيل عند أهل البدع من الروافض والأشاعرة والماتريدية والمعتزلة:

إن بعض المذاهب الموجودة اليوم على وجه الأرض بعضها ليست من أهل السنة، كالرافضة (١) وأمثالهم، فهم معطلة فيما يتعلق بالصفات الإلهية، أي إنهم على مذهب المعتزلة قديمًا، والمعتزلة قد أوَّلوا كثيرًا من الآيات التي خالفهم فيها بعض الخلف من الأشاعرة والماتريدية، أي أن الأشاعرة والماتريدية يلتقون مع المعتزلة في تأويلهم، وهو في الواقع ضلال وقعوا فيه، من حيث أرادوا في زعمهم الفرار من الضلال حينما فسروا قوله تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾. أي قالوا: «استولى».

لا أريد أن أقف ها هنا، قد أعود إليه إن ساعد الوقت، لكن أريد أن ألفت النظر إلى أن بعض الفِرقَ من الذين يتمسكون بمذهب الخلف في الآيات ـ آيات الصفات وأحاديث الصفات ـ يلتقون مع المعتزلة في تأويل بعض هذه الآيات، ويخالفونهم في بعضها، من هذه الآيات:

أن المعتزلة حينما وقفوا عند الآية السابقة: ﴿ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ﴾ في الآية كما ترون تنزيه لله عز وجل، وإثبات له صفتي السمع والبصر، ماذا قالت المعتزلة في هاتين الصفتين؟ هل قالوا كما قال رب العالمين : وهو السميع البصير؟

(١) الرافضة : هم الشيعة .

لا بل تأولوا صفتي السمع والبصر بالعلم ، وهذا هو التعطيل، فقالوا: ليس كمثله شئ تنزيه، فهنا يتفقون معنا في التنزيه، لكنهم غلوا في التنزيه كما أشرتُ آنفًا ، فقالوا والسميع البصير أي العليم. فعطَّلوا السمع والبصر.

أما الماتريدية والأشاعرة الذين يلتقون مع المعتزلة كما ذكرت آنفًا في تأويل بعض آيات الصفات وأحاديث الصفات، فإنهم ها هنا وقفوا مع المذهب السلفي، فقالوا: وهو السميع البصير، أي لله صفة السمع والبصر.

ولكن ماذا فعلوا حينما قيل لهم من المعتزلة هذا تشبيه لأن الإنسان له سمع وله بصر بشهادة القرآن حيث قال عز وجل عن الإنسان الأول آدم عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢].

فقالت المعتزلة : فإذا قلنا بأن لله صفة السمع والبصر فقد شابهناه بالمخلوقات .

أجاب الأشاعرة والماتريدية هنا بجواب السلف الصالح حيث قالوا: نحن نصف الله عز وجل بما وصف به نفسه، فنقول : ﴿ وهو السميع البصير ﴾ ، ولكن : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ .

فنقول لهؤلاء الماتريدية والمعتزلة: كونوا مع السلف الصالح في آيات الصفات وكل أحاديث الصفات، أثبتوا ما أثبت الرب لنفسه من الصفات مع التنزيه؛ ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .

فهل التزموا هذا المنهج؟ !!

حملهم على القاعدة التي ذهبو إليها منحرفين عن الآيات والأدلة المصرحة، أن السلف الصالح رضي الله عنهم ورضوا عنه ـ حيثُ قالوا: علم الخلف أعلم وأحكم أما علم السلف فهو أسلم فقط ـ كأنهم جعلوا علم السلف عبارة عن علم دراويش لا يتعمقون في فهم النصوص، أما الخلف فهم الأعلم وهو الأحكم ، فكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

اضطراب الأشاعرة والماتريدية في الصفات :

فهم في الواقع مضطربون أشدَّ الاضطراب ،فهم تارة سلفيون في بعض الصفات ، والمثال بين أيديكم قالوا: ﴿وهو السميع البصير﴾ . له صفة السمع والبصر، لكن سمعه ليس كسمعنا، وبصره ليس كبصرنا.

قلنا: هذا حق ، فلماذا لم تقولوا : الرحمن استوى؟!

استوى: أي «استعلى» استعلاءً يليق بكماله، وإنما تأولتم الاستعلاء بمعنى «استولى» ، وليتكم لم تؤولوا هذا التأويل ، ووقفتم موقف بعض الناس الآخرين الذين لم يقفوا لا مع عقيدة السلف ولا مع عقيدة الخلف من المعتزلة وغيرهم، فقالوا: نحن نفوِّض(١) .

واقع كثير من الدعاة اليوم يخالف مذهب السلف :

وهنا يجب أن تنتبهوا إلى أن كثيرًا من الدعاة الإسلاميين اليوم، ممن لم يُؤتوا حظًّا من العلم بالكتاب والسنة، يتحاشون الخوض في اتباع السلف فيما نحن في صدده في هذا المثال الثاني، وهو اتباعهم في إيمانهم بآيات الصفات وأحاديث الصفات على المفهوم العربي مع التنزيه.

إنهم لا يريدون أن يكونوا سلفيين ، ولا يريدون أن يكونوا من المعتزلة، فيقولون : نحن نفوض هذه المعاني التي جاءت في آيات الصفات وفي أحاديث الصفات ، فسُمّوا بـ «المفوِّضة».

ومعنى «المفوضة» هنا: هو الجهل بعشرات الآيات والأحاديث التي جاءت عن النبي ﷺ . . . فجهلوا هذه المعاني كلها، قالوا: الله أعلم بمراده، ليت هؤلاء الذين تأولوا الاستواء بقولهم: «استولى» ليتهم صمتوا، وليتهم سكتوا، وفوَّضوا ذلك، لأن الذي فروا

---

(١) يعني يفوضون معنى الصفة، ويقولون إن معناها غير معلوم، وهذا مذهب المعتزلة والأشاعرة، وهو مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة، لأن السلف كانوا يعلمون معاني الصفات ولكن كانوا يفوضون في كيفيتها ، لعدم علمهم بالكيفية ، كما قال الإمام مالك رحمه الله : الإستواء معلوم، والكيف مجهول

منه ـ ما الذي فروا منه؟ إذا قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، وهو: الاستعلاء ، قالوا: الاستعلاء أن الله عز وجل في جهة، أي جهة العلو، فقالوا: إذًا نحن لا نقول بالجهة، فلا نقول بالعلو لله عز وجل، إذًا معنى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ قالوا. . . .

سبحان الله، «استولى» تقتضي باللغة العربية أن هناك كانت توجد مغالبة بين الله عز وجل وبين غيره، ومن يكون هذا الغير سوى بعض خلقه، فاستولى الله على ملكه!! من يقول هذا الكلام؟!!

لقد عرفوا ، وصرح أحد كبارهم من المنحرفين عن السلف الصالح في تأويل آيات الصفات وأحاديث الصفات، لقد صرَّح بأن قولنا تأويل الآية : «استوى » بمعنى «استولى» بسحب معنى المغالبة ، أي لقد عَطَّل نفس المعنى الذي فسر به الآية ، إذا سحبنا معنى المغالبة فلم يبق هناك معنى، وهذا في الحقيقة تعطيل لهذا النص، كما عطَّلوا آيات الصفات وأحاديث الصفات.

من أجل ذلك يعجبني ما روُي عن أحد أئمتنا ابن القيم ـ أو ابن تيمية ـ رحمه الله، أنه قال: إن المجسمة يعبدون صنمًا، والمعطلة يعبدون عدمًا.

يعبدون شيئًا لا وجود له، وهذا في الواقع صريح جدًا حينما ينفون عن الله عز وجل صفة العلو الثابت، ليس في آية الاستواء فقط، بل في آيات كثيرة وأحاديث عديدة لسنا الآن في صددها.

فكُتب أئمة السلف مطبوعة ومنشورة، والحمد لله ، ولكن حسبي أن أذكر الآن ما جاء عن بعض أئمة الخلف، أنه في سبيل الزعم الذي ادعوه من التنزيه لله عز وجل، ونفوا عنه هذه الصفة ـ صفة العلو ـ قالوا: ربنا عز وجل لا يُقال ـ ولا يُوصف ـ بأنه فوق، ولا تحت، ولا يمين ولا يسار، ولا أمام ولا خلف، لا داخل العالم، ولا خارجه، هكذا يقولون في معبودهم ـ الله ـ !!

تقول المعطلة: الله لا فوق، ولا تحت ولايمين ، ولا يسار، لا أمام ، ولا خلف، لا داخل العالم، ولا خارجه!!.

لو قيل ـ لأفصح الناس بيانًا ـ: صف لنا المعدوم ؟ لما استطاع أن يصفه بأكثر مما يصف

هؤلاء المعطلة معبودهم ـ الحق سبحانه وتعالى ـ حيث قالوا: لا فوق ، ولا تحت، ولا يمين، ولا يسار.. إلى آخر هذه العبارة.

ولذلك لما اجتمع بعض علماء الخلف في عهد ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وشكوه إلى الأمير ، الذي كان يومئذ في دمشق، بأن هذا يخالف العلماء، وأنه يجسم الله عز وجل، ويشبهه بالمخلوقات ، طلبوا أن يعقد لهم مجلسًا مع شيخ الإسلام ابن تيمية ، فكان هذا المجلس ، وتناقش شيخ الإسلام مع أولئك الناس الذي هم مخالفون للسلف في آيات الصفات وأحاديث الصفات، والأمير يسمع ما يدَّعيه هؤلاء الخلف ، وما ادّعاه عليهم ابن تيمية من الآيات والأحاديث الصريحة في إثبات صفات الله عز وجل بصورة عامة، وإثبات صفات الله عز وجل، بصوة عامة ، وإثبات صفة العلو بصورة خاصة.

لما سمع ذلك الأمير ـ ويبدو أنه كان ذكيا عاقلا ـ لما سمع وصف أولئك العلماء الخلف لله عز وجل ، بأنه لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار إلى آخر الضلالة التي ذكرناها آنفا ماذا قال ذلك الأمير العاقل ؟ « هؤلاء قوم أضاعوا ربهم » .

فعلاً؛ إذا كانوا لا يدرون أين الله، فإذًا هم جماعة ضالون أضلوا ربهم، حيث إن الله عز وجل وصف نفسه أنه على العرش استوى وتعرج الملائكة والروح إليه:

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: ١٠]. إلى آخر ما هنالك من آيات وأحاديث كثيرة.

الفرق بين المتخرج على مذهب السلف والمتخرج على مذهب الخلف:

وحسبكم أخيرًا ـ لتعلموا الفرق بين من يتخرج من المدرسة السلفية ومن يتخرج من المدرسة الخلفية ـ أن تنظروا:

المدرسة السلفية هي مدرسة محمد ﷺ ، التي تخرج منها أصحابه عليه الصلاة والسلام، فلا جرم أنه عليه الصلاة والسلام أمرنا باتباعهم، كما سبق ذكر الأدلة على ذلك، وإذا أردتم الدليل على من تخرَّج من المدرسة السلفية أنه يكون على هُدى من ربه ولو كان من عامة الناس، وأنه من تخرج من المدرسة الخلفية فهو في ضلال مبين، ولو كان

من أعلم الناس، كأولئك الذين تجمعوا على ابن تيمية رحمه الله في القصة المذكورة آنفًا إذا أردتم أن تتبينوا هذه الحقيقة.

الكلام على حديث الجارية:

فاذكروا معي حديث تلك الجارية، التي كان سيدها قد ضربها وصفعها صفعة، في قصة يرويها سيدها، وهو معاوية بن الحكم السُّلمي، في حديث رواه الإمام مسلم في «صحيحه»[1] فيه طول، فأختصر الآن لموضع الشاهد منه فقط، قال معاوية بن الحكم:

يا رسول الله إن لي جارية ترعى غنمًا لي في أحُد فسطى عليها الذئب يومًا ـ على غنمي ـ وأنا بشر أغضب كما يغضب البشر، فصككتها صكة، وعليَّ عتق رقبة ، فقال عليه الصلاة والسلام: **«ائتني بها»**.

لما جاءت، قال ﷺ: **«أين الله؟»**.

ـ اسمعوا هذا الحديث وعوه وافهموه واحفظوه ـ

قال عليه الصلاة والسلام لها: **«أين الله؟»** ، قالت: في السماء، قال لها: **«من أنا؟»**، قالت أنت رسول الله.

فقال عليه الصلاة والسلام: **«اعتقها فإنها مؤمنة»**[1].

لقد شهد النبي ﷺ لهذه المرأة ـ وهي راعية غنم ـ شهد لها بأنا مؤمنة ، لماذا ؟ لأنها عرفت ربها، وأنه على العرش استوى ، وأنه استعلى على خلقه تبارك وتعالى.

وكيف لا وهي تعيش في مجتمع ، في مدرسة كما يُقال اليوم في لغة العصر الحاضر ـ هي مدرسة محمد ﷺ، وسيدها من تلامذتها ، فهو الذي نقل إليها هذه العقيدة ، ولذلك لما سألها النبي ﷺ هذا السؤال الفاحص لعقيدتها، أجابت بالجواب الصحيح، قالت: الله.

كيف لا وهي إن لم تكن تحفظ سورة تبارك فعلى الأقل سمعت من النبي ﷺ، أو

---

[1] في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٧) ، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته.

على الأقل من سيدها وهو يقرأ في سورة تبارك من كل ليلة: ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ان يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك: ١٧].

لقد سمعت هذه الآية كما يفهمها كل عربي ، ولذلك أجابت بالجواب الصحيح لما سألها عليه السلام: «أين الله؟» قالت: في السماء.

موقف الخلفيين من هذا الحديث ونحوه:

أتدرون ما موقف الخلف اليوم ـ والذين يكتبون بعض المؤلفات وبعض الرسائل ، يزعمون أن الخلف علمهم أحكم وأعلم ـ؟

يقولون: إن هذا السؤال الذي جاء ذكره في هذا الحديث لا يجوز توجيهه اليوم، هؤلاء ليس فقط يخالفون منهج السلف، بل يخالفون الأحاديث الصحيحة لمجرد أنها تتعلق بالعقيدة، ولو كانت أحاديث صحيحة وأجمع علماء المسلمين تتعلق بالعقيدة، ولو كانت أحاديث صحيحة وأجمع علماء المسلمين على صحتها ومنها هذا الحديث.

فقد رواه الإمام مسلم في «صحيحه» ورواه مالك في «موطئه» ، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» ، ورواه كل من له رواية في السنة إلا ما ندر، وساقوه مساق الأحاديث الصحيحة المسلَّمة، فجاء هؤلاء الخلف وردوا هذا الحديث ، وقالوا: لا يجوز لك أن تسأل هذا السؤال أين الله؟(١) .

فإذا قيل لهم: قد سأل رسول الله ﷺ هذا السؤال ، أجابوك بأن هذا حديث آحاد أولاً، ثم يزدادون جدلاً، فيقولون : وعلى فرض أن النبي ﷺ صحَّ عنه هذا السؤال ، فهو إنما أقرَّ الجارية على قولها: إن الله عز وجل في السماء، لأنها كانت أعجمية، ولأنها لا تعلم العقيدة الصحيحة ، فهنا يقعون في مشكلة أخرى ، كما قلنا في تأويلهم: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ .

---

(١) وقد طعن الكوثري ـ ومن على شاكلته في العقيدة ـ في صحة هذا الحديث مع كونه في صحيح مسلم، وسيأتي رد الشيخ الألباني رحمه الله على هؤلاء

حيث فسروا بـ «استولى» فورد عليهم أن هناك من كان يغالب الله على عرشه، فغلبهم واستولى على عرشه، ذلك هو الضلال البعيد.

كذلك هنا نسبوا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام أنه سكت عن الجارية، لأن جوابها غير صحيح عندهم، مع أن الله عز وجل قد سمعتم آنفًا قوله: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ ... إلى آخر الاية.

والخلاصة:

فمذهب السلف يجب التمسك به، وهو الضمان في أن يكون من الفرقة الناجية، وألا يكون من الفرق الضالة، ذلك هو العصمة.

القاعدة الأساسية في الدعوة إلى الكتاب والسنة:

ولابُد من لفت النظر أخيرًا إلى أننا حينما ندعو المسلمين جميعًا إلى التمسك بالكتاب والسنة، وعلى منهج السلف الصالح، لما ذكرناه آنفًا من البيانات والأدلة الصحيحة، فنحن لا نكون متباعدين عنهم من أصل الإيمان بالكتاب والسنة، ولكننا نُحسن دعوتهم إلى الكتاب والسنة، لأننا نعتقد أنهم مرضى في عقائدهم التي انحرفوا فيها عن الكتاب والسنة، فندعوهم كما هو واجب الدعوة، وهي قاعدة أساسية في كل من يريد أن يدعو إلى الإسلام ، ألا وهو قول الله تبارك وتعالى:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

فيجب ألا نتهاون مع هؤلاء الناس الذين انحرفوا عن منهج السلف الصالح، ليس فقط في كثير من الأحكام، بل وفي كثير من العقائد، كما ذكرنا مثلاً آنفًا فيما يتعلق بالصفات، وفي عذاب القبر، ونحو ذلك.

فنحن ندعوهم بالتي هي أحسن، ولا نباينهم، ولا نفارقهم، لقوله عليه الصلاة والسلام: **«لأن يهدي الله على يديك رجلاً أحبُ إلى من حمر النعم»**.

ولعل في هذا القدر كفاية.

رد الشيخ الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ
على الذين ينكرون التسمى بالسلفية وتوضيحه لمعنى السلفية

سئل الشيخ الإمام رحمه الله:

لماذا التسمي بالسلفية؟ أهي دعوة حزبية أم طائفية أو مذهبية ؟ أم هي فرقة جديدة في الإسلام؟

فأجاب رحمه الله:

«إن كلمة السلف معروفة في لغة العرب، وفي لغة الشرع، وما يهمنا هنا هو بحثها من الناحية الشرعية؛ فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته للسيدة فاطمة رضي الله عنه: **«فاتقى الله واصبري ، ونعم السلف أنا لك»**.

ويكثر استعمال العلماء لكلمة السلف، وهذا أكثر من أن يعد ويحصى، وحسبنا مثالاً واحدًا؛ وهو ما يحتجون به في محاربة البدع:

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

ولكن هناك مِن مُدَّعي العلم من ينكر هذه النسبة زاعمًا أنه لا أصل لها! فيقول: «لا يجوز للمسلم أن يقول أنا سلفي».

وكأنه يقول: «لا يجوز أن يقول مسلم: أنا متبع للسلف الصالح فيما كانوا عليه من عقيدة وعبادة وسلوك!».

لا شك أن مثل هذا الإنكار ـ لو كان يعنيه ـ يلزم منه التبرؤ من الإسلام الصحيح الذي كان عليه سلفنا الصالح، وعلى رأسهم النبي ﷺ كما يشير الحديث المتواتر الذي في «الصحيحين» وغيرهما ؛ عنه ﷺ : **«خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»**.

فلا يجوز لمسلم أن يتبرأ من الانتساب إلى السلف الصالح، بينما لو تبرأ من أية نسبة أخرى لم يمكن لأحد من أهل العلم أن ينسبه إلى كفر أو فسوق.

والذي ينكر هذه التسمية نفسه، تُرى ألا ينتسب إلى مذهب من المذاهب؟ ! سواء كان هذا المذهب متعلقًا بالعقيدة أو بالفقه؟!

فهو إما أن يكون أشعريًا أو ماتريديًا، وإما أن يكون من أهل الحديث أو حنفيًا، أو شافعيًا أو مالكيًا أو حنبليًا ، مما يدخل في مُسمى أهل السنة والجماعة، مع إن الذي ينتسب إلى المذهب الأشعري أو المذاهب الأربعة فهو ينتسب إلى أشخاص غير معصومين بلا شك، وإن كان منهم العلماء الذي يصيبون ، فليت شعري هلاّ أنكر مثل هذه الانتسابات إلى الأفراد غير المعصومين؟

وأما الذي ينتسب إلى السلف الصالح فإنه ينتسب إلى العصمة ـ على وجه العموم ـ ، وقد ذكر النبي ﷺ من علامات الفرقة الناجية أنها تتمسك بما كان عليه رسول الله ﷺ وما كان عليه أصحابه، فمن تمسك بهم كان يقينا على هديً من ربه.

وهي نسبة تُشَرَّف المنتسب إليها، وتيسر له سبيل الفرقة الناجية، وليس ذلك لمن ينتسب أية نسبة أخرى، لأنها لا تعدو واحدًا من أمرين: إما انتسابًا إلى شخص غير معصوم ، أو إلى الذين يتبعون منهج هذا الشخص غير المعصوم، فلا عصمة كذلك ، وعلى العكس منه عصمة أصحاب النبي ﷺ ، وهو الذي أُمرنا أن نتمسك بسته وسنة أصحابه من بعده.

ونحن نصر ونلح أن يكون فهمنا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفق منهج صحبه، لكي نكون في عصمة من أن نميل يمينا أو يسارًا، ومن أن ننحرف بفهم خاص لنا ليس هناك ما يدل عليه من كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ ، ثم لماذا لا نكتفي بالانتساب إلى الكتاب والسة؟

السبب يعود إلى أمرين اثنين:

أحدهما: متعلق بالنصوص الشرعية.

والآخر: بواقع الطوائف الإسلامية.

بالنسبة للسبب الأول؛ فنحن نجد في النصوص الشرعية أمرًا بطاعة شيء آخر إضافة إلى الكتاب والسنة، كما في قوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾

فلو كان هناك ولي أمر مُبايعَ من المسلمين لوجبت طاعته كما تجب طاعة الكتاب والسنة، مع أنه قد يخطئ هو ومن حوله، فوجبت طاعته دفعًا لمفسدة اختلاف الآراء ، وذلك بالشرط المعروف: **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»**.

وقال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ [النساء: ١١٥].

إن الله عز وجل يترفع عن العبث ، ولا شك ولا ريب أن ذكره سبيل المؤمنين إنما هو لحكمة وفائدة بالغة ، فهو يدل على أن هناك واجبًا مهمًا، وهو أن اتباعنا لكتاب الله سبحانه ولسنة رسوله ﷺ يجب أن يكون وفق ما كان عليه المسلمون الأولون، وهم أصحاب الرسول ﷺ ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وهذا ما تنادي به الدعوة السلفية وما ركزت عليه في أس دعوتها ومنهج تربيتها.

إن الدعوة السلفية ـ بحق ـ تجمع الأمة ، وأي دعوة أخرى تفرق الأمة، يقول الله عز وجل: ﴿ **وكونوا مع الصادقين** ﴾ ، ومن يفرق بين الكتاب والسنة من جهة وبين السلف الصالح من جهة أخرى لا يكون صادقًا أبدًا، أما بالنسبة للسبب الثاني؛ فالطوائف والأحزاب الآن لا تلتفت مطلقًا إلى اتباع سبيل المؤمنين الذي جاء ذكره في الآية وأيدته بعض الأحاديث؛ منها حديث الفرق الثلاث والسبعين، وكلها في النار إلا واحدة ، وصفها رسول الله ﷺ بأنها:

«هي التي على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، وهذا الحديث .يشبه تلك الآية التي تذكر سبيل المؤمنين.

ومنها حديث العرباض بن سارية؛ وفيه:

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي».

إذن هناك سنتان؛ سنة الرسول ﷺ ، وسنة الخلفاء الراشدين.

ولا بد لنا ـ نحن المتأخرين ـ أن نرجع إلى الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين ، ولا يجوز أن نقول : إننا نفهم الكتاب والسنة استقلالاً دون الالتفات إلى ما كان عليه سلفنا الصالح!

ولا بد من نسبة مميزة دقيقة في هذا الزمان، فلا يكفي أن نقول: أنا مسلم فقط ! أو مذهبي الإسلام! فكل الفرق تقول ذلك؛ الرافضي والإباضي والقادياني وغيرهم من الفرق! فما الذي يميزك عنهم؟!

ولو قلت: أنا مسلم على الكتاب والسنة لما كفى أيضًا ، لأن أصحاب الفرق ـ من أشاعرة وماتريدية وحزبيين ـ يَدَّعون اتباع هذين الأصلين كذلك، ولا شك أن التسمية الواضحة الجلية المميزة البينة هي أن نقول: أنا مسلم على الكتاب والسنة وعلى منهج سلفنا الصالح ، وهي أن نقول باختصار : «أنا سلفي».

وعليه؛ فإن الصواب الذي لا محيد عنه أنه يكفي الاعتماد على القرآن والسنة دون منهج السلف المبين لهما في الفهم والتصور ، والعلم والعمل، والدعوة والجهاد.

ونحن نعلم أنهم ـ رضي الله عنهم ـ لم يتعصبوا لمذهب معين أو شخص بعينه ، فليس فيهم من كان بكريًا أو عمريًا أو عثمانيًا أو علويًا، بل كان أحدهم إذا تيسر عليه أن يسأل أبا بكر أو أبا هريرة سأله، ذلك بأنهم آمنوا أنه لا يجوز الإخلاص في الاتباع إلا لشخص واحد؛ ألا وهو رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

ولو سلمنا للقائلين جدلاً أننا سنتسمى بالمسلمين فقط دون الانتساب للسلفية ـ مع أنها نسبة شريفة صحيحة ـ ، فهل هم يتخلون عن التسمى بأسماء أحزابهم أو مذاهبهم أو طرائقهم ـ على كونها غير شرعية ولا صحيحة؟!!

فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بما فيه ينضح[1]

---

(١) « المنهج السلفي عند الشيخ الألباني » عمرو عبد المنعم سليم(ص ١٧ ـ ٢١).

رد الشيخ الألباني على الطاعنين في حديث الجارية

سئل الشيخ الإمام الألباني رحمه الله : يدعي بعضهم (!!) أنَّ حديث الجارية مضطرب أو شاذ، مع أنه في «صحيح مسلم»، فما رأيكم بارك الله فيكم ؟

فأجاب: «إذا قال القائل: إن هذا حديثٌ ضعيفٌ معلولٌ، نقول له: هل تعرف في علم الحديث، ورجاله، ومصطلحه ، إلى آخره. . . ؟ فإن قال : لا؛ قلنا له: كيف عرفت أن هذا الحديث ضعيفٌ ، وأنت تعرف أنه في «صحيح مسلم»؟ هل عرفت ذلك بعلمك الخاص الذي ينبع من جلدك وكدك أنه ضعيف؟

فسيقول: لا. . . ولكن سآتيك بمن ضعفه، وهو لن يأتي إلا بمثل السقاف ، فإن علا؛ فالغماري ، فإن علا أكثر؛ فالكوثري، ثم يقف عند هذا المثلث!!

إنه لا يوجد أحد إطلاقًا من أئمة الحديث ضَعَّفَ هذا الحديث، بل ذكرتُ في بعض كُتبي « ولعله في «الصحيحة» (التي لم تنشر بعد) ـ خمسة عشر إمامًا من أئمة المسلمين الذين صححوا هذا الحديث، ومن جملتهم من يُصَفُ في مصاف المؤولة، كالإمام البيهقي، والإمام النووي، والإمام ابن حجر العسقلاني، كل هؤلاء وأمثالهم يصححون هذا الحديث.

سيقول: ضعفه الغماري. . أو الكوثري. .

نقول له: إن كنت لا تعرف في الحديث الصحيح والضعيف ، فنحن نسألك سؤالاً عامًا وهو: من تعتبره أعلم في الحديث. . مسلم، وأحمد ، ومالك ، بل والبيهقي والعسقلاني ، أم هؤلاء الذين تنقل عنهم من المتأخرين من المعطلة والمؤولة؟

إذا كان غير عالمٍ، فعلى من يجب عليه أن يعتمد؟!

ألم يقل ربنا عز وجل: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧].

فالإمام مالك وأحمد ومسلم إلى البيهقي والعسقلاني ، هل هؤلاء مقطوعٌ عندك بعلمهم وفضلهم وإمامتهم؟

فسيقول : نعم.

فنسأله: من أين جاءك القطع بعلم لهؤلاء؟

فالجواب بديهي وهو: أن الأمة كلها اجتمعت على الاعتراف بإمامة هؤلاء بدون خلاف، على الرغم من أن هؤلاء الأئمة الذين ذكرناهم ، بينهم خلاف حتى في بعض فروع العقيدة، ولكن لم يختلف المسلمون رغم اختلاف مذاهبهم ومناهجهم سواء في العقيدة أو الفقه ـ في أن هؤلاء أئمة في علوم الحديث.

وبعد ذلك فأنت لا تجد مقابل هؤلاء أئمة اثنين ولا ثلاثة مثلهم، فضلاً عن نفس العدد، حتى يتساوى عندك الأمر، ويكون لك فيه الخيار بالاتباع.

وهنا سينقطع المجادل في تضعيف هذا الحديث، وإن كان مخلصًا سيعرفانه كان في ضلال مبين.

الجارية قالت: «الله في السماء»، والله ليس له مكان، وهل من هذا إثبات المكان لله؟

الجواب: هذا السؤال ليس سؤال مكانٍ، أما المكانة فمكانة الله عز وجل من حيث فذلك لأن الله ليس له مكان ما في المواقع . . . ، الله مُنَزَّه عن المكان باتفاق جميع علماء الإسلام، لماذا ؟ لأنن الله كان ولا شيء معه، وهذا معروف في الحديث (الذي رواه) البخاري : «كان الله ولا شيء معه»، معناه كان ولا مكان له؛ لأنه هو الغني عن العالمين، هذه حقيقة متفق عليها، ولكن مع الأسف الشديد لو سألت جماهير المسلمين هذا السؤال النبوي : «أين الله» فستجدُ مواقف المسلمين مختلفة أشد الاختلاف في الجواب منهم من يكاد يتفتق غيظًا وغضبًا لمجرد أن طرق سمعه هذا السؤال وكأنه ما عاش في بلاد الإسلام بل ما عاش في بلاد العلم!! بل إنه ما أمسك «صحيح مسلم» في زمانه مطلقًا هذا ليس من أهل العلم، وهناك أناسٌ يقولون: لا يجوز للشخص أن يسأل: «أين الله» ، ! فنقول له: أت تؤمن بوجود الله؟ يقول: نعم، نقول له: إذن، أين هو؟ يفكر ولا يعطي الجواب، لا يعرفُ وهو مسلم! ما هو معنى مسلم؟ معناه حقيقة: هل هو مسلم؟

والمشكلة أن علم الكلام دخل في الموضوع فأفسد العقول، وماذا [قال لهم؟] قال لهم: لا يجوز أن نقول: الله في السماء لماذا؟ لأ الله ليس له مكان. صحيح ونحن نقول ذلك ، وأن الله غني عن المكان ، فأفهم الناس بأن معنى الآية إثبات المكان لله عز وجل، ومعنى

الحديث إثبات المكان لله عز وجل في السماء!! هذا جهلٌ أدى بهم إلى جهل مطبق! فالمسلم حينما يعتقد أن الله في السماء لا يعني أن الله مثل إنسان في غرفة ! لماذا؟ لأن هذا تشبيه ! وقد سمعتم أن خصال ومزايا الدعوة السلفية أنها وسط بين التفريط والإفراط، بين المشبهين والمعطلة ، فالسلفُ وسطٌ يؤمنون وينزهون . فحينما يعتقدُ المسلمُ أن الله في السماءِ لا يعني أنه في السماء يعني كالإنسان في الغرفة ! كلا!!

إذن ، ما معنى «في السماء»؟ ما المعنى الصحيح؟

السماء لها معانٍ في اللغة، لا نتفلسف كثيرًا بذكرها، من هذه المعاني : السماء الدنيا، الثانية، الثالثة.. إلى آخره، ومن هذه المعاني: العلو المطلق فالسماء الأولى والثانية أجرام مخلوقة ، فإذا قلنا: الله في السماء؛ معناه قدرناه في مكان وقد قلنا: إنه منزه عن المكان، إذن كيف نفهم الجواب؟

(في) في اللغة ظرفية، فإذن أبقيناها على بابها وقلت: الله في السماء؛ وجب تفسير السماء بالعلو المطلق، يعني: فوق المخلوقات كلها حيثُ لا مكان . بهذه الطريقة وصف الله به نفسه بدون تشبيه وبدون تعطيل (التشبيه أن تقول مثلاً: نحن هنا في هذا المكان. التعطيل أن نقول: لا ، اله ليس في السماء، وهذا كفر لمعنى الآية : ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك: ١٦].

يبقى تفسير السماء بمعنى الأجرام التي خلقها الله (فتكون (في) بمعنى (على) ؛ لأن حروف الجر في اللغة تقوم مكان أحيانًا]، فهو عليها وفوقها وليس في شيء منها؛ لأنه منزه عن المكان هذه عقيدة السلف، ولذلك ندعوا المسلمين إلى أن يرجعوا إلى عقيدة السلف وإلى منهج السلف حتى يستقيموا على الجادة وحتى يصدق فيهم أنهم رجعوا إلى الوصفة الطبية النبوية التي جعلها وصفه لخلاص المسلمين (من الران الذي) نزل عليهم : «حتى ترجعوا إلى دينكم»[1] فرجوعنا معشر المسلمين إلى الله وإلى كتابه وإلى حديث نبيه

---

(١) جزء من حديث صحيح ورد ع ابن عمر، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ونصه: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله ؛ سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» وانظر «الصحيحة» (١١).

عليه الصلاة والسلام وعلى منهج السلف الصالح هو الطريق إلى النجاة.

وسئل رحمه الله: ما رأي فضيلتكم فيمن يقول: إن سؤال «أين الله» خطأ، ولا يجوز[1] لأن الله لا يوصف بأنه فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا يسار، ولا داخل العالم، ولا خارجه؟

فأجاب: إذن أين الله؟! لم يبق لهذا الوجود الحق عندهم وجود؛ لأن الله باتفاق الجميع كان ولا شئ معه، فحينما كان هل يستطيع أن يقول كائن في العالم: لم يكن هناك عالم؟ ! (بالطبع: لا)، طيب، ثم خلق العَالَم، خلق اَلكَون، فهل دخل في الكون؟!

طبعًا يقولون: لا، إذن ؛ هو كما كان من قبل؛ ضرورة عقلية فضلاً عن أنها ضرورة شرعية: أن الله إذا لم يكن داخل العالم؛ فهذه حقيقةٌ ولا شك فيها. إذن فهو خارجُ العالم، فإذا قال : لا داخل العالم ولا خارجه ، فهذا هو الجحد كله!!

ثم إن تخطئته هذا السؤال «أين الله» كفر بلا شك؛ لأنه يخطئ قائله الأول وهو رسول الله ﷺ ! نعوذ بالله من الضلال .

---

(١) قال الإمام عبد الغني المقدسي رحمه الله في «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص:٨٩) : «ومن أجهل جهلاً، وأسخف عقلاً وأضل سبيلاً ممن يقول: إنه لا يجوز أن يقال: أين الله ! بعد تصريح صاحب الشريعة بقوله: «أين الله؟» ؟!!!

القواعد الرئيسية لدعوة الشيخ الألباني

لقد وضع الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ خمس قواعد تحدد ملامح دعوته، وهذه القواعد توضع دائمًا في كتب الشيخ ورسائله وقد أخذ بهذه القواعد كثير من الكتاب الذين ينتمون إلى المنهج السلفي .

قال الشيخ الإمام ـ رحمه الله :

دعوتنا:

١ ـ الرجوع إلى الكتاب الكريم والسنة الصحيحة، وفهمها على النهج الذي كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

٢ ـ تعريف المسلمين بدينهم الحق، ودعوتهم إلى العمل بتعاليمه وأحكامه، والتحلي بفضائله وآدابه التي تكفل لهم رضوان الله وتحقق لهم السعادة والمجد.

٣ ـ تحذير المسلمين من الشرك على اختلاف مظاهره، ومن البدع والأفكار الدخيلة، والأحاديث المنكرة والموضوعة التي شوهت جمال الإسلام، وحالت دون تقدم المسلمين.

٤ ـ إحياء التفكير الإسلامي الحر في القواعد الإسلامية وإزالة الجمود الفكري الذي ران على عقول كثير من المسلمين وأبعدهم عن منهل الإسلام الصافي.

٥ ـ السعي نحو استئناف حياة إسلامية وإنشاء مجتمع إسلامي، وتطبيق حكم الله في الأرض.

هذه دعوتنا، ونحن ندعو المسلمين جميعًا إلى مؤازرتنا في حمل هذه الأمانة التي تنهض بهم، وتنشر رسالة الإسلام الخالدة.

* * *

منهج التصفية والتربية عند الشيخ الإمام

يرى الشيخ الإمام رحمه الله أن علاج ما تعانيه الأمة الإسلامية من أمراض تكتسح جميع جوانب حياتها الفكرية والعقدية والاجتماعية والسلوكية والعلمية، يكون في أمرين هامين هما التصفية والتربية، ولندع الشيخ الإمام رحمه الله يوضح هذين المصطلحين:

«وأعني بالتصفية تنقية الإسلام من كل دخيل وشائب، والسبيل إلى ذلك تصفية السنة مما داخلها من موضوع وضعيف ، ثم تفسير القرآن على ضوء هذه السنة الصحيحة، وما كان عليه السلف الصالح من تصورات ومفهومات، وهذا الأخير لا يمكن تحقيقه إلا بدراسة علوم الحديث والجرح والتعديل، وأنا لا أعني بذلك أن نقف بالتفسير عند هذه الحدود التي انتهى إليها السلف، بل علينا أن نلتزم منهج السلف في التفسير، وفي التزامه توحيد للاتجاه ومنع للتفرقة.. وتناول التصفية التي أريدها ما وصل إلينا من العلوم الإسلامية والأفكار الإسلامية فنستبعد منها كل ما يخالف المنهج السليم، وكذلك تتناول التصفية الفكر الإسلامي من الشوائب الدخيلة، وبصورة خاصة الفلسفة وعلوم التربية والفنون مما يتسع المجال فيه لدس كثير من السموم المفسدة للفكر الإسلامي.

وأما العنصر الثاني التربية فيقول رحمه الله فيه:

«وأريد بالتربية تنشئة الجيل على العقيدة الإسلامية الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة، وأخص بالذكر تربية الصغار على العبادة.. دون الإكثار من الكلام على فائدة العبادة من الناحية المادية كما يفعل البعض، وإذا كان لابد من ذكر الفوائد المادية فهي آخر ما ينبغي ذكره، ولا أنسى هنا تدريس التشريع الإسلامي، فالذي أراه أن يكون تدريس هذه المادة على أساس التسليم التام لأمر الله والثقة بحكمته، دون الاهتمام الكثير ببيان فوائده المادية.. وفي ذلك تزويد لنفس الطالب بالمناعة من كل دس وتسميم ، وأذكر في هذه المناسبة بصلح الحديبية وأهمية التسلمي لحكم الله ورسوله»[١] .

---

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» الشيخ محمد المجذوب (١/ ٣١٠ ـ ٣١١).

وقال الشيخ الإمام رحمه الله أيضًا في مقدمة المجلد الثاني من السلسلة الضعيفة:

أني لأرجوا بواسطة هذه السلسلة ، وأختها الأخرى «الأحاديث الصحيحة» أن أكون من المشاركين في القيما بواجب «التصفية» التي كنت تحدثت عنها في محاضرة كنت ألقيتها في «المعهد الشرعي» في (عمان» سنة (١٣٩٣) ، كان موضوعها: «التصفية والتربية» ذهبت فيها إلى أنه لا بُد اليوم من أجل استئناف الحياة الإسلامية من القيام بهذين الواجبين : «التصفية والتربية » وأردت بالأول منها أمورًا:

الأول: تصفية العقيدة الإسلامية مما هو غريب عنها، كالشرك، وجحد الصفات الإلهية وتأويلها ، ورد الأحاديث الصحيحة لتعلقها بالعقيدة ونحوها.

الثاني: تصفية الفقه الإسلامي من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنة ، وضربت على ذلك بعض الأمثلة.

الثالث: تصفية كتب التفسير والفقيه والرقائق وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والإسرائيلياتت المنكرة، وهذا ما أقوم به في هذه السلسلة ، ونحوها ، مثل «ضعيف أبي داود» و «ضعيف الجامع الصغير» وقد تم طبعه والحمد لله، و«ضعف الترغيب والترهيب» وسنباشر طبعه قريبًا بإذن الله تعالى[1].

وأما الواجب الآخر ، فأريد به تربية الجيل الناشيء على هذا الإسلام المصفى من كل ما ذكرنا تربية إسلامية صحيحة منذ نعومة أظفاره، دون أي تأثير بالتربية الغربية الكافرة.

ومما لا ريب فيه أن تحقيق هذين الواجبين يتطلب جهودًا جبارة متعاونة من الجماعات الإسلامية المخلصة ، التي يهمها حقًا إقامة المجتمع الإسلامي المنشود، كل في مجاله واختصاصه. وأما بقاؤنا راضين عن أوضاعنا ، متافاخرين بكثرة عددنا ، متواكلين على فضل ربنا، أو خروج المهديي ونزول عيسى ، صائحين بأن الإسلام دستورنا ، جازمين بأننا سنقيم دولتنا ، فذلك محال، بل وضلال ، لمخالفته لسنة الله الكونية والشرعية معًا، قال تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ، وقال ﷺ : «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط عليكم ذلاً، لا ينزعه عنكم،**

---

(١) قلت : وقد تم طبعه في مجلدين بمعرفة دار المعارف بالرياض .

حتى يترجعوا إلى دينكم»[١] من أجل ذلك قال أحد الدعاة الإسلاميين اليوم: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم ، تقم لكم في أرضكم» وهذا كلام جميل جدًا، ولكن أجمل منه العمل به. ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾

وبعد ، فإن هذه السلسلة[٢] وغيرها مما أشرت إليه آنفًا، تساعدك ـ أيها الأخ المسلم ـ إلى حد كبير على تصفية عقلك وعقيدتك من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وبذلك تستعد نفسك لتقبل ما يلقى إليك من الأحاديث الأخرى الصحيحة، وإحلالها من قلبك المحل اللائق بها من القبول والعمل، وحينئذ تصفو روحك، ويستنير لبك، وتنجو من الأمراض الخفية التي كانت ألمت بك، بسبب سيطرة الأحاديث الواهية التي يقترن بها دائمًا التصديق بالخرافات والترهات والأباطيل ، فضلاً عن الأحكام والآراء المخالفة.

ثم لا بد لك مع ذلك من العناية بتربية نفسك ، ومن يلوذ بك، تربية إسلامية صحيحة، لا شرقية ولا غربية، وتخليقها بالأخلاق المحمدية، وبذلك يصلح قلبك ، وتسعد في الدنيا قبل الآخرة ، وما الأمر الهام الذي ينشده اليوم دعاة الإسلام، إلا أثر من آثار هذه السعادة، إذا ما أخذوا بأسبابها، التي تجمعها كلمتا «التصفية والتربية» ، ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه، وأنه إليه تحشرون﴾.

* * *

(١) حديث صحيح كما بينته في «الأحاديث الصحيحة» (رقم ١١).

(٢) أي سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة .

دروس الشيخ الإمام وحلقاته العلمية[١]

كانت مجالس شيخنا الإمام رحمه الله عامرة بالعلم والفوائد ، غزيرة النفع في سائر العلوم، ولقد قُرئ على الشيخ كتب كثيرة في دمشق إذ كان يعقد درسين كل أسبوع يحضرهما طلبة العلم ، ومن تلك الدروس : دروس في التفسير مع بعض علماء الشام.

«زاد المعاد» لا قيم الجوزية رحمه الله.

«نخبة الفكر» للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله.

«الروضة الندية شرح الدرر البهية» لصديق حسن خان رحمه الله.

«فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله.

«الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» للعلامة المحدث أحمد شاكر رحمه الله.

«طبقات فحول الشعراء» لابن سلام الجمحي رحمه الله.

«أصول الفقه» لعبد الوهاب خلاف رحمه الله.

«تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد» للصنعاني رحمه الله.

«الترغيب والترهيب » للمنذري رحمه الله.

«الأدب المفرد «للإمام البخاري رحمه الله.

«منهج الإسلام في الحكم »لمحمد أسد.

«مصطلح التاريخ» لأسد رستم.

«فقه السنة» لسيد سابق رحمه الله.

---

(١) انظر: «شهر في دمشق» للأستاذ الأديب عبد الله بن خميس ص (٧٤) فما بعدها، وسيأتي نقل كلامه إن شاء الله.

«رياض الصالحين» للإمام النووي رحمه الله.

«الإلمام في أحاديث الأحكام» لابن دقيق العيد رحمه الله.

ولكنه لم يتم الكتابي الأخيرين بسبب سعي بعض مشايخ الطريقة إلى الحكام، مما أدى إلى سجنه نحو ستة أشهر في سجن القلعة بدمشق، وهو السجن الذي سجن فيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وكان قد سجن قبل ذلك عام ١٩٧٦ لمدة شهر واحد.

ولقد حضر هذه الدروس عدد كبير من أهل العلم والأساتذة والمثقفين والطلاب، وكان لها أثرها الكبير في الدعوة إلى الله عز وجل ، ولقد كات بداية هذه الدروس قبل عام ١٩٥٤م.

ولقد كان للشيخ رحلات شهرية منظمة بدأت أسبوعيًا من كل شهر، ثم استقرت على نحو ثلاثة أيام، كان الشيخ يقوم بها إلى المحافظات السورية: حلب، وإدلت ، واللاذقية، والسلمية، ثم حمص ، ثم حماة ، ثم الرقة.

ولقد كانت لتلك الجهود والرحلات ثمراتها الطيبة في الدعوة إلى الله عز وجل وإلى التوحيد ونبذ الشرك والخرافة مع ما صاحبها من المعارضة من أهل الأهواء، لكن ذلك لم يثن الشيخ عن عزمه ودعوته لمعرفته أنه على الحق.

الشيخ ناصر قبل نصف قرن :

لقد زار دمشق قديمًا الأستاذ الأديب عبد الله بن خميس ووصف زيارته لدمشق وسفرته ، وكتب كتابًا ماتعًا بعنوان «شهر في دمشق» طبع عام ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م ، ذكر فيه انطباعاته عن شيخنا في ذلك الوقت ، ورأيت أن أنقلها بنصها لما فيها من الفوائد العديدة.

«. . . وهكذا وجدت السلفية في دمشق بين صفوف الجامعة، وفي حلقات العلماء، يحملها شباب مثقف مستنير ، يدرس الطب والحقوق والآداب. .

قال لي شاب[١] منهم: ألا تحضر درسنا اليوم؟ فقلت: يشرفني ذلك، فذهبت مع الشاب لأجد فضيلة الشيخ ناصر الدين الألباني محدث دمشق الكبير، وحوله ما يزيد على

---

(١) وهو فضيلة الشيخ زهير الشاويش صاحب المكتب الإسلامي ببروت .

الأربعين طالبًا، من شباب دمشق المثقف، وإذا الدرس جار في باب حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده طرق الشرك. . من كتاب التوحيد وشرحه فتح المجيد للمجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب وحفيده رحمهما الله فعجبت أشد العجب لهذه المصادفة الغريبة.

وأنصتُ لأسمع درس الشيخ، وإذا بي أسمع التحقيق والتدقيق والإفاضة في علم التوحيد وقوة الضلع فيه، وإذا أسمع مناقشة الطلبة الهادئة الرزينة واستشكالاتهم العميقة حتى انتهى درس التوحيد وبدءوا في درس الحديث بالروضة الندية، وهنا سمعت علمًا جمًا، وفقهًا وأصولاً وتحقيقًا ، وهكذا حتى انتهى الدرس.

ولم أزل طيلة مقامي بدمشق محافظًا على درس الشيخ، وقد انتهوا في علم التوحيد من كتاب «فتح المجيد» وبدءوا في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وفي كل حين يزداد عددهم وتتجدد رغبتهم ويكتبون وينشرون ، ومن تتبع «مجلة التمدن الإسلامى» وقف على ما لهذا الشيخ وتلامذته من نشاط وجهود ، ولقد لمست بنفسي لهم تأثيرًا كبيرًا على كثير من الأوساط ذات التأثير في الرأي العام، مما يبشر بمستقبل كبير لهذه الدعوة المباركة».

ثم نقل الشيخ ابن خميس عن الشاب المذكور قوله:

«لا أعرف وجه التحديد الوقت الذي بدأ فيه الشيخ اجتماعاته، وكان أول اتصالي به عام ١٩٥٤م ، وكان يقرأ مع ما يقرب من ثلاثين أخًا كتاب زاد المعاد، وخرج من هذ الدراسة بكتابه القيم «التعليقات الجياد على كتاب زاد المعاد» وهو مخطوط ، وقد طلب مني الشيخ حامد الفقي عام ١٩٥٣م أن أطلبه من الشيخ ، وأنه على استعداد لطبعه بجميع الشروط التي يضعها الشيخ ، ولا أعرف السبب الذي منع الشيخ من إرسال كتابه للشخ حامد، ثم انقطعت عن الشيخ عام ١٩٤٩ م حيث قام الشيخ مع إخوانه بإحياء سنة صلاة العيد خارج المدينة» وقرأ مع بعض إخوانه في ١٩٤٩م ـ ١٩٥٠) نخبة الفكر ، ثم بدأ مع إخوانه بقراءة كتاب «الروضة الندية» بدرا الأستاذ عبد الرحمن الباني[1] ، وقد اتسعت هذه

---

(١) ولقد عمل أستاذًا جامعيًا في عدة جامعات وهو الآن مستشار لوزير المعارف بالمملكة العربية السعودية و،هو من كبار رجالات التربية الإسلامية ، ولقد سمعت شيخنا الألباني رحمه الله يثني عليه.

الحلقة حتى أصبح الذين يحضرونـها يتراوح عددهم بين ٤٠ ـ ٦٠ وأكثرهم من أهل الرأي والعلم.

ويقرأ في جلسة ثانيـة كتاب «فتح المجيد» بناء على اقـتراح الأستاذ عبد الحليـم محمد أحمد، وهو مدرس مصير درس في الشام ثم في عـمان ، وقد قدم له بقراءة رسالة «تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد» ويحضر هذه الجلسة عدد مماثل لعدد الجلسة الأولى.

وهناك جلسـة شبه خـاصة يدرس فـيها كـتاب «البـاعث الحثـيث في اختـصار علوم الحديث»، وكتاب «طبقات فحول الشـعراء» وبعد أن انتهى الإخوان من قراءة كتب «أصول الفقه» لخلاف، وكانت تنعقد هذه الجلسة بدار الأستاذ علي الطنطاوي[١] ، وبعد سفره إلى باكستان عقدت بدار الدكتور أحمد حمدي الخيطاط.

وهناك درس مع بعض علمـاء الشام في التـفسيـر وما زال هذا الدرس مسـتمـرًا حتى اليوم، ويـحضره عـدد يتروح بين ١٠ ـ ٢٠ ، وقـد مضى على اسـتمراره عـدة سنوات، ودرس في كتاب «الترغيب والترهيب» ويتراوح عدد حضوره بين ١٥ ـ ٢٥ .

ومن بين الإخوان الـذين يحضرون جـميع أو بعض الدروس : الأسـتاذ أحـمد راتب النفاخ المدرس في الجامعـة السورية، والأستاذ عبد الرحمن الـباني مفتش دروس الدين في وزارة المعارف، وعـبد الرحمن نحلاوي مـدرس الفلسفة في ثانويات دمشق، ورشـاد رفيق سالم يحضر دكتواره في الجامعة المصـرية عن ابن تيمية وعضو لجنة الشباب المسلم المصرية، والأستاذ عصام عطار المدرس في المعهد العربي وعضو الهيئة التشريعية للإخوان في سوريا، ومحـمد مـريدن (محامي) ومـوظف في ديوان المحاسـبات، وخالد صـائمة (مـحامي) ، والدكتور نبيه غبرة (طبـيب) ، والأستاذ محمد الصباغ[٢] مدرس الأدب العرفي في ثانوية درعا.

---

(١) وهو فضيلة الشيخ الشهير على الطنطاوي ، وتوفي في عام (١٤٢٠هـ رحمه الله.

(٢) وهو الآن أستاذ في جامعة الملك سعود بالرياض.

وهكذا فإن هذه الدروس تجمع أمثال من ذكرنا من أهل العلم والفضل والأدب وممن يرجى منهم في المستقبل القريب إن شاء الله أن ينشروا السلفية في كافة ربوع سوريا وغيرها إذا عرفنا أن منهم السوري والأردني والمصري والمغربي[1] .

* * *

(١) انظر: «شهر في دمشق» للأديب الأستاذ عبد الله بن خميس ص ٧٤ فما بعدها . نقلاً عن «صفحات مشرقة عن حياة العلامة الألباني» للهاشمي، ص (١٣٢ ـ ١٣٦).

إجازة الشيخ في علم الحديث

قال الشيباني: أخذ الشيخ إجازة في الحديث من الشيخ راغب الطباخ علاّمة حلب في زمانه، وذلك إثر ماقابلة له بوساطة الأستاذ محمد المبارك الذي ذكر للشيخ الطباخ ما يعرفه من إقبال الفتى في علوم الحديث وتفوقه فيها فلما استوثق من ذلك خصه بإجازته تقديراً واعترافًا[١] .

أسانيده إلى كتب الفهارس والأثبات:

قال الهاشمي: إن أسانيد شيخنا الألباني رحمه الله تتصل بنبينا خير الأنام ﷺ ، وبالصحاح والسنن والمسانيد، والمعاجم والمشيخات، ، وبالأئمة الأعلام والحافظ الكرام، وداواوين أهل الإسلام، كما هو مسطور في كتب الفهارس والأثبات والمسلسلات وغيرها، وهي وهي كلها من طريق شيخه العلامة محمد راغب الطباخ مسند الديار الحلبية المتوفى عام ١٣٧٠ هـ رحمه الله .

إسناده إلى مسند الإمام أحمد:

نظرًا لمكانة الألباني رحمه الله في السنة النبوية، وجهوده فيها، ولإحاطته بقدر وافر بها ولكونه إمام السنة في هذا العصر ، رأيت ذكر سنده لحديث «من مسند الإمام أحمد» الذي يعد من أضخم الموسوعات الحديثية المدونة المسندة وهذا سنده[٢] .

يروي شيخنا الألباني رحمه الله عن مسند الديار الحلبية الشيخ محمد راغب الطباخ ، عن محد الديار الشامية أبي المعالي محمد بدر بن يوسف الحسني الدمشقي، عن والده، عن وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكزبري، عن أبيه محمد بن عبد

---

(١) «حياة الألباني» (١/ ٤٥ ـ ٤٦).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٣٠) وانظر للتأمل في السند «الأنوار الجلية في مختصر الأثبات الحلبية» (ص٤٤) ومختصر رياض الجنة بآثار أهل السنة» لعبد الباقي الحنبلي (ص ٧٢). وفهرس الفهارس للكتاني (١/ ٤٤٨).

الرحمن الكزبري، عن جده زين الدين عبد الرحمن بن محمد الكزبري، عن أبي المواهب محمد بن عبد الباقي، عن أبيه عبد الباقي البعلي الحنبلي، عن أبي حفص عمر القاري، عن البدر الغزي، عن زكريا الأنصاري، عن عبد الرحيم بن محمد الحنفي، عن أبي العباس أحمد الجوخي، عن أم محمد زينبت بنت مكي، عن أبي علي حنبل الرصافي، عن أبي القاسم هبة الله الشيباني، عن أبي علي الحسن بن المذهب التميمي، عن أبي بكرز أحمد القطعي، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل عن الإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة قال: حدثنا سفيان عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ : **«لموضوع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها»**.

وبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن أبي المعالي عبد الله بن عمر بن المبارك، عن أبي العباس أحمد بن محمد الحلبي، عن النجيب عبد اللطيف الحراني ، عن عبد الله بن أحمد بن صاعد الحربي، عن أبي القاسم هبة الله الكاتب به.

وتقع للشيخ الألباني الرواية بأعلي من هذا السند ومن رام البسط يجده في كتب الأثبات[1] .

وهذه نخبة كتب من الأثبات التي يتصل سنده بها:

الأنوار الجلية في مختصر الأثبات الحلبية للشيخ العلامة محمد راغب الطباخ.

يرويه شيخنا عن مؤلفه.

فهرس الفهارس للإمام المحدث عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني.

يرويه شيخنات عن شيخه راغب الطباخ عن مؤلفه.

الإرشاد إلى مهمات الإسناد، وإتحاف النبيه فيما يحتاج إليه المحدث والفقيه كلاهما للعلامة المحدث الشاه ولي الله الدهلوي.

يرويه الألباني عن شيخه محمد راغب الطباخ، عن الشيخ المحدث أبي بكر بن محمد عارف خوقير المدرس بالمسجد الحرام، عن رئيس المحدثين السيد محمد نذير حسين، عن

---

(١) انظر فهر الفهارس الكناني (١/ ٤٤٨) ورياض الجنة بآثار أهل السنة (ص٥٠).

المحدث الشاه محمد إسحاق الدهلوي، عن جده من جهة الأم الشيخ عبد العزيز الدهلوي، عن أبيه الشاه ولي الله الدهلوي رحمهم الله.

صلة الخلف بموصول السلف للمحدث العلامة محمد بن سليمان الروداني.

يرويه شيخنا بالإسناد السابق إلى الشاه ولي الله الدهلوي، عن محمد وفد الله ابن الشيخ محمد بن سليمان وأبي طاهر الكوراني ، كلاهما عن والد الأول مؤلف الصلة.

المعجم المفهرس للحافظ ابن حجر العسقلاني.

يرويه شيخنا عن شيخه راغب الطباخ، عن مسند الديار المغربية عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، أخبرنا الشيوخ أبو النصر محمد الخطيب، وعبد الله بن درويش السكري، ومحمد سعيد الخيال الدمشقيون ، قالوا: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكزبري، عن أبيه، عن جده عبد الرحمن الكزبري، عن أبي المواهب محمد بن عبد الباقي، عن أبيه عبد الباقي الحنبلي، عن النجم محمد الغزي ، وأبي حفص عمر القاري، كلاهما عن البدر محمد الغزي والد الأول، عن زكريا الأنصاري، عن الحافظ بن حجر العسقلاني.

إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر للعلامة القاضي محمد بن علي الشوكاني.

يرويه عن شيخه محمد راغب الطباخ، عن الشيخ أبي بكر بن محمد عارف خوقير، عن المحدث الشيخ حسين بن محسن الأنصاري ، عن العلامة محمد بن ناصر الحازمي، والقاضي أحمد بن الإمام الشوكاني ، كلاهما عن الإمام الشوكاني.

ويروى شيخنا الألباني غير ذلك من الأثبات كما هو مثبت في «الأنوار الجلية في مختصر الأثبات الحلبية» فليراجعه من شاء[1].

* * *

(١) «صفحات مشرقة» للهاشمي (ص ١٣٧ ـ ١٤٠).

جولات الشيخ الإمام ورحلاته الدعوية

«كان للشيخ رحمه الله رحلات شهرية منظمة بدأت أسبوعيًا من كل شهر، ثم استقرت على نحو ثلاثة أيام، كان يقوم بها إلى المحافظات السورية: حمص، وحماه وإدلب، وحلب، والرقة، واللاذقية. ولقد كان لتلك الجهود والرحلات ثمراتها الطيبة في الدعوة إلى الله عز وجل وإلى التوحيد ونبذ الشرك والخرافة، ومع ما صاحبها من المعارضة من أهل الأهواء، لكن ذلك لم يُثْنِه عن عزمه ودعوته لمعرفته أنه على الحق»(١).

بل كان يزيده ذلك إصرارًا على التمسك بهذا المنهج الحق، ويوطن نفسه على الصبر وتحمل الأذى عملاً بوصية لقمان لابنه ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وفي هذا كله قال الشيخ رحمه الله محدثًا:

«لقد بدأت الاتصال بالمعارف والأصدقاء وأصدقائهم، وجعلت من الحانوت ندوة نجتمع بها، ثم رأينا الانتقال إلى دار أحد الأنصار، ثم إلى واحدة أخرى أكبر، ومن ثم استأجرنا إحدى الدور لهذه الغاية، وجعل الحضور يتكاثرون، حتى ليضيق بهم المكان، وبلغ النشاط مستوى عاليًا في قراءة الحديث وشرحه وأسانيده، واستمر هذا دأبنا حتى أثمرت مساعي المعارضين لهذا الاتجاه، فضيق علينا، ثم أُلغيت الاجتماعات، وانفض السامر، وها نحن أولاء حتى الآن لم نخلص من هذه المضايقات، نجتمع حين يكون ذلك ممكنًا، وإذا حيل بيننا وبين الاجتماع انقطعنا إلى التأليف والتحقيق اللذين لا نستطيع الانقطاع عنهما»(٢).

وقال رحمه الله أيضًا:

«كان من آثار هذا الإقبال الطيب الذي لقيته هذه الدعوة أن رتبنا برنامجًا لزيارة بعض مناطق البلاد ما بين حلب واللاذقية إلى دمشق، وعلى الرغم من قصرالأوقات التي

---

(١) المرجع السابق (ص ١٩٥).

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم: ١/ ٢٩٥.

خصصت لكل من المدن فقد صادفت هذه الرحلات نجاحًا ملموسًا، إذ جمعت العديد من الراغبين في علوم الحديث على ندوات شبه دورية، يقرأ فيها من كتب السنة، وتتوارد الأسئلة ، ويثور النقاش المفيد، إلا أن هذا التجوال قد ضاعف من نقمة الآخرين، فضاعفوا من سعاياتهم لدى المسؤولين ، فإذا نحن تلقاء مشكلات يتصل بعضها برقاب بعض»[١] .

جهود مضادة لدعوة الشيخ:

«وقد جرت له أحداثٌ كثيرة خلال هذه الفترة من جراء دعوته إلى التوحيد من ذلك:

١ ـ أن جماعة من مشايخ بلده نظموا عريضة ضده، ورفعوها إلى مفتي الشام، بعد أن جمعوا لها توقيعات الناس، ومفادها: أنه يقوم بدعوة وهابية تشوش على المسلمين ، فرفعها المفتي بدورة إلى مدير الشرطة، واستدعى الشيخ على إثرها ، ولكن الله من الله عليه بلطفه فسلمه من هذا الكيد.

٢ ـ استدعاء وكيل وزاره الداخلية لشؤون الأمن ليبلغه طلب مفتى إدلب منعه من دخول بلده، وإبعاده عنها إلى الحسكة.

٣ ـ سعي مشايخ الطرق الصوفية للمكر به بالكذب والزور والتحذير والتنفير مما أدى إلى سجنه ستة أشهر في سجن القلعة بدمشق، وهو السجن الذي سُجن فيه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى بسبب شيوخ الضلال والانحراف، بالإضافة إلى تحذير طلاب العلم، وعوام الناس من الاستماع إليه، ومن مجالسته، والدعوة إلى هجره ومقاطعته»[٢] .

وكان رحمه الله تعالى يعقب على هذه الأحداث بقوله: لقد كان لهذا كله آثار عكسية لما أرادوه ، إذ ضاعفت من تصميمي على العمل في خدمة الدعوة حتى يقضي الله بأمره[٣] .

---

(١) المرجع السابق: ١/ ٢٩٥ .

(٢) الألباني الإمام ، ص ١٣ ـ ١٤ .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم، للمجذوب : ١/ ٢٩٥ .

وقد كان لهذه المضاعفة الكثيفة، والتصميم القوي ، أثر كبير على العالم الإسلامي، وفائدة عظيمة جدًا، وإن شئت فاسأل عن آثار دعوته إلى الكتاب والسنة النبوية كيف عمَّ الشام والجزيرة ، ولحق بالمغرب ومصر والهند وباكستان، وتجاوز وتعدَّ القارات آسية، وأفريقية، وأوروبة واسترالية، وأمريكة، وهذا من فضل الله عليه وعلى الناس:

١ ـ فصيته لا تكاد تخلو منه أرض، أو تنفك عنه بلد، يعرفه العلماء والقضاة وطلاب العلم والدعاة والخطباء والعوام، ومن العرب والعجم.

٢ ـ وكتبه منتشرة مشتهرة في الأقطار يقتنيها العلماء، وطلاب العلم، سواء كانوا من السنيين المحبين ، أو المناوئين المخالفين، بل تجدها حتى عند كثير من العوام.

وهي بحمد الله تعالى من أكثر الكتب رواجًا في العالم، وتتسابق دور النشر في الحصول على حقوق الطبع لها، لما لها من السمعة والقبول، وعظيم الرواج ، وكان ترسل إليه السرائل من أرجاء البسيطة طلبًا لها، ومتابعة لآخرها، ورغبة في إكثارها.

وهي مراجع المئين والألوف من خريجي الجامعات الشرعية، والمعاهد الدينية، ومصفي الكتب ، والدعاة وطلاب العلم والخطباء وغيرهم ، وسواء كانوا من حملة (الشهادات) أو التي تحتها ، أو أبحاث التخرج ، وغيرها.

وينقل تصحيحاته وأقواله وترجيحاته الكثيرُ من العلماء وطلاب العلم في مصنفاتهم وأبحاثهم ، لما يعلمون ما لها من الثقة عند خواص الناس وعوامهم ، واعترافًا منهم بكفايته العلمية ، ورسوخ قدمه، بل وتسمعها في الجمع على المنابر ، وفي المحاضرات والندوات، وأجهزة الإعلام ، وتقرأها في الصحف والمجلات.

٣ ـ راسله الكثير من المسلمين سواء كانوا من العلماء أو القضاة أو طلاب العلم أو عامة الناس عبر البريد والهاتف لأجل طلب الفتيا، أو حل مشكل، وإزالة غامض، أو دفع شبهة، أو رفع محنة، أو لأخذ النصيحة، ونيل المشورة وطلب التوجيه، وكذا الكليات الشرعية، والمعاهد الدينية، والجمعيات الخيرية المنتشرة في العالم كانت تفعل مثل ذلك .

٤ ـ ينقل عنه كثير من العلماء أمثال: الشيخ بن باز رحمه الهل ، ومحمد بن صالح

العثيمين رحمه الله، وصالح الفوزان ، وعبد المحسن العباد البدر، وعبد الله الجبرين، واللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد ، وغيرهم الكثير من أهل العلم»(١)

(١) كشف التلبيس ورفض الواقع في مقالات العسكر حول الألباني. لعبد القادر الجنيد، ص ٨٧ ـ ٩٠، ٢٢١ ، ٢٢ ، نقلاً عن «محمد ناصر الدين الألباني محدث العصر وناصر السنة» إبراهيم محمد العلي (ص ٢٥ ـ ٢٩).

الوظائف التي تقلّدها الشيخ الإمام ورحلاته وجهوده العلمية

تنقل الشيخ الإمام في حياته ورحل إلى أقطار كثيرة ، ودرّس بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عند تأسيسها من عام ١٣٨١ هـ.

«يقول الأستاذان عيد عباسي وعلى خشان في ترجمتهما للشيخ: بفضل ذلك الجهد المتواصل ، وبتوفيق من الله تعالى ظهرت للشيخ مؤلفات نافعة في الحديث والفقه والعقائد وغيرها تدل أهل العلم والفضل على ما حباه الله به من فهم صحيح وعلم غرير ودراية فائقة بالحديث وعلومه ورجاله بالإضافة إلى منهج علمي سديد يجعل الكتاب والسنة حكمًا وميزانًا في كل شيء مسترشدًا بفهم السلف الصالح وطريقتهم في التفقه واستنباط الأحكام. هذا المنهج الذي سار عليه كثير من المحققين من أهل العلم ولا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلامذته ، ومن تبعهم على ذلك.

كل ذلك جعل الشيخ علمًا ذائع الصيت يرجع إليه أهل العلم، ويعرف قدره المشرفون على المراكز العلمية، مما دفع المشرفين على الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة حين تأسيسها ـ وعلى رأسهم «الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس الجامعة الإسلامية والمفتي العام بالمملكة العربية السعودية آنذاك على أن يقع اختيارهم على الشيخ ليتولى تدريس الحديث وعلومه ، كان خلالها مثالاً للجد والإخلاص، حتى إنه كان يجلس مع الطلاب على الرمل أثناء الاستراحات بين الدروس ، ويمر به بعض الأساتذة والطلاب حوله على الرمل فيقولون: «هذا هو الدرس الحقيقي وليس الذي خرجت مه أو الذي ستعود إليه».

كان الشيخ يفعل ذلك بينما غيره من الأساتذة يتوجهون إلى غرفهم الخاصة للاستراحة وتناول المرطبات أو الشاي أو القهوة، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، وربما أدى هذا الدأب والإخلاص إلى حسد بعض الناس له، وفيهم بعض أهل العلم لما رأوا من تعلق

الطلاب به وحبهم موافتهم إياه في الجامعة وخارجها في الرحلات التي تشرف عليها الجامعة» فأبت المعاصرة إلا أن تكون حرمانًا.

لقد كانت علاقة الشيخ بالطلا علاقة الزميل بالزميل، ورفع الكلفة ـ والصديق بالصديق وليس كعلاقة الأستاذ بالتلميذ، إذ محا الكلفة التي تخرج الطال وأحل مكانها الثقة والأخوة.

يقول الشيخ: كنت أحمل معي في السيارة من أصادف من الطلاق إلى الجامعة أو إلى المدينة وهكذا كان الحال ففي جميع الأحيان تكون السيارة مملوءة بهم في الذهاب والإياب». حتى وصل الأمل برغبة الطلاب وتعلقهم بالشيخ وشعورهم أنه لا فرق بينهم وبين أستاذهم، ما حصل في أحد الأيام أن الشيخ جاء إلى إدارة الجامعة بعد انتهائه من محاضراته فترك سيارته أمام الإدارة ودخل فإذا بالأستاذ محمد عبد الوهاب البنا يريد النزول إلى المدينة فخرج مع الشيخ إلى سيارته لتوصله معه فإذا بالسيارة مملوءة بالطلاب فلما رأوا الشخي البنا اضطر أحدهم للتنازل له وهكذا الحال.

وكان إذا دخل الجامعة في الصباح لا تكاد ترى السيارة من كثرة الطلاب المتلفين حولها يسلمون على الشيخ ويسألونه ويستفيدون منه.

مكايد الحاقدين:

«أبت المعاصرة إلا أن تكون حرمان»

كل هذه القضايا آنفة الذكر مجتمعة أثارت عليه الحاقدين من بعض أساتذة الجامعة فكادوا له ووشوا به عند المسؤولين في الجامعة ولفقوا عليه افتراءات وشهدوا عليه شهادات زور وبهتان ودسوا له الدسائس ونسوا الله تعالى والوقوف بين يديه يوم لا تخفى عليه تعالى خافية فعملت إدارة الجامعة بدورها على إنهاء خدماته. وتحمل الشيخ ما ألصق به من التهم والافتراءا وقال: «حسبنا الله ونعم الوكيد» والله يشاء ويختار ، ولا رد لمشيئته سبحانه، فرضي الشيخ بقضاء اله بنفس مؤمنة صادقة، بل سعد به لأنه فتح عليه مغاليق

المسائل والقضايا الإسلامية ورجع بحماسة أكبر للبحث والتنقيب بما يفيد المسلمين في شتى علوم الشريعة المطهرة التي انشغل عنها بالتدريس لفترة طويلة.

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز من كلمات ذات عبر، مسليًا بها الشيخ ناصر وذلك عند الاستغناء عنه: حيثما كنت تقوم بواجب الدعوة لا فرق عندك، وذلك لمعرفته بقوة إيمانه بالله العظيم وعلمه الواسع وصبره على البلاء. ولعل هذا ما يفسر تكراره لدعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه : اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرًا مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون»(١) .

وبقي شيخنا في الجامعة الإسلامية ثلاث سنوات من عام ١٣٨١ هـ حتى آخر عام ١٣٨٣هـ يدرس الحديث وعلومه، وكان خلالها مثالاً يقتدى به في الجد والإخلاص والتواضع ، وحسن الخلق، وكان ذلك يتجلى في جلوسه مع الطلاب خلال أوقات الراحة بين الدروس، وفي الرحلات التي تنظمها الجامعة، مما كان له الأثر الكبير على الطلاب آنذاك ، مما جعل طائفة منهم من البارزين في الدعوة إلى الله عز وجل، كما كان عضواً في مجلس الجامعة آنذاك»(٢) .

* * *

(١) «حياة الألباني. . .» الشيباني (١/ ٥٨ ـ ٦١).

(٢) «صفحات مشرقة» الهاشمي (ص ٣٧).(١) القريوتي وترجمته للشيخ الألباني . نقلاً عن الهاشمي ص ١٥٠ـ ١٥٢، وانظر «ترجمة موجزة للألباني » للقريوتي (٢٠ ـ ٢٢).

وكان أيضًا من وظائف الشيخ الإمام ورحلاته وجهوده العلمية ما يلي:

اختارته كلية الشريعة في جامعة دمشق ليقوم بتخريج أحاديث البيوع الخاصة بموسوعة الفقه الإسلام، التي عزم الجامعة على إصدارها عام (١٩٥٥هـ).

كما اختير عضوًا في لجة الحديث، التي شكلت في عهد الوحدة بين مصر وسوريا، للإشراف على نشر كتب السنة وتحقيقها.

كما طلبت منه «الجامعة السلفية» في بنارس الهندية أن يتولى مشيخة الحديث، فاعتذر عن ذلك صعوبة اصطحاب الأهل والأولاد، بسبب الحرب بين الهند وباكستان آنذاك.

كما طلب منه معالي وزير المعارف في المملكة العربية السعودية الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ ١٣٨٨هـ أن يتولى الإشراف على قسم الدراسات الإسلامية العليا في جامعة أم القرى بمكة ، وقد حالت ظروفه دون تحقيق ذلك.

وكا اختير عضوًا للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام (١٣٩٥ ـ ١٣٩٨هـ) .

ولبى دعوة من اتحاد الطلبة المسلمين في أسبانيا ، وألقى محاضرة هامة طبعت فيما بعد بعنوان «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام».

وكما زار دولة الكويت، وألقى فيها محاضرات ودروسًا كثيرة، وزار أيضًا دولة الإمارات العربية المتحدة، ودولة قطر وألقى فيها محاضرات ، ومنها محاضرة بعنوان «منزلة السنة في الإسلام».

وكما انتدب من سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء للدعوة إلى التوحيد والاعتصام بالكتاب والسنة والمنهج الإسلامي الحق في مصر والمغرب وبريطانيًا.

وكما دعي إلى عدة مؤتمرات ، حضر بعضها واعتذر عن كثير بسب أشغاله العلمية الكثيرة.

وكما زار عددًا من دون أوربا كألمانيا ـ والتقى فيها بالجاليات الإسلامية والطلبة

المسلمين، وألقى دروسًا علمية مفيدة [١] .

وزار مصر ، وألقى فيها عدة محاضرات في جميعة أنصار السنة المحمدية وفي كلية العلوم بجامعة عين شمس وأماكن أخرى:

وفي عام ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م منح الشيخ جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية، وذلك تقديرًا لجهوده القيمة في خدمة الحديث النبوي تخريجًا وتحقيقًا ودراسة[٢].

* * *

(١) القريوتي وترجمته للشيخ الألباني . نقلا عن الهاشمي ص١٥٠ ١٥٢ ، وانظر «ترجمة موجزة للألباني » للقريوتي (٢٠ ٢٢) .

(٢) «مسائل علمية في الدعوة والسياسة الشرعية» على حسن عبد الحميد الحلبي (ص ٨).

تواضع الشيخ الإمام ورجوعه إلى الحق

كان الشـخي الإمام رحمه الله يتـحلى بخلق التواضع ،وقد لمس هذه الصـفة كل من تعامل مع الشيخ الإمام رحمه الله .

قال الحويني: والله لقد عاينت من لطف الشيخ بي وتواضعه معي شيئًا عظيمًا. . فمن ذلك أنني كلما التقـيت به قبلتُ يده، فكان ينتزعها بشدة، ويأبي عليَّ فلـما أكثر قلتُ له: قد تلقينا منكم في بعض أبحاثكم في «الصحيحة» أن تقبيل يد العالم جائز.

فقال لي: وهل رأيت بعينك عالمًا قط؟

قلت: نعم، أرى الآن.

فقال : إنما أنا «طويلب علم»، إنما مثلي ومثلكم كقول القائل:

إن البُغات بأرْضَنا يستَنسير(١)

وقد ضـرب الألباني رحـمه الله تعالى أمـثلة رائعة لطلابه وإخـوانه ومحـبيه وعـموم المسلمين في التمسك بالحق بدليله، والرجوع عن الخطأ إذا تبين له، ولو كان هذا التبين ممن هو دونه في العلم بمراحل، أو من تلاميذه، أو ممن يخالفه في العقيدة والمنهج، أو غير ذلك كأن يكون ردًا عليه من عالم أو طالب علم ، بل ويستـدرك على نفسه بنفسه، ويعلن ذلك في كتبه وأشرطته، دون أي غضاضة ، أو تحرج(٢) .

يقول الشيخ الإمام رحمه الله :

«كثيرًا ما يقع أن أنقل حديثًا من «الصحيحة» إلى «الضعيفة» وبالعكس، وهذا مستنكر عند الجهلة، ومقبول مشكور جدًا عند أهل العلم. . .

وأنا ـ من فضل الله علـيَّ ـ نادرًا ما أعيد طبـاعة كتـاب، إلا وأعيد النظر فـيه لأنني متشبع أن العلم الصحيح لا يقبل الجمود.

---

(١) «تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النظر في كتب الأماجد» (١٧).

(٢) «محمد ناصر الدين الألباني محدث العصر» العلي (ص٤٠ ـ ٤١)

وأنا أتعجب من مؤلفٍ أَلَّفَ كتابًا من (عشرين) سنة خلت، ويعيده كم هو، لايُغَيِّر، ولا يُبَدِّل.

ما هذا العلم؟!

هل هو وحي من السماء؟!

أم جهد إنسان يُخطيء ويُصيب؟) [١] أ. هـ.

وقال ـ نورُ الله ضريحه ـ في مقدمة المجلد «الأول» من: «سلسلة الأحاديث الضيعفة» (ص ٣ ـ ٦) (ط . الجديدة):

(لما كان من طبيعة البشر ـ التي خلقهم الله عليها ـ العجز العلمي، المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ كان بدهيًا جدًا أن لا يجمد الباحث عند رأي أو اجتهاد له قديم، إذا ما بدا له أن الصواب في غيره من جديد.

ولذلك نجد في كتب العلماء أقوالاً متعارضة عن الإمام الواحد؛ في الحديث، وتراجم رواته، وفي الفقه، وبخاصة عن الإمام أحمد.

وقد تميز في ذلك الإمام الشافعي بما اشتهر عنه أنَّ له مذهبين: قديم، وحديث.

وعليه؛ فلا يستغربن القاريء الكريم تراجعي عن بعض الآراء والأحكام...

وإن مما يساعد على ذلك ـ فوق ما ذكرت من العجز البشري ـ أننا نقف ما بين آونة وأخرى على مطبوعات جديدة، كانت أصولها في عالم المخطوطات، أو المصورات، بعيدة عن متناول أيدي الباحثين والمحققين...

هذا وذاك هو السر في بروز كثير من التصحيحات والتعديلات على بعض ما يطبع من مؤلفاتي الجديدة، أو ما يعاد طبعه منها...

فرحم الله عبدًا دلَّني على خطئي، وأهدى إليَّ عيوبي؛ فإنَّ من السهل عليَّ ـ بإذنه

---

(١) قال هذا في حوار أجرته معه مجلة «البيان» العدد (٣٣) ص (١٢).

تعالى وتوفيقه أن أتراجع عن خطأ تبين لي وجهه، وكتبي التي تُطبع لأول مرة وما يُجَدَّد طبعه منها أكبر شاهد على ذلك(١) .

وفي مقدمة الطبعة الجديدة لصحيح الترغيب والترهيب قال الشيخ الإمام الألباني رحمه الله ـ بعد خطبة الحاجة:

أما بعد، فقد كنا طبعنا من كتابي الفريد الحبيب «صحيح الترغيب والترهيب» المجلد الأول منه طبعات، آخرها الطبعة الثالثة سنة (١٤٠٩) من منشورات مكتبة المعارف في الرياض ، لصاحبها الشيخ الفاضل (سعد الراشد)، والآن فقد رغب مني بارك الله فيه الشروع في طبع بقية مجلداته ، وطبع قسيمه «ضعيف الترغيب» ؛ الذي لم يتيسر لي نشر شيء منه فيما سبق.

لذلك فقد رأيت أنه من الضروري إعادة النظر ، في «الصحيح» و«الضعيف» لأنني مع حرصي الشديد في تحريرهما، وتحقيق القول في أحاديثهما، على المنهج العلمي الدقيق الذي كنت تحدثت عنه في مقدمة الطبعة الأولى للمجلد المذكور (٢) . . . ، ومع ذلك فقد كنت مضطرًا للاعتماد على المنذري في التصحيح والتضعيف ، والتجريح والتعديل وغيرهما حينما لا أتمكن من الرجوع إلى أصوله ومصادره التي رجع إليها ، وكذلك اعتمدت على غيره أيضًا . . .

أما اليوم ـ وبعد مضي نحو أكثر من عشرين سنة على التحقيق المذكور فقد حدثت أمور، وتطورت بعض الآراء والأفكار ، أوْجبت إعادة النظر في المزبور، انطلاقًا من قولي المعروف: «العلم لا يقبل الجمود) ومن أهم تلك الأمور، وأسباب تطور الأفكار صدور بعض المطبوعات والمصورات من الكتب الحديثية التي لم تكن معروفة من قبل، وفيها كثير من مصادر المنذري المشار إليها آنفًا، منها على سبيل المثال:

---

(١) «**ثبت مؤلفات المحدث الكبير الإمام محمد ناصر الدين الألباني**» عبد الله بن محمد الشمراني (ص ١١٤ ـ ١١٦) ط دار ابن الجوزي.

(٢) **وهي الطبعة التي أصدرتها مكتبة المعارف بالرياض في ثلاثةمجلدات ومعها ضعيف الترغيب والترهيب في مجلدين.**

١ ـ صحيح ابن حبان : الإحسان.

٢ ـ مسند أبي يعلى.

٣ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار.

٤ ـ وأخيراً أصله المسمى «البحر الزخار» طبع منه حتى اليوم ثمانية أجزاء.

٥ ـ معجم الطبراني الكبير.

٦ ـ معجم الطبراني الأوسط.

٧ ـ الدعاء. له.

٨ ـ شعب الإيمان للبيهقي.

٩ ـ الزهد الكبير. له.

١٠ ـ كتب ابن أبي الدنيا، وهي كثيرة ، وطبع لها «فهرس الأحاديث » بقلم محمد خير رمضان يوسف.

وغيرها كثير وكثير جداً، من مختلف علوم الحديث من المسانيد والتراجم وغيرها.

وأما المصورات ، فمن أهما:

١ ـ المطالب العالية المسندة، لابن حجر العسقلاني.

٢ ـ تفسير ابن أبي حاتم. ثم طبع أخيراً.

٣ ـ الطب النبوي ، لأبي نعيم.

٤ ـ الغرائب الملتقطة من «مسند الفردوس» لابن حجر .

٥ ـ الكنى والأسماء ، لأبي أحمد الحاكم.

٦ ـ مسند السراج.

٧ ـ معرفة الصحابة، لأبي نعيم، ثم طبع منه الأول والثاني.

٨ ـ البر والصلة لابن المبارك.

٩ ـ المعجم لابن قانع، ثم طبع في ثلاثةمجلدات.

١٠ ـ الوهم والإيهام لابن القطان ، ثم طبع أخيرًا في ستة مجلدات وغيرها كثير.

فأقول : هذه المصادر كانت من الأسباب التي فتحت لي طريقًا جديدًا للتحقيق علاوة على ما كنت قدمت، فقد وقفت فيها على طرق وشواهدومتابعات لكثير من الأحاديث التي كنت قد ضعفتها تبعًا للمنذري وغيره، أو استقلالاً بالنظر في أسانيد مصادرها التي ذكرها هو أو سواه ، فقويتها، بذلك وأنقذتها من الضعف الذي كان ملازمًا لأسانيد مصادرها المذكورة في الكتاب ، إلى فوائد أخرى لا يمكن حصرها، وقد نبهت على بعضها بالحواشي. . .

وعلى العكس من ذلك فقد ساعدتني بعض الطرق المذكورة في المصادر الجديدة على اكتشاف علل كثير من الأحاديث التي قواها المؤلف أو غيره: كالشذوذ ، والنكارة ، والانقطاع، والتدليس والجهالة، ونحوها، كما ساعدتني على تبين خطأ عزوه إلى بعضها، كأن يطلق العزو للنسائي الذي يعني (السنن الصغرى) والصواب أنه في (السنن الكبرى) له، أو أن يعزو للطبراني مطلقًا ويعني (المعجم الكبير) له، وهو خطأ صوابه (المعجم الأوسط) له، ونحو ذلك.

ومن قبل لم يكن ممكنًا الوقوف على هذه المصادر التي جدَّت وسميتُ آنفًا بعضها، وكذلك ساعدني ذلك على تصحيح بعض الأخطاء الهامة التي ترتب عليها أحيانًا تضعيف الحديث الصحيح براوٍ ضعيف مثل (شهر بن حوشب) وهو ليس في إسناده . . .إلى غير ذلك من أخطاء أخرى ما كانت تظهر لولا هذه المراجع.

هذا ما يتعلق بالمصادر العلمية التي صدرت حديثًا.

وأما ما يتعلق بالآراء والأفكار ، فالإنسان بحكم كونه خلق ضعيفًا، وساعيًا مفكرًا،

فهو في ازدياد من الخير سواء كان ماديًا أو معنويًا على ما يشاء الله عز وجل، ولذلك تتجدد أفكاره، وتزداد معلوماته ، وهذا أمر مشاهد في كل العلوم، ومنها علم الحديث القائم على معرفة الألوف من تراجم الرجال، وما قيل فيهم جرحًا وتعديلاً، والاطلاع على آلاف الطرق والأسانيد ، فلا غرابة إذن أن يختلف قول الحافظ الواحد في الراوي الواحد والحديث الواحد . كما اختلف أقوال الإمام الواحد في المسألة الواحدة كما هو معلوم من أقوال الأئمة ، ولا داعي لضرب الأمثلة فهي معروفة ، فبالأولى أن يكون لأحد من الباحثين أكثر من قول واحد في الرواي الواحد وحديثه ، ولبيان هذا لا بأس من ضرب بعض الأمثلة.

١ـ عبد الله بن لهيعة المصري القاضي الصدوق نشأنا في هذا العلم، ونحن ندري أنه ضعيف الحديث لاختلاطه ، إلا فيما كان من رواية أحد العبادلة عنه، ومع البحث والتحري انكشف لي أن الإمام أحمد ألحق بهم (قتيبة بن سعيد المصري) ، كما بينت ذلك في «الصحيحة» (٢٥١٧) . وقد يكون هناك أخرون.

٢ ـ دراج بن سمعان أبو السمح المصري ـ جريت إلى ما قبل سنين على تضعيف حديثه مطلقًا سواء كان عن أبي الهيثم أو غيره ، ثمر ترجح عندي أنه حسن الحديث إلا عن أبي الهيثم في بحث أودعته في «الصحيحة» أيضًا برقم (٣٣٥٠) .

فلهذا فقد تطلب مني التحقيق الجديد إعادة النظر في كل حديث من كتاب «الترغيب » في إسناده أحد هذين الراويين، لتلحق ـ على ضوء هذا التفصيل بـ «الصحيح » أو «الضعيف» منه.

ويشبه هذا ـ من حيث إعادة النظر ـ الرواة المعروفون بالاختلاط أو التدليس، والثقات المضعفون في بعض شيوخهم مما هو معروف عند المشتغلين بهذا العلم الشريف، فهذا النوع أيضًا قد تطلب مني جهدًا خاصًا لتمييز صحيح حديثهم من ضعيفه، وقد وفقت في ذلك

إلى حد كبير كما سيرى القراء التنبيه على ذلك في التعليقات مع الإيجاز والفضل لله أولاً وأخيرًا.

وثمة سبب آخر يستدعي إعادة النظر في الكتاب ، ألا وهو ما فطر عليه الإنسان من الخطأ والنسيان، وهو وإن كان لا يؤاخذ عليه المرء كما هو ثابت في القرآن والسنة، فلا يجوز الإصرار عليه إذا تبين ، ولذلك فإن من دأبي أنه كلما بان لي خطأ أو وهم نبهت عليه على هامش نسختي من الكتاب ، لأصححها إذا ما قدِّر له طبعه من جديد . وهذا ما جريت عليه في كل ما يعاد طبعه من كتبي ، لا يصدني عن ذلك استغلال ذلك بعض الشانئين والطاعنين من ذوي الأهواء المعروفين بمعاداتهم للسنة والداعين إليها، من الذين يجعلون المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، ويتجاهلون ما كان عليه أئمتنا من الرجوع إلى الصواب حينما يتبين لهم. والآثار في ذلك معروفة مشهورة[١] .

فتذكرُ الإنسان هذه الحقيقة البشرية ، مما يدفع عنه العُجب والغرور ، ويحمله دائمًا على الاعتراف بالعجز والتقصير ، ليتدارك من الخير والصواب ما فاته ، ويقدم إلى القراء ما هو الأصلح والأنفع بإذن الله تعالى، ليكون كما قال عليه الصلاة والسلام: «خير الناس أنفعهم للناس» (الصحيحة ١٢٧). اهـ

قلت: ومن الذين أشار إليهم الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ باستغلالهم لاستداركاته وتغيير اجتهاداته ، ووصفه لهم بالشانئين والطاعنين من ذوي الأهواء المعروفين بمعاداتهم للسنة والداعين إليها.

أقول: من هؤلاء ذلك المدعو بالسقاف.

فقد استغل هذه الاستدراكات التي يستدركها الشيخ الإمام على نفسه، وصوَّرها للناس على أنها تناقضات من الشيخ!! وأصدر كتابًا في جزأين وسماه «تناقضات الألباني

---

(١) راجع إن شئت للرد على الطاعنين مقدمتي للمجلد الأول من «الصحيحة» (الطبعة الجديدة) ومقدمة المجلد السادس منه.

الواضحات فيما وقع له في تصحيح الأحاديث وتضعيفها من أخطاء وغلطات»!! وقد بيَّن الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ حقيقة هذا السقاف وذلك في مقدمته للمجلد السادس من السلسة الصحيحة .

قال الشيخ الإمام رحمه الله بعد خطبة الحاجة:

أما بعد: فهذا هو المجلد السادسُ من كتابي الكبير «سلسلة الأحاديث الصحيحة...»، وهو يضم بين دفتيه باقة عطرة جديدة من أحاديث النبي ﷺ وسنته المطهرة، وسيرته المشرقة.

وهذا المجلد ـ كسابقيه تتضمَّنُ أحاديثُهُ ألوانًا من العقائد ، وأنواعًا من الآداب والأخلاق ، وصنوفًا من الفقه والأحكام ، وفنونًا من العلوم الحديثية الاصطلاحية، وغير ذلك مما سيستفيد منه إن شاء الله المسلمون بعامة وطلبة العلم بخاصة ، ودعاة السنة وأهلها بشكلٍ أخصَّ.

وحتى ما يكونَ إخوانُنا القراء الأفاضل على اطلاع لما قلت، ومعرفة بما أشرت أذكر ـ في هذه المقدمة الوجيزة ـ أهم ما وقع في المجلد من أحاديث وروايات ومباحث علمية:

من ذلك ـ فيما أرى ـ بعض الأحاديث ، أو المسائل التي ظهر لي منِّي ابتداء ـ أو بدلالة غيري ـ فيها تغيُّرُ رأيٍ، أو اختلافُ اجتهادٍ، أو أخطأ انكشف لي فيما بعد، كمثل الأحاديث ذوات الأرقام (٢٥٢٠، ٢٥٥١، ٢٥٧٦، ٢٦٣٩، ٢٦٥٨، ٢٧٢٣، ٢٧٤٨، ٢٨١٣، ٢٨٢٧، ٢٨٧٨، ٢٨٨٣) وغيرها.

وهذا الذي ذكرتُهُ هنا يجعلني أشيرُ إلى مسألة مُهمة جدًا؛ وهي مُتعلقة بما تشبث به بعض جهلة مبتدعة هذا العصر؛ الذين سودوا بعض الرسائل والكتب طعنًا في السنة وأهلها، وتشكيكًا بحملتها ودعاتها، كمثل ذاك الهالك في تعصبه، الغارق في جهله، المدعو (السقاف) ، فقد استغل عددًا من تلك الاجتهادات المختلفة ، أو المراجعات العلمية، واسمًا إياها بـ «التناقضات» ، وإنما هي تناقضات رأسه، واضطرابات فكره، التي انعكست على قلبه عداء، وعلى قلمة استعداء!!

أما أهل العدل والإنصاف فإنهم يعدون مثل هذه المواقف العلمية رفعةً في الأمانة، وعلُوًا في أداء الحق لأهله.

على أنني أذكر لـلإخوة القراء أن كـثيرًا من تلك «التنـاقضات» التي سـوَّد ذِكْرَها ذاك السـقاف الأشـر إنما هي من تلبيـسه على القـراء ،ومـحاولـته تضليله إيـاهم، وتلاعبـه بعقولهم!!! وهذا مما لا يخفى إن شـاء الله على من له أدنى اشتغال بعلوم السنة ، أو على من له أدنى دراية بطرائق المبتدعة في الكتابة!![1] .

وبين يدي مثال يلتقي ـ تقريبًا ـ مع ما ذكـرت من صنائع أهل الإنصاف وتعاملهم فيما يختلف فيه قول العالم ـ أحيانًا ـ في بعض مسائل العلم:

فها هو فـضيلة الشيخ بكر أبو زيد ـ نفع الله به ـ يبحث في جـزئه اللطيف «مرويات دعاء خـتم القرآن» رواية خبـر في سنده (صالح بن بشـير المري) وحاله مـعروف عند أهل الحديث ، فقال ـ حفظه الله ـ في نهاية بحثه:

«. . . فهو متـروك الحديث مع صلاحه وزهادته ، والمتروك لا يعتـبر بحديثه في باب الشواهد، ولا المتابعات ، وهذا يتفق مع ما قرره العـلامة الألباني في «الضعيفة» (١/ ٢١٤ و ٣٠٩) خلاف مـا قرره في تعليـقه على «مـشكاة المصابيح» (١/ ٣٦) (رقـم : ٩٨) فإنه اعْتَبَر به ، فليُصَحِّح.

وهذا لا يُشغِّب به على أهل العلـم، كالحال في تعدد الروايات عن الإمـام الواحد في الفقهيات، وفي تربة الحديث الواحد ، وكذا في منزلة الراوي.

وللحافظين الذهبي وابن حجر في هذا شيء غـير قليلٍ يعلم من المقابلة بين «الكاشف» و«المغني» كلاهما للذهبي ، وبين «التقريب» و «التلخيص» و «الفتح»؛ ثلاثتها لابن حجر ، والأعذار في هذا مبسوطة وانظر «رفع الملام» لابن تيمية.

لكنَّ هذا يوافق لدى المبتـدعة شهوة يعالجـون بها كمد الحسـرة من ظهور أهل السنة، ولهم في الإيذاء وقائع مشهودة على مَرِّ التاريخ، لكنها تنتهي بخذلانهم ، والله الموعد».

---

(١) وقد ذكرت في مقدمة المجلد الأول من هذه السلسلة / الطبعة الجديدة نماذج مما زعم فيها التناقض ، وبينت أنه لا تناقض في شيء منها، وإنما هو الاسـتسلام للحق، واتباع للعلم الذي لا يقـبل الجمود والوقوف ، وأن زعـمه نابع من جـهله وحسـده وحقـده، وأقمت الدليل القـاطع على ذلك ، وهو استمراره في ادعـاء «التناقضات» التي لا يستفيد منهـا أحد، دون أن يبين الصواب منها ولو في نوع واحد!!!!

قلت: لقد أصاب حفظه الله كبد الحقيقة بأبين طريقة، وكأن كلماته سهام موجهة نحو نحر ذاك السقاف الجهول لتهدم كُتُبَهُ كلهـا ورسائله جميعها، إذ أنها مبنية على هذا الأساس المتهاوي ، فهي على شفا جرف هار!!

فليكن هذا الكلام العلمي نهجًـا يضعه المنصفون نصب أعيـنهم ليكون طريقًا سويًا في نقداتهم. أو تنبيهاتهم .ا هـ

قلت: وقد قام عدد غير قليل من تلامـذة الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ بالرد على هذا السقاف، وتبـيين ترهاته ! وتلبيساته! وتدليـساته! وافتراءاته ودوافعـه الخبيثـة، التي جعلته يصور استدراكات الشيخ على نفسه وتغييره لاجتهاداته على أنها من تناقضاته!!

ومن بين هؤلاد الرادين الشيخ الدكتور خالد العنبري، فقد صنف رسالة بعنوان «كتاب تناقضات الألباني الواضحها تلبيسات وافتراءات» قال في مقدمتها بعد خطبة الحاجة:

أما بعد، فمما أضحى واضحًا لا يخفى أن كثرة من الكتابات المعاصرة تفتقد الإنصاف والعدل في الأقوال والأحكام، وإن يكاد القاريء ليجزم بالنتيجة التي توصل إليها البحث أو المقال من خلال اطلاعه على اسم صاحب القلم، ومعرفة اتجاهه الفكري، أو مذهبه العقدي أو الفقهي.

وهذه سُبَّـة باقية في الأعقـاب، وجناية في حق القراء، وبرهان على أن الكاتب مـتبع لهواه، غافل عن مـولاه، لا يحجزه تقي ، ولا يردعه نهي، ولا يكفـه تحرج ، إذ لو كان لترفع عن الإسفاف واستنكف من عدم الإنصـاف، بيد أن الغفلة متى تزوجت باتباع الهوى تولد بينهما كل شر ، وأي شر أقبح من تسطير الباطل وتزيينه ، وإخفاء الحق وبراهينه.

لا ترجعُ النفس عن غيِّها ما لم يكنْ منها له زاجر

لقد أطفح السقاف كـتابه «تناقضات الألباني الواضحـات» بالحيف وبالجنف ، وأشحنه بالعداء والعسْف، فأحيا معالم الجَوْر، وأمات سنن العدل، وكاشف الشيخ النبيل بالعداوة ، واستولى عليه البغي ، واعتلاه التطاول فكبحه عن العدل والإنصاف، ناهيك أنه استطال في عرضه وقدح فيه وأزرى .

أيعاب الذين هم حفظوا الدِّ ين من الترهات والتمويه

وإلى قولهم وما قدر رووه راجع كل عالم وفقيه

فضائل الشيخ الألباني غير منكورة ، وجهوده في خدمة السنة والإسلام معروفة مشكورة، وإلى الله المشتكى ممن لا يرى له حق ، ولا حرمة ولا يرقب فيه إلا ولا ذمة، ولكن:

ما يضير البحر أمسى زاخراً أن رمى فيه غلامٌ بحجر

* * *

لو رجم النجم جمع الورى لم يصل الرجم إلى النجم

فلتمض أيها الشيخ المبارك في مسيرتك المباركة ، ولا عليك فإن حسبك الله، ألم يمددك بثلة انبرت للذب عنك، أرأيت غيرك من مشاهير علماء هذا العصر ونبلائهم من يُسر له قريب من هذا الذي أكرمك الله تعالى به، ولن يصرفك إن شاء الله ما تلقاه من هذه الردود التعسفية، والتسويدات التمويهية ، عن مواصلة مسيرتك لخدمة السنة المطهرة «فبعد قليل ينكشف البهرج، وينكب الزغل ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله»[١] ولن تؤثر هذه التسويدات على ما تبثه من أنوار النبوة إلا انتشاراً وانتصاراً، ولن تزيد القلوب المطمئة لأبحاثك السنية إلا سكينة واستبشاراً، كيف لا وهي صادرة من قلب امتلأ نوراً وحكمة ومعرفة وفهمًا عن الله ورسوله، ونصيحة للأمة ،نحسبك كذلك،ولا نزكي على الله أحدًا.

أما السقاف ! فقد تمادى في غيِّه ، وتتابع في عمايته ، وأصر على باطله، وأمعن في إساءته لأهل السنة، فهو يسميهم مشبهة وحشوية مجسِّمة[٢] شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم،ومن قبلهم من أئمة السلف، ومن بعدهم من أئمة المسلمين في حاضر الزمان، من أمثال الشيخ الألباني، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ ابن عثيمين، هؤلاء جميعًا وغيرهم، صفحتهم مطوية عنده، ضالون محرفون في تصوره المأفون.

بل صحابة النبي ﷺ ورضي الله عنهم لم يسلموا من حيْفه وغلِّه، فأملى له الشيطان فورَّطه في الوقوع في معاوية خال المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين، ثم تأله على الله

---

(١) تذكرة الحفاظ : (١/ ٤).

(٢) في مواضع كثيرة من كتبه، وهو في أثناء تلك المواضع ، يغمز الجامعات والمعاهد التي تدرس عقيدة أهل السنة.

فجعله ممن قال في شأنهم ﴿ **فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيما**﴾(١) ثم جمع في غوايته فوصف هذا الصحابي الجليل بالنفاق والبغض لعلي(٢) !

ولم يكتف هذا التائه بذلك فانطلق يضرب في عشوائه متهجمًا على الصحيحين أصح الكتب بعد كتاب الله جل ذكره يضعف منهما ما خالف عقيدته المشوبة، وعقله المضطرب، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فما أحلم الله عنك حيث أمهلك وقد تماديت في طغيانك وغيك، تريد أن تفرق أمر هذه الأمة ، وتزاحم اعتقاد السلف، والقضاء عليه.

«فيا من آذى نفسه، بخط مائل عن الصراط المستقيم، فاجترح السيئات ، وطاف بقلبه، طائف الهوى، وارتمى في مجاهل الضلال البعيد، فقارف الشبهات والشهوات»(٣) ارجع إلى رياض أهل السنة والحديث، أهل التوسط والاعتدال، «الذين جمعوا بين الصبر واليقين، والدعوة إلى الله بالسنة والوحي، لا بالآراء وبالبدع ، فهؤلاء خلفاء الرسول، ﷺ في أمته ، وهم خاصته وأولياؤه ، ومن عاداهم أو حاربهم فقد عادى الله سبحانه ، وآذنه بالحرب»(٤)فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عنان الفتنة»(٥) .

«أما أن تغرق في خضم الترهات ، موبقًا نفسك في ردود ومتاهات ، متعرضا ـ بغير حق ـ للكبراء، ذوي العلوم الغاليات والهمم العاليات، فهذا أمر أنت دونه بدرجات ، وظاهر حالك يغنيك عن كثير المقالات!»(٦) .

وأرجو أن أكون قد وفقت للذب عن أئمة أهل السنة والحديث، والرد على الذين يريدون بث الفرقة والاختلاف بين صفوف الأمة بالطعن في مسيرة علماء الأمة وجهادهم

---

(١) انظر تعليقه علي كتاب «دفع شبه التشبه»: (٢٣٧).

(٢) المصدر السابق : (٢٤١).

(٣) الرد على المخالف للعلامة الفاضل بكر بن عبد الله أبو زيد: (٩١).

(٤) «صلاة المحبين» لابن قيم الجوزية، تحقيق المؤلف «٢١».

(٥) من كلام الإمام أحمد في خطبة كتابه في الرد على الجهمية نقلاً عن المصدر السابق.

(٦) من نصيحة ذهبية قدمها للسقاف الأخ الأستاذ الجهبذ على الحلبي الأثري ـ حفظه المولى ـ في آخر كتابه الماتع «الإيقاف على قاموس شتائم الخساف».

الطويل، والتشكيك في نياتهم ونزاهتهم ،والتعسف في حمل تصرفاتهم بالفتيا والقول عل محامل السوء، وتَصيُّد المعايب عليهم، وإلصاق التهم بهم، والحط من أقدارهم، والتزهيد فيهم، فإن هذا من أعظم وسائل «الهدم» ومواطن الإثم ،وتفتيت الأمة، وإضعاف القيادة العلمية».

وقد كنت أولاً أردُّ على هذا السقاف بأسلوب علمي مفعم باللين والرفق، فلمَّا وجدته يقع في الصحابة وأهل السنة والحديث ويفترى عيلهم أغلظت عليه ـ على غير عادتي ـ والله الموعد.

وبعدما انتهيت من هذه الردود ، جاءني أحد الأفاضل بصورة من كتاب «الأنوار الكاشفة لتناقضات الخساف الزائفة» وكشف ما فيها من الزيغ والتحريف والمجازفة» لصاحب القلم السَّيال، الأستاذ النحرير علي بن حسن الحلبي أبي الحارث ، فعلقت منه فوائد عزيزات.ا هـ

قلت: ومن تواضع الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ أيضًا أنه كان يجهر باستفادته من تلامذته وإخوانه العلماء، ويشكر لهم ذلك فهو يقول في مقدمته للمجلد السادس من السلسلة الصحيحة:

وفي الختام ؛ لا يفتوني أن قوم بواجب الشكر لابنتي الكبرى (أم عبد الله) ، فإن لها الفضل في تيسير تصحيح تجارب هذا المجلد ، ولفت النظر إلى كثير من الأمور التي قد يسهو عنها أي مؤلف؛ فضلاً عمن بلغ الثمانين من العمر، من مثل سقوط كلمة أو جملة، أو استرعاء نظر إلى تكرر تخريج حديث ، أو عدم تمام الكلام عليه، ونحو ذلك، فجزاها الله عني خير الجزاء .

وكذلك الأخ على الحلبي ، فقد استفدت من ملاحظاته التي كان كتبها علي الأصل الذي هو بخطي ، وبعضه قد كتب منذ عشرات السنين أو كتبها على بعض التجارب التي أتيح له الاطلاع عليها. فله ولكل من كان له يد في إخراج المجلد ونشره بإشراف صهري نظام سكجها / صاحب المكتبة الإسلامية / عمان ـ جزيل الشكر.

وأخر دعوانا أن الحمد رب العالمين.

عمان في ٢٧ ذو القعدة ١٤١٥هـ

محمد ناصر الدين الألباني

يقول الهاشمي: والشيخ لا يمنعه علمه ونظرة الناس إليه أن يطلب من الموجودين الإفادة في بعض المسائل إن أشكلت عليه كما حصل في أكثر من مجلس حضرته، وأذكر أني سألته عن بعض مسائل الصرف في الأوراق النقدية فذكر لي أن هذا من المسائل المشكلة وأود أن تبحث هذه مع علماء المملكة أمثال الشيخ ابن باز؛ لأن هذا مما يشكل عليّ[١].

ولقد كان بين الألباني وبين ابن باز ـ رحمة الله عليهما ـ أخوة عظيمة ومن الأشياء التي سأل الألباني فيها ابن باز مسألة الأموال الربوية المودعة في البنوك ماذا نفعل بها فكتب الشيخ ناصر للشيخ ابن باز يقول أنني توصلت إلى أن هذه الأموال تنفق في وجوه الخير غير الطعام والشراب واللباس وهي تعطي قيمة محروقات بنزين حطب أو صلاح حمامات، طرق، طبع كتب، يسأله عن رأيه في هذه الأموال فكتب إليه ابن باز موافقًا على رأيه قال: فطبعنا بالأموال الربوية التي جاءتنا كتب في دعوة السلف ونشرناها وكان الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله يحول على الألباني بعض المسائل، فلما طبع أحد مشايخ باكستان المتعصبين على الإمام أحمد يطعن في مسند الإمام أحمد ويقول إن القطيعي أضاف عليه إضافات ويشكك في أحاديث المسند حول الشيخ ابن باز هذا للألباني ليبحثه فاستعرض الشيخ أحاديث مسند أحمد وله فوق خمسة وعشرين ألف حديثًا حديثًا ليتبين هل فيها شيء من رواية القطيعي وكتب كتاب « الدفاع الأحمد عن مسند الإمام أحمد »...

وكان بينه وبين الشيخ ابن باز مشاورات وبينهم صداقة أربعين سنة لم يتخللها شحناء ولا بغضاء وكان الألباني يتمنى أن يكتب كتاب مشترك مع ابن باز في مسألة وهي «وضع اليدين على الصدر بعد الرفع من الركوع» وكان يقول: أريد أن يكون هذا الكتاب نبراسًا ومثلاً يحتذى لطلبة العلم عندما يرون نقاش العلماء مع بعضهم[٢].

---

(١) «صفحات مشرقة من حياة العلامة الألباني» (ص ١٤١).

(٢) محاضرة بعنوان «أحداث مثيرة في حياة العلامة الألباني » للشيخ محمد صالح المنجد ، أعدها للنشر محمد حامد محمد (ص ٢٩ ـ ٣٠) ط مكتبة الإيمان بالأسكندرية.

عطاء الشيخ الإمام - رحمه الله - وبذله وإحسانه إلى الناس:

كتب الأخ الفاضل محمد الخطيب الذي عمل في بيت الشيخ رحمه الله ست سنوات هذا الكلام:

وقد كان الشيخ رحيمًا رؤوفًا فقال لي مرة: يا محمد أنت لا تملك سيارة، وأولادك لا بد أنهم بحاجة إلى استجمام ، فهيئ نفسك في أي يوم تريد حتى نذهب سويًا في نزهة ترفِّه بها عن أولادك، وفعلاً بعد يومين رتبنا أمرنا وخرجنا بصحبة الشيخ وزوجته إلى بعض الأحراش خارج عمان، وقد أحضرنا طعامًا وفاكهة منوعة، وسُر أولادي أي سرور.

وكنت مرة أعمل للشيخ على سطح بيته وأصلح بعض الأمور ، فحملت قضيبًا طويلاً أرفعه من مكان لآخر ، فغلبني القضيب وأنا في أعلى السطح فكدت لولا فضل الله أن أهوي من أعلى السطح، فعلم الشيخ بالخبر، فحمد الله على سلامتي ، وسارع ساجدًا لله: سجدة شكر، وذرفت عيناه بالبكاء، وأخرج من جيبه مئة دينار أعطاني إياها.

وكان ورعًا حيث حصل أن توسط مرة لشخص تعرَّف عليه في إحدي الشركات ، بعد أيام طرق الرجل باب الشيخ محضرًا تنكة زيتون، فقال لي: هذه هدية للشيخ، وكان الشيخ نائمًا، فلما استيقظ أخبرته،فقال: لا يحل لنا أكلها، فقد قال رسول الله ﷺ : **«من شفع شفاعة، وأهدي له هدية فقبلها، فقد أتى بابًا من الربا»** وأعطيناها للفقراء.

وكم كنت أستحث الشيخ لبناء مسجد أو إعطاء فقير أو أرملة أو سائل، فكان لا يردني في ذلك، والقصص كثيرة في ذلك، منها: جاء رجل مريض وعلاجه بإبر تكلفة الواحدة منها عشرون دينارًا، يحتاج إلى (١٥) إبرة فطلب مني الشيخ الذهاب لبيته والتأكد من صحة ما قال ، فلما علمنا صدقه أعطاني الشيخ المال، واشترينا له الإبر.

ولما نويت أن أبني احتجت للمال، فطرقت كثيرًا من الأبواب، ولم أحصل على شيء، فتذكرت رجلاً ثريًا يعرفه الشيخ، فقلت لزوجة الشيخ : لعلك تقولين للشيخ أن يتوسط لي عند فلان حتى يقرضني، وفي اليوم التالي، وكنت أجلس على مكتب قال لي: يا محمد أنت تريد أن أتوسط لك عند فلان كي يقرضك؟ فقلت : نعم ، قال أنا أولى بك منه أنا أعطيك ما تريد ، فبكيت وقلت: يا شيخنا جزاك الله خيرًا. ولكن والله لم يكن

ببالي أن أحصل على طلبي من الشيخ لترفُعي عن النظر لما عند الشيخ، فلما أعطاني المال قال: هذه هدية ألف دينار غير محسوبة، فبكيت مرة أخرى، فجزاه الله خيراً كثيراً رحمه الله تعالى.

وقصة أخرى حصلت قريبًا والشيخ في المشفى: جاءته امرأة تشكو له وقوعها في براثن البنوك، حيث إنها وزوجها اقترضا من أحد البنوك مبلغ تسعة آلاف دينار، وتضاعف عليها المبلغ من الربا بعد وفاة زوجها فجاءت تستنجد بالشيخ للخلاص من ذلك، فطلب مني الشيخ كالعادة التحري في ذلك، وبعد التحري والتأكد من صدق المرأة وافق الشيخ على أن يقرضها مبلغ سبعة آلاف دينار، فحضرت المرأة وحضر معها أولادها فقال الشيخ: هذه ألف دينار هدية، وهذا المبلغ المطلوب، ففرحت المرأة وفرح أولادها ودعوا للشيخ، ودعوت أنا، بأن يجزيي الله الشيخ خيراً، فنظر الشيخ إلينا وقال: يا إخوان ! والله إنني أتمنى أن أصبح مليونيراً ، حتى أخرج الألوف من أمثال هذه المرأة من قيود الربا.

وكانت زوجتي على وشك الولادة، فكان الشيخ دائم السؤال عنها، وقبل يوم من الولادة ـ حينما أردت الانصراف من المكتبة ـ قال الشيخ: خذ سيارة أم الفضل لعلك تحتاجها في منتصف الليل، وبقيت السيارة عندي يومين، وفعلاً جاءت الولادة في منتصف الليل، وخرجت من بيتي لا أعرف أين أذهب، وبعد بحث لم أجد قابلة، فتذكرت أن زوجة الشيخ عندها خبرة بالولادة، فتوجهت نحو بيت الشيخ وأنا متردد خشية أن أزعج الشيخ في هذا الوقت المتأخر، فطرقت الباب ، فرد عليَّ الشيخ وقدَّمت اعتذراً شديداً وأعملته حاجتي، فرد علي بلهجة المداعب: لماذا لم تصنع مثل شيخك؟ فقد قمت بتوليد زوجتي بنفسي، ثم أردف قائلاً: لحظات وأوقظ لك أم الفضل، وذهبتْ معي، ورُزقنا بولدي عبد الله.

أما سيارة الشيخ فكانت جَمَل محامل للإخوة، فكان يحمل بها الإخوة، وينقلهم من مكان لآخر، ويقول لي: يا محمد كان يقول لي والدي ـ رحمه الله ـ لكل شيء زكاة، وزكاة السيارة: حمل الناس بها.

وكان يقول : «إتمام المعروف خير من البدء به» وهي حكمة تعلمناها من الشيخ ،

وأنعم بها من حكمة ، فكان يقوم على قضاء حوائج إخوانه، فيكتفي الأخ بشيء من خدمة الشيخ ، فيفرح الشيخ ، ويصر على أن يتمم له ذلك، ويبادر الأخ بقوله: «إتمام المعروف خير من البدء به» فكم والله استفدنا من هذه الحكمة في معاملة إخواننا [١] .

وقال الشيخ عبد الله علوش: عرفت الشيخ منذ قرابة نصف قرن، عفيفًا حليمًا عليمًا واسع الصدر، يناقش كل أمر بصبر وتؤدة ، واستحضار أدلة، ويقبل النصيحة من الكبير والصغير ، ومن العالم والجاهل، لا يتكبر على أحد، ولا يتطاول على الآخرين ، عفيف اليد والقلب ، يأكل من كسب يده، لا يتركنا ندفع عنه أَجْرَ السيارة أو الترام بل يدفع عن كل محبيه ويقول: حتى أخالف المشايخ الذين يتسلطون على أموال محبيهم ومريديهم[٢].

وقال الشيخ عيد عباسي : كنا نسافر معه إلى المدن في سيارته وكان معنا من تلاميذه أيضًا محمود الجزائري فأبى الشيخ إلا أن يدفع نفقات السفر ويقول: دعوها أن تكون خالصة لله، فنحاول، أن ندفع ولكن يصر على أن يدفع هو، والمشوار مكلف خصوصًا في ذلك الوقت .

* * *

(١) مجلة الأصالة، ص ٢٣ .

(٢) من مقدمته لكتاب «مقالات الألباني» (ص ١١).

عبادة الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ ورقة قلبه

كان الشيخ رحمه الله من أحرص الناس على أن تكون عبادته موافقة للسنة في صفتها، وفي عددها، وفي وقتها، حريصًا على تطبيق السنة في مأكله ومشربه وملبسه، وفي معاملاته.

ويشهد بذلك من جالسه، أو زاره، أو حضر دروسه، ولقاءاته العامرة، حتى قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله:

«فالذي أعرفه من الشيخ من خلال اجتماعي به ـ وهو قليل ـ أنه حريص جدًا على العمل بالسنة، ومحاربة البدعة سواء كانت في العقيدة أم في العمل».

وكان يكثر من التنفل صلاةً وصيامًا، وكان سريع التأثر والبكاء لا سيما عند سماعه القرآن أو تلاوته، أو سماع الأحاديث النبوية التي فيها الوعد والوعيد، أو عند سماعه نبأ موت بعض علماء الحديث والسنة ، أو عندما يذكر له رؤيا خير رؤيت له، وعند مدحه والثناء عليه»(١) .ولقد كان رحمه الله تعالى يحرص على صيام الإثنين والخميس صيفًا وشتاء، إلا أن يكون مسافرًا أو مريضًا ، وكان إذا دخل المسجد يوم الجمعة لا يزال يصلي ركعتين ركعتين حتى يصعد الإمام المنبر، وكان يحج ويعتمر كل عام ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وربما اعتمر في السنة الواحدة مرتين، وقد حج أكثر من ثلاثين حجة.

ولقد كان رحمه الله سريع العَبْرَة، غزير الدمعة، وخاصة إذا أثنى عليه أحد، أو سمع أو قرأ حديثًا فيه ترهيب وتخويف.

قال بعضهم: «ولقد عهدنا منه عندما يثني عليه أحد بعلمه أن يقول : ما أنا إلا طويلب علم صغير» ثم كلمة الصديق رضي الله عنه على لسانه: «اللهم اجعلني خيرًا مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون» ، وكثيرًا ما كانت دموعه تخالط كلماته فتقطع حروفها، ولا يكاد يبين عن كلماته إلا من بعد انقطاع دموعه(٢) .

---

(١) «الألباني الإمام» لعبد القادر الجنيد (ص ٣٢).

(٢) «مجلة صوت الأمة» عدد ٣٢ (ص ٣٢، ٣٩) نقلاً عن «محمد ناصر الدين الألباني محدث العصر» (ص ٤٤ ـ ٤٨).

وقال الهاشمي: كان الشيخ رحمه الله رقيق القلب، بكَّاءً، وإذا ذكر عنده الثناء أو المدح، لا يملك نفسه من الإنكار لذلك ، وأنه ليس بشئ ، وهذا كله من تواضعه الجم، بل لما دعاه أهل الحديث في باكستان لمؤتمرات في الدعوة هناك اعتذر لهم، فطلبوا مني أن أكلم الشيخ فكلمته، فاعتذر لي بأن السبب في عدم ذهابه أن الإخوان هناك يغلون في حبه، ولا يحب سماع هذا الكلام، ولما ذكرت له بعض علماء الحديث في صيف عام ١٤١٩هـ ذكر لي ما أنشده الحسن بن محمد النسوي[١] :

أهل الحديث همو أهل النبي وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

ثم قال: «نسأل الله أن يحشرنا معهم» ثم فاضت عيناه بالدمع، لا مستَّهُما النار.

ولما كلمته بعد فوزه بجائزة الملك فيصل قال: نسأل الله أن يجعل ذلك في صالح الدعوة، وأن يحقق لنا الفوز بالجائزة الكبرى في لقائه سبحانه وتعالى.

وغير ذلك مما كان يتمتع به شيخنا رحمه الله من محاسن الأخلاق وفضائلها[٢].

* * *

(١) كما روى ذلك الحافظ ضياء الدين المقدسي في جزء له في «فضل الحديث وأهله» ص (٢١).

(٢) «صفحات مشرقة» (١٤١ ـ ١٤٢).

وصية الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ لطلبة العلم

قال الدكتور عاصم القريوتي:

كان شيخنا رحمه الله يوصي دائمًا بتقوي الله ـ عز وجل ـ وأن يكون طلب العلم خالصًا لوجه الله، لا يريد به صاحبه جزاءً ولا شكورًا في الدينا، ولا تصدرًا للمجالس، كما يوصيهم بالابتعاد عن المزالق التي قد يقع بها بعض طلاب العلم، من العُجب والغرور، وأن يفتي بما بدا له، وأن يستعين بأهل العلم من سلف الأمة الصالح، وينصحهم بالصبر على طلب العلم، وأن يبتعدوا عن كل خلق ليس إسلاميًا ومن ذلك: ألا يغتروا بما أوتوا من علم، وأن لا يغلبهم العجب، وأن ينصحوا الناس أخيرًا، بالتي هي أحسن، ويبتعدوا عن الأساليب القاسية والشديدة إذ يقول شيخنا:

«لأننا جميعًا نعتقد أن الله عز وجل حين قال: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. إنما قال ذلك؛ لأن الحق في نفسه ثقيل على الناس، ثقيل على النفوس البشرية، ولذلك فهي تستكبر عن قبوله، إلا من شاء ربك، فإذا انضم إلى ثقل الحق على النفس البشرية عضو آخر، وثقل آخر وهو القسوة في الدعوة، كان ذلك تنفيرًا عن الدعوة، وقد تعلمون قول الرسول ﷺ: «**إنَّ منكم مُنفِّرين**»**ثلاثًا**.

كما سمعت شيخنا ـ رحمه الله ـ ينصح طلبة العلم بالمثابرة على العلم والتحصيل، وعدم التعجل في التأليف وإخراجه للناس، وإن كان المرء كاتبًا ـ ولا بد ـ فليكتب لنفسه ويحتفظ به، ولا يخرجه إلا بعد النضوج فيرجع إلى ما كتب ويراجعه.

* * *

وصية الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ لعموم المسلمين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . . . وبعد:

فوصيتي لكل مسلم على وجه الأرض وبخاصة إخواننا الذين يشاركوننا في الانتماء إلى الدعوة المباركة دعوة الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، أوصيهم ونفسي بتقوى الله تبارك وتعالى أولاً، ثم بالاستزادة من العلم النافع كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وأن يعرفوا علمهم الصالح الذي هو عندنا جميعًا لا يخرج عن كونه كتاب وسنة ، وعلى منهج السلف الصالح، وأن يقرنوا مع علمهم هذا والاستزادة منه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً العمل بهذا العلم حتى لا يكون حجة عليهم، وإنما يكون حجة لهم يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ثم أحذرهم من مشاركة الكثير من خرجوا عن الخط السلفي بأمور كثيرة، وكثيرة جدًا، يجمعها كلمة «الخروج» على المسلمين وعلى جماعاتهم، وإنما نأمرهم بأن يكونوا كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: **«وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم الله تبارك وتعالى»** وعلينا ـ كما قلت في جلسة سابقة وأعيد ذلك مرة أخرى ـ وفي الإعادة إفادة ، وعلينا أن نترفق في دعوتنا المخالفين إليها، وأن تكون مع قوله تبارك وتعالى دائمًا وأبدًا: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. وأول من يستحق أن نستعمل معه هذه الحكمة هو من كان أشد خصومة لنا في مبدئنا وفي عقيدتنا، حتى لا نجمع بين ثقل دعوة الحق التي امتن الله عز وجل بها علينا، وبين ثقل سوء أسلوب الدعوة إلى الله عز وجل، فأرجو من إخواننا جميعًا في كل بلاد الإسلام أن يتأدبوا بهذه الآداب الإسلامية، ثم أن يبتغوا من وراء ذلك وجه الله عز وجل، لا يريدون جزاءً ولا شكورًا، ولعل في هذا القدر الكفاية ، والحمد لله رب العالمين.

الكتب التي ينصح بها الشيخُ طالبَ العلم المبتدئ

سئل الشيخ الإمام ـ رحمه الله :

ما هي الكتب التي تنصح بها شابًا ناشئًا في حياته العلمية؟

فأجاب رحمه الله: (١) .

«ننصح له أن يقرأ ـ إن كان مبتدئًا ـ من كتب الفقه «فقه السنة» للسيد سابق مع الاسعانة عليه ببعض المراجع، مثل : «سبل السلام» وإن نظر في «تمام المنَّة» فيكون هذا أقوى له.

وأنصح له بـ «الروضة الندية».

أما في التفسير : فعليه أن يعتاد القراءة في كتاب «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير، وإن كان مطولاً بعض الشيء ، فإنه أصح كتب التفسير اليوم.

ثم من حيث المواعظ والرقائق: فعليه بكتاب: «رياض الصالحين» للإمام النووي.

ثم أنصح فيما يتعلق بكتب العقيدة: بـ : كتاب «شرح العقيدة الطحاوية » لابن أبي العز الحنفي، ويستعين عليها ـ أيضًا ـ بتعليقي وشرحي عليها.

ثم يجعل بصورة عامة ديدنه دراسة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ـ رحمهما الله ـ الذي اعتقد أنهما من نوادر علماء المسلمين الذين سلكوا منهج السلف الصالح في فقههم مع التقوى والصلاح ـ ولا نزكي على الله أحدًا».

قلت: وهذا من أفضل ما يوصي به طالب العلم المبتدئ، ولكن مع الأخذ بعين الاعتبار ما في مباحث الطحاوية المتعلقة بالإيمان من معارضات، فإنما ذكر فيها الطحاوي ما عُلم من مذهب أبي حنيفة في الإيمان ، وهو موافق لقول المرجئة ، وإن كان الشارح كثيرًا ما ينوه وينبه على هذه المعارضات ، والله الموفق(٢) .

---

(١) نقلاً عن «مجلة الأصالة» العدد الخامس (ص : ٥٩).

(٢) «المنهج السلفي عند الشيخ الألباني» عمرو عبد المنعم سليم، (ص: ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

تلاميذ الشيخ الإمام رحمه الله

تلاميذ الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ أكثر من أن يحصوا في عالمنا العربي والإسلامي فمنهم من تتلمذ على يديه مباشرة وهم قليل، ومنهم من تتلمذ على يديه في فترات متقطعة، ومنهم من تتلمذ على كُتُبه ومحاضراته التي سجلت على شرائط الكاسيت ، واسطوانات الكمبيوتر .

ومن أبرز تلاميذه الذين لازموه وأخذوا عنه العلم مباشرة:

الشيخ محمد نسيب الرفاعي، والشيخ محمد عيد عباس، والشيخ عبد الرحمن الباني[١] ، والأستاذ خير الدين وانلي، والشيخ مقبل بن هادي الوداعي ، والشيخ عبد الرحمن عبد الخالق[٢] ، والأخيران قد أخذا العلم عن الشيخ عندما كان يدرسان في الجامعة الإسلامية .

ومن هؤلاء التلاميذ أيضًا :

الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي، والشيح على حسن عبد الحميد الحلبي[٣] والشيخ حسين العوايشة، والشيخ سليم الهلالي، والشيخ مشهور حسن سلمان، والشيخ على خشان ، والشيخ محمد إبراهيم الشيباني ، والشيخ محمد موسى نصر، والشيخ محمد إبراهيم شقرة، والشيخ عبد الرحمن عبد الصمد،[٤] ، والدكتور عمر سليمان الأشقر[٥] والشيخ عبد الرحمن الباني، والشيخ خليل العراقي الحياني[٦] والشيخ مصطفى الزبول[٧]

---

(١) من تلاميذ الشيخ القدامى، وكان الشيخ الألباني يقيم الدرس في بيته في دمشق فترة طويلة، وهو يقيم الآن في الرياض.

(٢) الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق مصري، ويعيش في الكويت ، له مؤلفات عديدة نافعة ، وأشرطة محاضرات كثيرة، وقد خالفه الشيخ الألباني رحمه الله في بعض المسائل العلمية التي تبناها وانتصر لها وقد مرَّ رثاء الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق للشيخ الإمام رحمه الله وسيأتي أيضاً ثناؤه عليه.

(٣) وهو وارث علم الشيخ ومن أكبر المنافحين عنه، وله مؤلفات عديدة نافعة، حفظه الله.

(٤) لازم الشيخ الألباني سنين طويلة في حلب وحماة وغيرهما من الديار الشامية،

(٥) يعمل أستاذًا بكلية الشريعة جامعة الكويت. وله مصنفات عديدة نافعة.

(٦) تخرج من الجامعة الإسلامية، ويعيش حاليًا في بغداد.

(٧) تخرج من الجامعة الإسلامية وهو داعية معروف ويعمل حاليًا إمامًا في وزارة الأوقاف الكويتة.

والشيخ محمود مهدي الإستنابولي ، والشيخ محمد جميل زينو(١) والشيخ ناصر الترماني(٢) والشيخ إحسان إلهي ظهير(٣) والشيخ خالد عشيش (٤) والشيخ راتب النفاح، والدكتور عاصم القريوتي، والشيخ عزت خضر(٥) والدكتور محفوظ الرحمن زين الله(٦) والشيخ محمد عبد الرحمن المغراوي(٧) وغيرهم.

وأما أتباع الدعوات المختلفة الذين استفادوا من علم الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ فهم أيضا كثير نذكر منهم:

الأستاذ زهير الشاويش ، صاحب المكتب الإسلامي، والأستاذ محمد المجذوب الطرطوسي ، والدكتور رضا نعسان معطي الحموي (٨) ـ والشيخ عبد القادر الأرناؤوط، والشيخ شيعب الأرناؤوط ، والشيخ الداعية عصام العطار.

وأما الذين تتلمذوا على الشيخ لفترات متقطعة فهم كثير :

ومن أبرزهم الشيخ أبو إسحاق الحويني ، حفظه الله.

وأما الذين رحلوا إلى الشيخ الإمام لسؤاله عن المسائل العلمية التي أشكلت على بعض طلبة العلم ، فهم أيضًا كثير، ومن أبرزهم:

الشيخ مصطفى إسماعيل، أبو الحسن المآربي، والشيخ أحمد أبو العينين، الذي أصدر سؤالاته للشيخ في كتاب سماه «سؤالات أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين

---

(١) وهو سوري وقد لازم الشيخ طويلاً، في منطقة حلب، وحماة والرقة، له مؤلفات عديدة نافعة ، وهو يعمل حاليًا مدرساً في مدرسة دار الحديث الخيرية في مكة المكرمة.

(٢) كان الشيخ الألباني ينزل عليه في مدينة حلب، وكان يعمل سباكًا، وقد تفقه ودرس على يد الشيخ ناصر ، وكانت حلقة الدرس تعقد في بيته .

(٣) درس على الشيخ الإمام في الجامعة الإسلامية، له مؤلفات نافعة ،لا سيما التي خصَّصها للرد علي الشيعة الإمامية قبحهم الله.

(٤) وهو من قراء مدينة حماة، ويعمل حاليًا إمام مسجد محمد بن زايد بأبي ظبي .

(٥) وهو الذي تولى تغسيل الشيخ الإمام بعد موته عملاً بوصية الشيخ رحمه الله تعالى.

(٦) درس على الشيخ في الجامعة الإسلامية، له تحقيقات فائقة ، ومن أجلّها «العلل للدارقطني» و«البحر الزخار المعروف بمسند البزار» وقد توفاه الله قبل إتمام بعض مشاريعه التي كان ابتدأها .

(٧) درس على الشيخ في الجامعة الإسلامية.

(٨) والشيخ الألباني صهره .

للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، في شبهات حول الحديث الحسن وقواعد في علم الحديث والجرح والتعديل».

وأما الذين تتلمذوا على كتب الشيخ الإمام وأشرطته فهؤلاء منتشرون في كل أقطار الدنيا.

* * *

ثناء العلماء علي الشيخ الألباني رحمه الله

العلامة الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله:

قال عنه: «.. من دعاة السنة الذين وقفوا حياتهم على العمل لإحيائها، وهو أخونا بالغيب الشيخ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين نوح نجاتي الألباني»(١) .

العلامية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله:

قال عنه: «وهو صاحب سنة، ونصرة للحق، ومصادمة لأهل الباطل».

العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله قال في حق العلامة الألباني:

أ ـ «الشيخ الألباني معروف أنه من أهل السنة والجماعة، ومن أنصار السنة، ومن دعاة السنة، ومن المجاهدين في سبيل حفظ السنة».

ب ـ «الشيخ معروف لدينا بحسن العقيدة، والسيرة، ومواصلة الدعوة إلى الله سبحانه، مع ما يبذله من الجهود المشكورة في العناية بالحديث الشريف، وبيان الصحيح من الضعيف من الموضوع، وما كتبه في ذلك من الكتابات الواسعة كلُّه عمل مشكور ، ونافع للمسلمين . نسأل الله أن يضاعف مثوبته، ويعينه على مواصلة السير في هذا السبيل، وأن يكلل جهوده بالتوفيق والنجاح».

ج ـ «والشيخ الألباني وفقه الله معروف لدينا بحسن العقيدة والسيرة، وتأييد مذهب السلف الصالح واعتناقه له».

د ـ «من إخواننا الثقات المعروفين ـ من إخواننا الطيبين ـ صاحبنا وأخونا العلامة الشيخ محمد ناصر الدين ـ وهو من المجددين».

هـ ـ «لا أعلم تحت قبة الفلك في هذا العصر أعلم من الشيخ ناصر في علم الحديث» ووصفه بأنه «مجدد العصر في علوم الحديث» .

وقال الشيخ العلامة المحقق الفقيه محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في حق العلامة الألباني:

أ ـ «فالذي عرفته عن الشيخ من خلال اجتماعي به وهو قليل، أنه حريص جدًا على

---

(١) «الألباني ، حياته . . .» الشيباني (١/ ٥٤١).

العمل بالسنة، ومحاربة البدعة ، سواء كانت في العقيدة أم في العمل».

ب ـ « أما من خلال قراءاتي لمؤلفاته ، فقد عرفت عنه ذلك ، وأنه ذو علم جم في الحديث رواية ودراية، وأن الله قد نفع فيما كتبه كثيراً من الناس من حيث العلم، ومن حيث المنهاج، والاتجاه في علم الحديث، وهذه ثمرة كبيرة للمسلمين ولله الحمد».

ج ـ «أما من ناحية التحقيقات فناهيك به».

د ـ ووصفه بأنه «طويل الباع، واسع الاطلاع، قوي الإقناع».

هـ ـ ورأى ذات مرة شريطًا كتب عليه: «المحدث الشام محمد ناصر الدين الألباني » فقال: «بل محدث العصر».(١)

وقد وصفه الشيخ عبد الصمد شرف الدين ـ وهو من كبار علماء الهند ـ ومحدثيها ـ في رسالة منه إليه:

«بأنه أكبر عالم في الحديث في العصر الحاضر»(٢) :

وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية في حق العلامة الألباني:

«وهو واسع الإطلاع في الحديث، قوي في نقدها، والحكم عليها بالصحة والضعف».

ووصفه العلامة المحدث حماد الأنصاري رحمه الله تعالى:

«بأنه ذو اطلاع واسع في علم الحديث» (٣) .

وقال المحدث الفاضل شارح (سنن النسائي) الشيخ محمد علي آدم الأثيوبي عن الألباني:

«وله اليد الطولى في معرفة الأحاديث تصحيحًا وتضعيفًا، كما تشهد بذلك كتبه القيمة، فقلَّ من يدانيه في هذا العصر ، الذي ساد فيه الجهل بهذا العلم الشريف»(٤) .

ووصفه الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتى المملكة العربية السعودية ـ حفظه الله ـ بقوله: «نصر السنة في هذا العصر ».

وقال الشيخ المحدث عبد المحسن العباد البدر المدرس في المسجد النبوي :

---

(١) «محمد ناصر الدين الألباني محدث العصر» إبراهيم العلي (ص ٣٢ ـ ٣٣).

(٢) «بدعة التعصب المذهبي» محمد عيد عباسى (ص ٢٥٤).

(٣) « كوكبة من أئمة الهدى » (ص ٢٢٥) .

(٤) «الألباني الإمام» لعبد القادر الجنيد (ص ٦ ، ٧) نقلاً عن «الألباني محدث العصر» إبراهيم العلى (ص١٩).

أ ـ «والألباني عالم جليل خدم السنة، وعقيدته طيبة، والطعن فيه لا يجوز، ثم ذكر كلام الإمام الطحاوي في عقيدته: «وعلماء السلف من السابقين ، ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ، ومن ذكرهم بسوء فهم على غير السبيل».

ب ـ إنه فقيد الجميع العالم الكبير الشهير الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله وغفر له ـ وله جهود عظيمة في خدمة السنة، وفي العناية بحديث رسول الله ﷺ وبيان مصادر تلك الأحاديث والكتب التي ذكرتها، وبيان درجتها من الصحة والضعف، خدمته للسنة مشهوره ، ودافع عن عقيدة السلف ومنهج السلف دفاعًا عظيمًا، ولا يستغنى طلبة العلم عن الرجوع إلى كتبه وإلى مؤلفاته، فإنَّ فيها الخير الكثير، وفيها العلم الغزير ومؤلفاته مشهورة عظيمة، ولا تخلو المكتبات غالبًا من كتبه، أو من وجود شيء منها، وله عناية بالبحث والكتابة والرجوع إلى كلام العلماء والاستفادة منهم، وإن ذهاب مثل هذا العالم هو في الحقيقة نقص كبير على المسلمين ، ومصيبة وثلمة في الدين».

ج ـ «وإن هذين العلمين ـ أي ابن باز والألباني ـ من العلماء الكبار الجهابذة المحققين، الذين لهم العناية الفائقة، والهمة العالية ، وكل منهما له جهود عظيمة في العقيدة ، وقد حصل على أيديهما الخير الكثير، وحصل بسببهما النفع العظيم للإسلام والمسلمين، فجزاهما الله أحسن الجزاء، وغفر لهما، وتجاوز عن سيئاتهما».

هـ ـ «فإنه بحق من العلماء الأفذاذ الذين كانوا في هذا العصر ، والذين لهم جهود في خدمة سنة المصطفى»[1] .

وقال الشيخ العلامة ناصر السنة حُمُود بن عبد الله التويجري رحمه الله تعالى: «الألباني الآن علم على السنة، الطعن فيه إعانة على الطعن في السنة».

---

(١) كشف التلبيس ، ص ٧٦ .

وقال الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي حفظه الله: «الشيخ محمد ناصر الدين الألباني المحدث الكبير والعالم الشهير، صاحب التآليف النافعة والتخريجات المفيدة، سوري الموطن سلفي العقيدة، بذل جهدًا في التخريج لا يوازيه فيه أحد فجزاه الله خيرًا»(١).

وقال الشيخ الفاضل صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله:

أ ـ «لا شك أن فقد العلامة محمد ناصر الدين الألباني مصيبة، لأنه علم من أعلام الأمة، ومحدث من محدثيهم، وبهم حفظ الله جل وعلا هذا الدين ونشر الله بهم السنة»(٢).

ب ـ «إن للفقيد مآثر في نصرة العقيدة السلفية، ومنهج أهل الحديث، وله مؤلفات عظيمة عديدة في خدمة الحديث، وتمييز الحديث الصحيح من الضعيف، وأثره في العالم الإسلامي كبير، وبعد من علماء الأمة بمآثره الجليلة العظيمة»(٣).

وقال الشيخ الفاضل عبد الله بن عبد الرحمن البسام المدرس بالمسجد الحرام، وعضو هيئة كبار العلماء: «اليوم هو من أئمة هذا الزمان، بذل نفسه وجهده وماله لخدمة السنة»(٤).

وقال الشيخ عبد الله بن سليمان المنيع رئيس محكمة تمييز مكة، وعضو هيئة كبار العلماء: «لقد فجع معشر المسلمين بفقد عالم كبير من السلفيين، الذي كان له باع طويل في محاربة البدع والضلالات، والرد على أصحابها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، هذا فضلاً عما لفضيلته من تحقيقات صائبة في سبيل تمحيص السنة والتبصير بصحيحها من سقيمها».

---

(١) كوكبة من أئمة الهدى، ص ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) كوكبة من أئمة الهدى، ص ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٥٤.

(٤) كشف التلبيس، ص ٧٦.

وقال الشيخ زيد بن عبد العزيز الفياض حفظه الله: «الشيخ محمد ناصر الدين الألباني من الأعلام البارزين في هذا العصر»(١) .

وقال الدكتور محمد بن لطفي الصباغ حفظه الله:

«العلامة المحدث الكبير... أعظم محدث في هذا العصر .. وقف حياته على خدمة السنة المطهرة تعليمًا وتأليفًا وتخريجًا وتحقيقًا..»(٢) .

وقال الشيخ العلامة الأديب على الطنطاوي رحمه الله:

«الشيخ ناصر أعلم مني بعلوم الحديث، وأنا أحترمه لجده ونشاطه وكثرة تصانيفه، التي يطبعها له أخي وولدي النابغة زهير الشاويش . وأنا أرجع إلى اليخ ناصر في مسائل الحديث ولا أستنكف أن أسأله عنها، معترفًا بفضله» (٣).

وقال الشيخ العلامة الفقيه مصطفى الزرقا رحمه الله:

«صديقي الأستاذ ناصر الدين الألباني المحدث المعروف بدمشق»(٤) .

وقال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:

«الأستاذ المحدث العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .. وللرجل من رسوخ قدمه في السنة ما يعطيه هذا الحق...»(٥) .

وقال الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي :

«محدث بلاد الشام ناصر الدين الألباني»(٦) .

---

(١) كشف التلبيس ، ص ٧٥ ـ ٧٧ .
(٢) مجلة الدعوة: ١٧١٥ / ٢٧ .
(٣) فتاوى على الطنطاوي ، ص ١٥٨ .
(٤) الكنز المرصود ، المقدمة ، ص ١٠ .
(٥) فقه السيرة ، ص ٩ .
(٦) الحلال والحرام ، ص ٨، الطبعة الرابعة .

و «العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني»(١) .

وقال الدكتور عبد الكريم زيدان:

«محدث العصر الأستاذ محمد ناصر الدين الألباني. . .»(٢) .

ولم يقتصر هذا الثناء على أحباب الشيخ وتلامذته السائرين على دربه، بل امتد هذا الثناء إلى من عُرفوا بمعاداتهم لدعوة الشيخ الإمام رحمه الله، ومن هؤلاء: «أبو الفضل عبد الله بن الصديق الغماري» ، و «أبو الفيض أحمد بن الصديق الغماري».

أماالأول فقد قال: عن شيخنا الألباني في كتابه: «سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق الغماري» (ص ٤٩).

«يعرف الحديث معرفة جيدة » (٣).

وأما الثاني فقد قال: قال ما نصه في رسالة بعثها إلى أحد أصحابه: «وناصر الدين الألباني قدم إلى دمشق وتعلم العربية، وأقبل على علم الحديث، فأتقنه جدًا جدًا، وأعاننه مكتبة الظاهر المشتملة على نفائس المخطوطات في الحديث، حتى إن لما زرتها في العام الماضي كان هو الذي يأتيني بما أطلبه ، ويعرفني بما فيها. . .» (٤).

* * *

(١) ثقافة الداعية ، ص ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٢.

(٢) مجموعة بحوث فقهية (ص ١٩) .

(٣) « سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة »(٤/ ٥) .

(٤) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠).

شهادات العلماء في حق الشيخ الإمام رحمه الله

وقال الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ، حفظه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم:

محمد ناصر الدين الألباني كما عرفناه :

كان ناصر الدين وما زال كالمطر لا يبالي على أي أرض سقط.

لم يؤسس ناصر الدين جامعة خاصة للدعوة، وإنما جعل علمه للناس جميعًا، وتعاون مع الجماعات الإسلامية كافة.

مدح الناس وذمهم لناصر عنده سواء.

عالم من علماء المسلمين، وعَلَم من أعلام الدعوة إلى الله، وشيخ المحدثين وإمامهم في العصر الراهن، ألا وهو أستاذي محمد ناصر الدين الألباني ـ حفظه الله وبارك في عمره.

ناصر الدين الذي لا يكاد يجهله مسلم يهتم بأمر الدعوة إلى الله في العصر الحاضر. ولا يستطيع أن يستغني عن مؤلفاته وتحقيقاته طالب علم معاصر، فمعظم الكتب العلمية التي يتداولها الناس الآن مصدرة بتحقيقاته ، وتخريجه لأحاديثها، كصفة صلاة النبي، وحجاب المرأة المسلمة، وتحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، وغير ذلك ، فطلاب العلم الذين نقلوا علمه وتتلمذوا علي يديه وتربوا في حلقاته وصحبته، لا يحصون كثيرةً وهم منتشرون في العالم الإسلام أجمع على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم .

لم ينضم ناصر الدين طيلة حياته إلى جماعة معينة من جماعات الدعوة، ولم يعاد أي مجموعة منها، وقام بنشر العلم الشرعي بكل طاقته في كل اتجاه، ومع كل جماعة الشيخ وتلامذته من جميع الجماعات والتنظيمات الإسلامية.

ولم ينشئ الشيخ أيضًا تنظيمًا خاصًا ولا أقام جماعة خاصة بنظام خاص لا لعجزه عن ذلك ولا لأنه يرى أن هذا حرام وإثم، ولكن لأنه يرى أن الأولى به أن ينشر علمه للناس جميعًا، وللجماعات كافة، وذلك لأنه يرى أن المنهج السلفي لفهم الدين هو المنهج الكفيل

بعودة المسلمين إلى الدين الحق عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقًا.

وناصر الدين لا يهمه أن يحمل هذا المنهج السلفي أي أناس تسموا بأي أسم.. كل همه أن يُفْهَم هذا الدين فهمًا صحيحًا، وأن يُطَبَّق تطبيقًا سليمًا، وأن يكون سير الناس مبنيًا على الكتاب والسنة الصحيحة ،والشيخ ينهي عن التحزب والعصبية بأي لون وأي شكل،ويرى أن نهضة المسلمين منوطة بتعاونهم جميعًا، وتضافر جهودهم، وتوجهها في كل اتجاه نحو بناء العقيدة أو تصحيح العمل أو مقارعة الباطل . وكل ذلك قد ذكره الشيخ مفصلاً في دروسه ومحاضراته، وكتبه وعلمه لتلاميذه الذين تلقوا العلم عنه.

ولكن ناصر الدين نفسه أخذ يقول كلمة الحق حيثما قدر على ذلك وقام بنقد الأراء الإسلامية التي يراها مجابهة للصواب والحق وتصحيحها... لا يجامل في ذلك أحدًا حتى نفسه ولا أخلص محبيه وأصدقائه وإخوانه ، ولا أقرانه في العلم من العلماء السلفيين، ومن غيرهم فلا يسمع حديثًا يرى أنه ضعيف إلا بين ضعفه عنده. ولا يسمع رأيًا مخالفًا للحق إلا كتب عنه ونبه عليه في كتبه أو في دروسه نصحًا للعامة وتنبيهًا للخاصة.

وقد أنشأ بذلك حركة عظيمة للوعي الديني وتحرى الحق فيما يكتب ويقال، لا عند طائفة خاصة فقط بل عند عامة العلماء الذين يؤخذ عنهم أو يتتلمذ الناس على أيديهم ، ولهذا قدمت طائفة كبيرة منهم كتبهم له لنقدها، وتصحيح أحاديثها وبذلك استفاد من هذا المنهج عموم المسلمين فقل استخدام الحديث الضعيف وعظم تحري الناس للحق، وابتدأ الناس فهم الدين بطريقة علمية مبنية على الدليل والبرهان بعد أن كان أخذ الدين وتلقيه سائرًا بطريق التقليد والعشوائية وضم الصحيح إلى الضعيف والشرك إلى التوحيد، وجمع الهدى مع الضلالة والبدعة مع السنة.

ولكن هذا المنهج النقدي العلمي الذي أخذ الشيخ نفسه به أوجد لناصر الدين مجموعات كبيرة من الحاسدين، فمجرد أن يرى أحد المتعالين أنه نقد في رأى له، أو استدلال خاطئ إدا به ينقلب على الشيخ تجريحًا، وهكذا وجد الذين يقدمون أراءهم على قول الله وقول رسوله.

ولا شك أن هذه هي سنة الله فيمن يصدع بالحق. والعجب أن ناصر الدين لا يأبه

لذلك فقد لازمته ثلاث سنوات فوجدت أن مدح الناس له ومذمتهم عنده سواء!! إنه فقط يرى أنه حامل دعوة، وصاحب حق يريد إبلاغه فإن مدحه الناس لم يقم لهم وزنًا وإن ذموه لم يغير هذا من موقفه شيئًا بل ولا من نصحه لهم، ومحبته الخير من أجلهم، ولا نزكيه على الله ونحسبه في ذلك كله مخلصًا دينه لله والله أعلم بالسرائر.

باختصار كان ناصر الدين وما زال كالمطر لا يبالي على أي أرض سقط، ولقد عهدته ما حجب علمه عن طالب قط، ولا جعل دروسه لمجموعة دون مجموعة، ولا حابى سلفيًا على إخواني أو تحريري، بل تلقينا العلم على يديه بالجامعة الإسلامية فلا تكاد تنتهي محاضرته التي تستمر ساعة كاملة لفصل معين ومن ثم يخرج حتى يتداعى الطلاب إليه من كل الفصول ، ومن كل الأعمار فلا يذهب إلى حجرة المدرسين للاستراحة وإنما يفترش الأرض في فناء الجامعة ، ويلتف الطلاب حوله ويدور النقاش العلمي إلى أن يأتيه المراقب فيفرق الطلاب ويأخذ الشيخ إلى المحاضرة الثانية وهكذا إلى نهاية الدوام. . . لم أشاهد الشيخ جلس قط في غرفة الأساتذة وشرب فنجانًا من الشاي كما يشربون ، وفي منزله مساءً كنا نجتمع عنده من كل الجماعات ، ومن كل المشارب، فما أعلم أنه قدم أو حابى أحدًا أو بخل بعلمه على أحد، أو جعل جماعة من الجماعات غرضًا لنقده، وهدفًا لانتقاصه وإنما كان كل همه أن يقول الحق فيما يعرض من أسئلة أو مناقشات يزن كلامه في كل ذلك بموازين هي بموازين الذهب أشبه.

وبالرغم من أن هذا أثره في الناس وفضله عليهم إلا أن كثيرًا منهم عادوه وما انفكوا . . . ونسأل الله أن تكون منزلته عند الله أجل وأعظم . ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

عبد الرحمن عبد الخالق يوسف

* * *

شهادة الشيخ محمد إبراهيم شقرة ـ حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

لو أن شهادات أهل العصر في شيوخ السنة وأعلام الحديث والأثر، اجتمعت ، فصيغ منها شهادة واحدة، أو جمعت في ضفتٍ واحد، ثم وضعت على منضدة تاريخ العلماء ، فإني أحسب أن تكون شهادة صادقة في عَلَم الحديث الأوحد ، أستاذ العلماء، وشيخ الفقهاء ، ورأس المجتهدين في هذا الزمان ، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني أكرمه الله في الدارين.

كانت ساحة علم الحديث والسنة النبوية قد أجدبت ، وصوَّح نبتها ، وجفت أغصانها، واساقطت أوراقها، وانقطع ثمرها، والناس من فوقها ينظرون يمنة ويسّره، علَّهم يرون فيها رجلاً يخلف الأولين الغابرين، ممن أعلى بهم منارة السنة النبوية ، فتعود أبصارهم إليهم كليلة حسيرة ، ليجدوا أمامهم ما خلف أولئك من كتب مسطورة لمن وراءهم،أو لمن جاء من بعدهم ، بذلوا فيها جهدًا ضخمًا في جمع الآثار والسنن والأحاديث وترتيبها ترتيبًا حسنًا، يُسَهِّلُ على القارئ العالم وطالب العلم ـ النظر فيها، والرجوع إليها عند الحاجة، على ما في بعض هذه الكتب من صعوبة في استخراج الآثار والأحاديث منها، وهذا أمر لا يجهله طالب العلم، فضلاً عن العالم الباحث، والناظر المدقق.

ولا يجمل بالمحب أن يقول فيمن يحب قولاً لايحمله عليه إلا الحب وحده ، فالحب إذا حمل على غير الحقيقة والصدق، فهو والبغض سواء، ولست والله قائلاً في الشيخ ناصر إلا ما أعتقد أنه حق ،ولو كان حبي له يصاغ حلية يقبل أن يتحلى بها، لكان حبي له أجمل قلادة وأغلاها ،وأبهاها ،لا يباهي بها هو، بل أباهي بها أنا، أنه قبلها مني، ولكن أنَّي؟ والحب لا يعلمه **إلا الله وحده!! ولا يعرفه** البشر إلا بما يكون من آثاره!! وصدق رسول الله ﷺ: **«الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف»** أسأل الله **أن يديم علينا نعمة الحب فيه.**

وكتب السُّنة، من صحاح، وسنن، ومسانيد، وجوامع ومصنفات، وأجزاءٍ، على

كثرتها ، وغزارة الجهد الذي بذل في تأليفها وتصنيفها وجمعها، وتحقيقها، والاستدراك عليها والزياة على أصولها على مر العصور والأجيال، فقد ظلت بحاجة إلى تحقيق دقيق، وإحاطة أشمل وأوسع بأسانيد الآثار والسنن والأحاديث التي حشدت فيها، كي تصير إلى حال من الصحة ، يطمئن إليها الباحث ، وطالب العلم والعالم أكثر وأكثر.

ولا ريب أن مثل هذا العمل ينوء بالعصبة أولى القوة والجلادة من أهل العلم ، فأن يقيض الله له رجلاً واحدًا، يجمع الله فيه كل شاذةٍ وفاذةٍ من فنون علم السنة لنعمةٌ جليلة، ليس على الشيخ ناصر، بل على الأمة كلها، فهنيئًا لأمة أنبت الله فيها هذا الشيخ الذي ألان الله له الحديث كما ألان لداود الحديد، ومُهدت له أكناف السنة من جديد.

ولعل بعض من ابتلى بشيء من شهادات العصر من الجامعات والمعاهد يردد مع القائلين قولهم: ما ترك السابقون للاحقين شيئًا، أو ما ترك الأولون للآخرين شيئًا، وهل يصح أن يقال في كتاب كصحيح البخاري، أو صحيح مسلم إنه في حاجة بعد هذه القرون إلى من يقول فيه شيئًا!؟

فأقول لهؤلاء وغيرهم جميعًا: إن في عمل الشخ ناصر في كتابه (مختصر صحيح البخاري) ما يكفي للرد على مقالتهم وسؤالهم ولو كان لهم حولٌ، أن يفرغوا ـ حتى ولو لقراءة عمل واحد من أعمال الشيخ، ليحكموا بعد ذلك في عدلٍ ونصفة ، لقلنا لهم: قولوا ما شئتم ، ولكن ماذا كان يراد بهذا العلم العظيم علم السنة لو أنه ظل أمانة عند هؤلاء ـ وما أضيعها إذًا من أمانة ـ ولم يجد في عقل الشيخ ناصر ، وقلبه ، وقوة نفسه، وثبات صبره، واحتمال مثابرته ما وجد؟!

إن الجواب يعرفه أولئك وغيرهم ممن يزعمون أنهم أوتوا من العلم ما لم يؤته ممن لا يحملون شهاداتهم، أو جلسوا في حلقات الشيوخ وأخذوا عنهم وهم مثلهم ،أو ربما كان شيوخهم أعلم وأتقى منهم لكنهم هم ضيعوا وبدلوا فضيع الله علمهم وأبدلهم به سمعة عريضة لا تمسك على شيء ، إلا كما يمسك القاع على الماء!!

وكثيرٌ هم أولئك الذين يجعلون من الشيخ ـ أعزه الله ـ غرضًا لسهام حسدهم

وحقدهم، وتراهم يحومون حول مائدته حوم المريب الفزع، الذي يخشى أن يبصر به من هو على شاكلته، يصنعون صنيع النفر من قريش، حين اتفقوا على أن يتفرقوا عن النبي ﷺ ، وأن لا يصغوا لقراءاته من الليل، فلما جن الليل خرج كل منهم متسللاً، لائذاً بلباس الظلام، وهو يظن أن الآخرين لا يرونه!!!

وحسب طالب العلم أن يُلَم بأي كتاب من كتب الشيخ، ليرى رسوخ قدمه، وطول باعه، وسعة اطلاعه، وكثرة استدراكه، ودقة اسقصائه، وحسن ترتيبه وتلاحق حججه، وعلو برهانه،وحضور ذهنه، وقوة عارضته، ونفاذ بصره، ووضوح بصيرته، وشدة تمكنه ـ ولكن كما يقال: المعاصرة حرمان، غير أنها كلمة إن صدقت في غير الشيخ فهي قد نبت عنه ونأت ، فأي حرمان هذا الذي أراده إليه الشانئون الجاهلون ، ومدرسته قد امتدت أروقتها ، حتى شملت آفاق الأرض، وصارت كتبه في صمت مهيب ، تحرر العقول من الخرافة والأساطير، والقلوب من الوهم والريب، والنفوس من الغل والكبرياء والحسد، في حكمة بالغة، وبرهان منير، وموعظة تبلغ من النفوس مبلغًا يرفع عنها غشاوات الجهالة، ويردها إلى القرون الثلاثة المفضلة ، ويشدها في وثاق الهدي النبوي الأمين.

وإن أعجب فلا أعجب إلا لبعض نفر يزعمون أنهم يحبون الشيخ حين يقولون: نحن نقر للشيخ بأنه عالم السنة في هذا العصر وعلمها الشامخ، ولكن في الفقه كسائر أهل العلم.

هل يعلم هؤلاء ما يقولون، لو علموا ما قالوا الذي قالوا، إنهم يتهمون السنة نفسها، وكانت عقولهم وثاقها؟ هل يستطيع أحد أن يقول: بأن فقههم كفقه سائر أهل العلم من بعدهم، ممن لم يكونوا في علم السنة مثلهم؟ إن قالوا ذلك فقد ظلموا أنفسهم، وباؤوا بإثم مقالتهم، وهل العلم إلا قال الله وقال رسوله؟ وهل الفقه شيء والسنة والكتاب شيء آخر؟

وأعجب من هؤلاء بعض تلامذته الذين تنكروا له، وصاروا من فرط جهلهم يحسبون أنهم مثله!!!

إن الذي يؤتي البصر في الأصلين العظيمين هو الفقيه ، وهو الرائد السائد، وهو الداعية الواعظ، وهو العالم البصير، وهو الذي يريد الله بالأمة خيرًا على يديه إن أحسن

الإخلاص والاتباع، ومن نظر في حياة الشيخ وعرفه من قرب عرف أنه من أولئك الأفذاذ، الذي قلما يجود الزمان بمثله.

أمدَّ الله في عمره، وأمتع المسلمين بحياته[١]، وجزاه عنا وعن الإسلام والمسلمين خيرًا، وأعظم الله له الأجر والمثوبة، ورزق المسلمين جميعًا وحدة الصف والكلمة، وأقامهم على أمر الله مخلصين له الدين حنفاء ليقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وينيبوا إليه في السراء والضراء، عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده، فيصيروا إلى ما كانوا عليه من قبل، والله خير مسؤول وأفضل مأمول، والصلاة والسلام على النبي المبعوث هدى ورحمة وبشرى للعالمين.

محمد إبراهيم شقرة

رئيس المسجد الأقصى

٢٥ شعبان ١٤٠٦ هـ

وقال أيضًا الشيخ شقرة ـ في معرض دفاعه عن الشيخ الإمام ضد حاسديه ومنتقديه بغير الحق:

الشيخُ حفظه الله ـ في زماننا هذا ـ راحلةُ علم عالية السنام، تامة الخلق، متماسكة البناء، تغدو إليها رواحل العلم خفافًا خماصًا، تروح عنها ثقالاً بطانا، فقد أنعم الله عليه بعلم، أوثقه إلى القرون الأولى، وأقامه على جادتها وأراه فيها من آيات العلم الكبرى، فكان لزامًا عليها أن تقصده في رغبة مقسطة تعرف له بها حقًا لا تؤديه إياه، إلا أن تأتيه بهذه الرغبة فلا يرتد طرفها عنه إلا بأخذها منه حظًا وافرًا، تعرف به أنه حظ لا يكون إلا منه، وأن الشيخ ما نيل منه بأذى ولا ينال ـ إن نيل ـ إلا بسببه، فالحسد في الناس قديم، وكان لا يَحْسُنُ أن ينال من الشيخ من أمته به، لكن، حين أقعدها الحسد، وفتكت سوآه بأسباب العزة فيها، وضلها غرورها، وجدت نفسها موثوقة إلى عجزها، ولم تر في الشيخ إلا ظلاً عارضًا، وقديمًا قيل: « وما آفة الأخبار إلا رواتها».

وما حل بالأمة على يد فقهائها في هذا العصر، وما نال منها أعداؤها على يد أشياخها؛ لم يأت ـ ولن يأتي ـ لها بخير، وحين تبصر من نفسها وتفْطِنُ إلى أنها منكرة

---

(١) وأقول الآن: رحم الله الشيخ الإمام، وأسكنه فسيح جناته.

جاحـدة نعمة الله عليـها، إذ تمسك عن الإفادة من علم الشـيخ، والإقبال على مجـالسه، والتواضع عنده، فـإنها حينئذ تكون قد عـرفت للعلم قدره وللعالم حـقه ورسول الله ﷺ يقول: **«ليس منا من لا يعرف لعالمنا حقه»**.

وإن تتابع الإغارة على الشيخ، ينسبون أنفسهم إلى العلم لا ينبيء إلا عن فساد وشر، ورغبة في الإمعان بالباطل ورغـبة عن العلم الصحيح والوقوف عند بداياته ، والظن السيء بالمسلم في نفسـه وفي غيره ، وإلا فـما الذي يحجزهم عـن لقياه، ونصحـه من قريب إن كانوا يرون ما يستوجب النصح له، والعرف إلى منهجه العلمي؟!

وليس يُنبيء عن الشيء مثله!! أولَم يَرَ أولئك الأشياخُ فـسطاط علم الشيخ يمتد ويمتد كل يوم ، ويأوي إليـه الألوف مـن المسلمين ، بل الملايين الذي اسـتنـارت بصـائرهم بنور الحق، وهدوا إلى سواء القصد، حين ألهموا أن ينهلـوا من علم الشيخ في كتبه، ورسائله، وتسجـيلاته، من بعـيد ومن قريب ، فـي حين يرون (المشايخ) و (الأشيـاخ) و(الشيـخة) و(المشيوخاء) يصـرون على عداوته ، والطعن عليه، وتجريحه، والقول فـيه ما لم يقله أهل الجاهلية الأولى!

إنها ـ والله ـ الفتنة ، فتنة النفس الأمارة !! القراراة الجرارة !! البوَّارة الموَّارة!!

إنها أمـشاج العلم تتهاوش في ردخـة خلائف التعصـب، من بعد تلكم المنارات التي عليت في سمـاء القرون وضوَّأت آفاق الحيـاة، وأقبلت إليها ركائب طـلاب المعرفة من كل الأقطار ، تنهل من معينها الـثَّرِّ الصافي ما يغنيها عن تلمس اليسـير منه، في غير المدينة ، ودمشق، والقاهرة، وبغداد، وقرطبة، وصنعاء ، وبيت المقدس.

فلله تلكم الأيام والأمـصار ، ويا حسرة علـى ما فرطت فيـها القرون والأحـقاب من بعد!!

ولكأن الله سبحـانه أراد ببلاد الشام خيـرًا حين قضى أن يجعل واحدًا من مهـاجرتها كفوًا لأولئك الأعلام الـسابقين ، فيضع على منكبيه رداء علوم السنة، فـيكون الإمام المقدم في عصر أجدبت فيه الأرض من مثـله وأبت ـ حتى على نفسها بإذن ربها ـ أن يكون له ندٌّ إلا نفسه، فما رأت عيون المنصفين في عصره مثله، وإن كره الشانئون، وخارت أصواتهم ،

حياته ـ دعوته ـ جهوده في خدمة السنة ـــــــ

ولقد علموا في أنفسهم أن مرقاة علم الشيخ صعبة، فكان خيرًا لهم وأقوم أن يبسطوا إليه أيديهم لينالوا من علمه، وما كان ليضن عليهم بما أتاه الله منه، إن هم أخلوا عقولهم وقلوبهم من الهوى، والكبر ، والحسد فيكون لهم منه حظ وافر سماعًا وتلقيًا، كذلك الذي كان لهم من كتبه ومؤلفاته الكثيرة، التي ملأت طباق الأرض، وشهد بفضلها عقلاء الناس، حتى في ديار غير ديار الإسلام وهذا مما يزيد في حزن النفس ، ويربي من أسى القلب، أن يجد الشيخ النصفة والتقدير في أصقاع الدنيا ، وسهام المشايخ (المشايخ) تنثال عليه من وراء ظهره، ويكأن الشياطين لم تجد مثل ألسنتهم وأقلامهم ودفاترهم ، لتنيل الشيخ حسناتهم وتذهب عنه سيائته، ثم لا تجد لها مأوى أحسن منهم!!!

لقد ـ والله ـ أذكر علم الشيخ بعلم السابقين ـ ولو كان في زمانهم لعرفوا له قدره ـ فأبلس هؤلاء المشايخ، ورأوا أنهم لا يذكرو إلا في زمان صوحت فيه الأرض إلا منهم!! فزادوها جدبًا إلى جدب ، وكانوا فخرها حيث لا فخر لها ونحيبها الذي لا يسمع !! نعم؛ أذكرنا علمه بعلم السابقين الذين استقروا في عقل الزمن، وطوفت أثارهم في آفاق الأرض، وأمضوا على الحياة عهدًا أن تخلدهم ما دامت تمد الأحياء بذكرها، فكان حقًا على أهل زمانه من المشايخ أن يكونوا له بالوفاء على ذروة سنامه، لا أن يوسعوا له في صدروهم المعتمة حقدًا، وطعنًا وإفكًا، فيكونوا على واخزة الإثم ،ترضيهم بسافك الطاعة، وتسقيهم من حميم الإفك الآسن ، وترخي لهم زمام الغرور في أرديتهم الفضفاضة، أو سراويلاتهم الواصفة، أو لحاهم المغيبة، أو نعيبهم من فوق المنابر التي ابتليت بهم، أو شقشقات حواصلهم بالجهل والهوى والحسد!

ويمضي الشيخ على جادة العلم اللاحبة ، غير عابئ بكل ما يحيكون له من مكر سيء، ولا ملتفت إلى ما تكنه صدورهم من غل واجف لا يسمع بعداوتهم إلا طنينًا خافتًا، يغيب في صدى صوته المدوي في آفاق الزمن الحاضر والمستقبل ، ويذهب في صرير قلمه الذي دون عشرات الألوف من صحائف العلم، ويتلاشى في صبره المحتسب الذي أغضى حياء أمامه ظلم الألوف المائرة منها، وهل يكون له من بعد إلا بشارة ترسمها أمام ناظريه، ويطرب توقيعها الأخاذ أذنيه؛ ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ . ﴿ولئن صبرتم لهو خيرا للصابرين﴾ .

وللشيخ حفظه الله من الحب في قلبي ما لو اجتمع الثناء كله إليه لكان دونه ـ من غير غلو فيه أو تعصب له ـ لذا فإني أربأ بحبي إياه أن ينقصه ثنائي له، ليبقى وافيًا بهيًا يزهو بأريج الصفاء والإخلاص والوفاء فوق سويداء القلب؛ غير منازع حتى بالثناء الجم الوفير، الذي تستبقه الألسنة والأقلام في شتى بقاع الأرض، ومنهم أولئك الذين يملأون أجوافهم بفتات علم مائدته، ثم يلوذون بأنفسهم على غير وفاء له وإنصاف منهم ولو لإنفسهم هم!!

على أن منزلة الشيخ في دنيا الناس، ترُومُه هو على الثناء على نفسه، فيمسك من خشية وأدب ـ إذ هو أهل لأن يقول في منزلته هذه قول نَصَفَةٍ ، بيد أنه يأباها ، فنقول عنه منزلته: ما رأيت ـ حقًا ـ مثله ـ وكيف لا يكون كذلك، وقد قام ـ اليوم ـ بواجب عجزت عنه الأمة ـ أو كادت ـ تجاه السنة النبوية المطهرة ؛ فتح الله به عليه من معارفها المعهودة ، وأضاف أخرى إليها، عرفت به، وأخذت سبيلها إلى تلك المعهودة.

فاهنأ أيها الشيخ الإمامُ بما أحرزت من قلوب محبيك ، من جوالب الحب إليك، حُرِمَتْهُ قلوب شانئيك، أغرقتهم فيه آثامُ الحسد والهوى والبهت ، فمتى يفيق أولئك من ردخة الخبال، التي أنتنتها عصارة الكبر الصاغر، والبهت الجائر والإثم الحائر، والبغض الفائر، والمكر البائر، والإفك الغائر؟

وللشيخ ـ نفع الله بعلومه ـ تفرد علمي يقوم على أسس قوية؛ أهمها:

١ ـ وضوح منهجه العلمي بكل مراحله وسماته، وقواعده، وأصوله التي يقوم عليها.

٢ ـ قدرته الحوارية؛ التي أمكنت لها في عقله إحاطته الواسعة بالسنن والآثار والأخبار.

٣ ـ حجته البالغة ؛ التي تداعت إليها الحجج ، وتناهت عندها الأدلة، فأصاب منها قدرًا، أعجز بها خصمه.

وهذه الثلاثة ، أفضت به إلى رابعة وهي:

٤ ـ شدته في الحق الذي يراه بما عنده من دليل، وجرأته فيه، ولو عاد عليه بعداوة رعاع الناس، فالعالم لا ترهبه عداوة الأعداء ، ولا (ينعشه) حب الأصدقاء والأولياء..

وفتاواه الصريحة الجريئة الـتي تناقلها الناس، وشاعت في أرجاء الأرض من مناسبات شتى ـ شاهدُ عدلٍ على ذلك.

وليس يُعزِّينا في البلاء الذي يحل بالشيخ ـ حـماه الله ـ إلا ما نعرف من البلاء الذي نال ـ في العصـور كلها ـ من أئمة الهدى، وأعـلام التقي؛ فصبروا عـلى ما أوذوا ، بل ما زادهم الأذى إلا إيمانًا وتسليمًا؛ كأبي حنيفة ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل، والبخاري ، وابن تيمية ، وغيرهم ممن بعدهم أو قبلهم.

وأين الأذى الذي صب جامه على مدى أربعة عشـر قرنًا على علماء الأمة ودعاة الحق فيها ، من الأذى الذي نال من رسول الله ﷺ ؟!

وما أحسن ، وأروع وأجـمل ما قاله ﷺ معـزِّيًـا أمته: «**إذا عظمت مصـيبـة أحدكم فليذكر مصيبته في**».

وليس يحـسن أن يغـيب عن فطنة البليـد ـ بله الحديد ـ أن الطعـونات التي رمي بهـا الشيخ حفظه الله من أولئك ـ لم يريدوا بهـا الشيخ ذاته، بل أرادوا من خلالها المنهج الحق الذي انتهجـه ، وتبناه ودعا الناس إليه ، حتى كأنه صار يعـرف به ـ ولله الحمد ـ في هذا الزمان.

ولقد نظرت في صنيع واحد من فقراء[1] العلم هؤلاء ـ تطاول علي الشيخ، وأجلب عليه بلهاث صوته، وقعقعة أميـته وجهله، وطابت سريرته بقبيح صنعه ، وأسفرت له عن صُفْرة نفـاق، واستبانت له عن جنون مرذول ـ فـما وجدته على شدته وقبـحه، يعدل أقل القليل من الأذى الذي لحق برسول الله محمد ﷺ .

ومع ذلك، فقـد أجهدت نفسي في البـحث عن مفردة واحدة، مما زخرت بـه معاجم اللغة، وفـاضت به دواوينها ، وناءت به أسـفارها ، أصـفه بها، فـلا ـ والله ـ ما عـثرت عليها، وقلت في نفسي: هل ضاقت اللغة ذرعًا بتلك المفردة؟ أم ماذا؟!

وبعد تأمل ونظر، عرفت أن اللغـة قد غلبها الحياء بما أقسم هـو عليها أن لا تبدي لي عن مثل هذه المفردة تأثمًـا أن تذكر به ـ ولو في كلمة مما تحسن به واصفة قـبحه ـ أو تنزهًا

(١) ومعلوم أنها جمع تكسير، مفردها (فقير)!!

عن أن يكون له ذكر في حروفـها ، فنفرت نفار المتنزه المتأثم ، وأبرَّت بقـسم الحياء، وأبت عليَّ مفرداتها أن تسفر عن معانيها ، أو عن حرف منها!!

وليس صعـبًا على من يخاصم من مكان بعيـد بغير علم ولا هدى ولا كتـاب منير ، طاعة لإبليس، ووفاءً له بالعهد ـ من فوق المنابر ومن تحتها ، من فوق القباب الخضر ومن تحتهـا، من وراء الجدر المسندة ومن أمامهـا، من غياهب الغرف المظلمـة ومن ظهورها ـ أن يجيِّش ـ بكلماته الهوجـاء ـ جيوشًا، ويدمر دولاً ، ويفني قبائل وشعـوبًا، ويمحو ما يشاء ومن يشاء ، ومتى يشاء، وكيف يشـاء، وأنى يشاء، ويثبت ! يرغي بذلك ويزبد ، ويفري فرى الهاذي الأحمق المعربد، ويقيم الطامات من النوب ولا يقعد، مدثرًا كل ذلك بخيالات الأطفال السـذج مخليًـا له بسوء أدب، وكزُوزةٍ ، وجـه، وبلادة حسٍّ، وقمـاءة رجولة ، وركاكة دين، وفهامة لسان، وخيلاء مجانين ، وكبرياء صاغرين ، وحقارة أشعبيين!!

والله القوي الجبار المنتقم، لن يتخلى عن الشـيخ، الذي نصبه لنشر راية سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وكسر شوكة الـبدعة، والكشف عن زيوف دهاقنة العجم ، وفضح فروخ المعتزلة، والإبانة عن عورات أنصار العقائد الفاسدة، وجهالات سمان الإفك والضلالة!.

وحق لنا ـ نحن دعاة التوحـيد وحملة السنة ـ أن نتمثل ـ اليـوم ـ في علمائنا وحالهم مع خصومهم، ما قيل :

أولئك (أشياخي) فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا (أثيم) المجامع

ويكفي الشيخ ـ نصرة من ربه ـ أنه إذا ذكر ، ذكر الكتاب والسنة ، فقد أعلى الله في الأرض ذكره، وصيـرهُ أمينا حافظًا لأسانيد الأخبـار ومتون السنن، ومكَّنه من فقهـها ما لم يمكن لأحـد في عصره ، وآتاه مـن علومهـا ما لم يؤت أحدًا فـي زمانه[1] ، فهل يكون

---

(١) وَعَجُبنا يمتـد رواقه، ويتسع مداه، وتشتد أطنابه من أولئك الذين يرون الشـيخ محدثًا ولا يرونه ـ بما أتاه الله من علم الكتاب والسنة ـ فقيهًا!!!

يا سبحان الله ! ما أزرى شيء بأهله مثل الجهل والهوى !!! وهل الفقه إلا قال الله وقال رسوله؟!

وجود خطأ في فتوى ـ إن أخطـأ فيها ـ من فتاواه المتكاثرة سببًا في تضلع أولئك المشايخ ـ بتاري النصوص ، والسـاطين علي الحقوق ، ولابسي ثياب الزور ـ من بئـر بضاعة!!! وأن يحيـصوا تلك الحـيصة، الـتي أودت بأمثالهم مـن قَبْلُ؟! فعليـهم من الله ما يسـتحـقون وحسيبهم الله، ونسأل الله أن يحاسـبهم بعدله لا بفضله ، فلقد ـ والله ـ أرضحوا دينهم للهوى، وتقواهم ـ إن كانت ـ لِلْبَلَى!!! (١) .

* * *

(١) «ماذا ينقمون من الشيخ الألباني؟!...» (ص ٤ ـ ١٤).

شهادة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد فقد سئلت مرارًا عن الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله.

فأقول كما قال كثير من السلف إذا سئلوا عمن هو أجلُّ منهم قدرًا فيقول أحدهم: أنا لا أسأل عن فلان هو يسأل عني ولولا أنا في عصر أصبح كثير من العامة لا يميز بين العالم والمنجم، ولا بين المؤمن بالله والشيوعي الملحد بل أقبح من ذلك أن بعض ذوي الأهواء من المبتدعة المعاصرين أصبحوا يطلقون الألقاب المنفِّرة على أهل السنة.

ولقد كان المبتدعة يطلقون على أهل الحديث الألقاب المنفرة ويرمونهم بجمود الفطنة وعدم القدرة على استنباط الأحكام من الحديث حتى قال بعضهم:

زواملُ للأخبار لا علم عندهم ... يجيدُها إلا كعلم الأباعر

لعَمُركَ ما يدري المطي إذا غدا ... بأحماله أو راح ما في الغرائر

وقال آخر:

يدعون أهل الحديث وها هم ... لا يكادون يفقهون حديثًا

وقد زاد المتأخرون على هذا فربما أطلقوا على العالم مرة أنه ماسوني وأخرى أنه عميل وثالثة أنه جاهل بالواقع ورابعة أنه مداهن فلهذا أقول: إن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله تعالى [1] لا يوجد له نظير في علم الحديث، وقد نفع الله بعلمه وبكتبه أضعاف أضعاف ما يقوم به أولئك المتحمسون للإسلام على جهل أصحاب الثورات والانقلابات.

والذي أعتقده وأدين لله به أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله من المجددين الذين يصدق عليهم قول الرسول ﷺ: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدِّد لها أمر دينها**». رواه أبو داود وصححه العراقي وغيره.

---

(١) هذه الشهادة قالها الشيخ مقبل في حياة الشيخ الإمام رحمه الله.

والناس ينقسمون في شأن الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله إلى ثلاثة أقسام:

قسم يقلده ويتقبل كل ما جاء به.

وقسم يرفضه ويرفض علمه ويحذر منه.

وقسم وسط يعتبره عالمًا من علماء المسلمين من الله على الناس به في هذا الزمان لنشر السنة وقمع البدعة ويعتقدون أنه يصيب ويخطئ ،ويجهل ويعلم ولكنهم يعتقدون في أنه لا يوجد له نظيرٌ في علم السنة فهم يستفيدون من علمه ومن كتبه غير مقلدين له. وهذا شأن سلفنا مع علمائهم.

هذا وقد سئلت قبل هل يقبل تصحيح الشيخ الألباني للأحاديث وتضعيفه؟ فأجبت : بأن الذي يقبل تصحيحه وتضعيفه لا حرج عليه لأن الشيخ عدل ثقة. ورب العزة يقول:

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ مفهوم الآية الاية أنه إذا جاءنا العدل بالنبأ نقبل خبره، وهذا ليس من باب التقليد كما أفاده الصنعاني في كتابه القيم «إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد».

ومن أحب من طلبة العلم أن يقف على الحقيقة ويبحث وله قدرة على معرفة أحوال الرجال وعلم العلل فهو الأفضل . على أنه لا يستغني طالب علم في هذا الزمن عن الاستفادة من كتب الشيخ الألباني حفظه الله وإني أنصح كل طالب علم باقتنائها والاستفادة منها فقد جمع فيها الشيخ حفظه الله ما لا يستطاع الوقوف على كله وتيسر له الاطلاع على كتب لم يطلع عليها كثير من طلبة العلم.

إذا عرفت أن الشيخ حفظه الله ليس لن نظير في علم السنة فما منزلته في فهم النصوص؟ الذي أعرفه عنه أن فهمه للنصوص كفهم كبار علمائنا المعاصرين؟ علي أني أقول كما قال الإمام مالك رحمه الله: كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر - يعني رسول الله ﷺ .

كتبه/ أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي - اليمن(١) .

---

(١) «الألباني ،حياته . . .» الشيباني (١/ ٥٤٥ - ٥٥٦).

وقال الشيخ مقبل أيضًا:

إني أنصح كل طالب علم بالحرص على اقتناء كتب الشيخ ناصر الدين الألباني، ويعلم الله أني ما أعلم بكتاب له يخرج إلا وبادرت إلى اقتنائه ، فنسأل الله أني يحفظه ويجزيه عن الإسلام والمسلمين خيرًا، إنه على كل شيء قدير.

ويُعْلَم أننا لا نزال نزداد علمًا بسبب كتب الشيخ حفظه الله[1].

* * *

(١) من مقدمته لكتاب «إقامة البرهان» لخالد المؤذن (ص ١٧).

وكَتَبَ الشيخُ محمد عيد عباسي

تحت عنوان ـ كيف نشأت الدعوة السلفية في بلاد الشام؟ يقول:

وأما نحن ـ معشر السلفيين ـ والحق يقال، فلم نفعل شيئًا منكرًا، وكل قصتنا وشأننا، أنه قد ظهر فينا رجل عالم، توصل بتوفيق الله وعنايته، ثم بجده وكده وصبره ودأبه، إلى فهم معاني الأدلة الشرعية ومدلولاتها ، وبرع في السنة وعلومها والفقه وأصوله، واستطاع أن يرجح بين الأقوال المختلفة وأدلتها، فرأى صحة بعض الاجتهادات وخطأ أخرى، فدعا الناس إلى ما اعتقد أنه حق وصواب، وحذَّرهم مما اعتقد أنه خطأ وباطل، لأن الدين النصيحة كما ثبت في الصحيح.

فاستجاب لهذا العالم طائفة مؤمنة، اتبعوا طريقته وأخذوا عنه ، وصاروا يدعون غيرهم إلى ما رأوه صوابًا، وتحذيرهم مما رأوه خطأ ، فاصطدموا بأسرار التعصب المذهبي الأعمى ، وأشواك الجهل والتقليد، ولقوا من قومهم الإنكار والتضليل والشتم والسخرية، فصبروا على ذلك وثبتوا على دعوتهم مع هذا الرجل المؤمن الصابر.

وقد شهد كثير من أهل العلم والإنصاف بفضل هذا الداعية المجاهد، كما عرفوا حقيقة هذه الدعوة وأدركوا حقيقة الخلاف بينها وبين خصومها ، فقالوا كلمة الحق دون خوف ولا وهن، وشهدوا شهادة الصدق لله سبحانه، فلم ترهبهم سياط الجمهور ولا لغط الأعداء المتحاملين الموتورين.

وكان في مقدمة هؤلاء المنصفين الأستاذ الفاضل أحمد مظهر العظمة، رئيس جمعية التمدن الإسلامي ومدير تحريها مجلتها الغراء، وهنا أترك له المجال ليروي للقراء قصة ظهور الدعوة السلفية في بلاد الشام وسبب كثرة اللغط والغبار الذي يثيره خصومها.

قال الأستاذ العظمة في تقديمه لرد أستاذنا الشيخ محمد ناصر الدين الألباني علي الشيخ عبد الله الحبشي:

«عرفت دمشق محدثها الأكبر العلامة الشيخ بدر الدين الحسيني، فلما توفاه الله خلت الديار من إمام تتجه الأنظار إليه في علوم الحديث.

غير أن فتي أرناؤوطيًا (نشأ نشأة علم وتقى، وكان له من أسمه نصيب هو الأستاذ محمد ناصر الدين) عرف في أوساط الشباب بخدمة الحديث وعلومه وجمع الشباب عليه، واشتهر بينهم، واستطاع بفصاحة لسانه العربي وطلاوة حديثه، وجودة مناقشته أن يستأثر بنخبة تأخذ عنه وتتلمذ عليه.

وإذا كان الحديث ثاني مصدر للفقه الإسلامي بعد كتاب الله، وكان يعتبر ما صح عند أهل الحديث مذهبًا لأهل الفقه ، لذلك اشتهر بعض أنصار الشيخ ناصر بتركهم من الأحكام المذهبية ما عرفوا فيه حديثًا ثابتًا صحيحًا ، وبعضهم كان يثير اللغط . ومن هنا تألب على الأستاذ من تألب(١) .

(١) انظر مقدمة رسالة «الرد على التعقيب الحثيث للشيخ ناصر) نقلاً عن «بدعة التعصب المذهبي» محمد عيد عباسي (ص ١١٩ ـ ١٢١).

أشعار قيلت في الشيخ الإمام الألباني

قال الأستاذ الشيخ / محمد المجذوب :

غير واحد من الإخوان سألني عن موقفي من حملات بعضهم على أبي عبد الرحمن فأجبت:

قالوا: ألا كلمة في الشيخ تنصفه
فقد طغى الجور حتى في الموازين
شنت عليه حروب لا يسوغها
عقل يرى الحق في ظل البراهين
فقلت: فوق ثنائي ما يُبلِّغُهُ
محدِّثُ الشام عن خير النبيين
وردة الجليل للوحي الجليل يَدٌ
ما إن يكابر فيها غير مفتونِ
وحسبه أنه هز العقول وقد
باتَتْ من الحجر والتقليد في هون
فأصبحت ذات وعي ليس يُعْجِزُهُ
التمييز ما بين مفروضٍ ومسنونِ
والدين سر من الرحمن بينه
رسوله وسواه محض تخمين
والجامدون حيارى ليس في يدهم
إلا روايةُ مجروح لموهونِ
فما عسى أين يقول الشعرُ في رجل
يدعوه حتى عِداهُ ناصرَ الدينِ
وأيُّ خيرٍ إذا فردٌ تجاهلَهُ
وقد فشا فضلُهُ بينَ الملايين (١)

(١) كشف التلبيس ، ص ٧٥ ـ ٧٧ .

ديوان الحق المبين

لخير الدين وانلي

أنـــا

أنا مـــسلمٌ والحـــمـــدُ لله الذي
لـلـحـقِّ والـديـنِ الـقـــــويمِ هـداني
لغـــةُ الكتـــابِ درســـتُـــهـــا من أجله
صـــارَ الـبـيـــانُ الـيـعـــربيُّ بيـــاني
الأرض كل الأرض أضـــحت مـــوطـني
والمسلمـــــون ـ وإن نأَوْا ـ إخـــواني
من أرض (وَانٍ) جـــاءَ جـــدِّي لاجـــئًـــا
حـنفـت عليـــه حكومـــة السلطان
وعلى ذُري (صنينَ عـــشتُ طـفـــولـتي
ودرجـتُ فـي أحـلـى ربـي (لـبـنـان)
لا مـــا زنيتُ ولا شـــربتُ مـــدامـــةً
إن الشـــرابَ حـــبـــائـلُ الشـــيطانِ
يـل لم أقـــامـــرْ أو أراقصْ أو أهـم
بـالجـــاه والأمـــوالِ والسُّلطان
أنا مـــسلمٌ أهـوى الحـيـــاةَ عـــزيزة
مـــا الذُّل والإيمانُ يجـتـــمـعـــانِ
أهوى الحـيـــاة كـريمة وطليـقـــة
مما تكـلـفـــــه بـنـو الإنســـــان
إن البـســـاطةَ في الحـيـــاة جـمـيـلةٌ
وكـذاك في الـتـشـريـع والتـبْـيـان
حُـــمِّلْتُ أنـواعَ المصـــائب لم أهـنْ
وترفـــعتْ نـفـــسي عـنِ الأحـــزانِ

أستقبلُ البلوى بجأش رابط
لا يدفعُ الأتراحَ كالإيمان
ضجت بصدري رنَّةٌ علويةٌ
لما فهمتُ مقاصدَ القرآن
فنهلتُ من ينبوعهِ حتى ارتوى
عقلي وضاءَ بنُورِهِ وجْداني
[وجمعتُ من علم الحديث جواهرًا
نثرت بحلقة شيخنا (الألباني)]
ووعيت ديني من مصادره التي
لم تُبلَ بالتحريف والنقصان
لم أعرف التقليدَ في فقه ولا
جالَ التعصبُ في دمي وجناني
أقوال ربي ثم قولُ (محمد)
شرعي وديني دو شرعٍ ثانِ
ونفضتُ من موتِ التصوف همتي
وحفظتُ من علم الكلام لساني
ودعوت منذ نعومتي وطفولتي
لله للتوحيد للفُرقانِ
سخط العباد أو الرِّضى منهم على
حد سواءٍ في رضى الرحمن
أهوى الصراحةَ في الحياة نفيةً
من دون ما لف ولا دَورَانِ
لاأنثني عن قولة الحقِّ ولو
ضاعتْ مغانم دونها ومعَانِ
لا أرتضي عيشَ الجبانِ ولا أرى
في الموت غير شهادةٍ وجنانِ

أرض بعيشٍ ضيقٍ في عزة
وأضيقُ بالنَّعماءِ في الإذعان
الصدقُ عندي ذمةٌ وفريضةٌ
والعدلُ شرعي والوفا إيماني
باعدت رُوحي عن هوانٍ أوهوى
وحفظتُ نفسي من دُمي الشيطان
أنا عندهم مُتَعصِّبٌ متزمتٌ
لكنني راضٍ بهذا الشانِ
ماضرني أن كنتُ فيهم مفرداً
إن (اليتيمة) دُرَّةُ الأزمانِ

* * *

أحد طلبة العلم يثنى علي الشيخ ناصر الألباني في أبيات شعرية

إن الـذي ينـصـــر شـــريعـــة ربنا
يُنصـر كـمـا قـد قـاله الـوحـيـان

ولقـــد رأينا من مـــحـــقق عـــصـــرنا
أعـني المحـــدث نـاصـــر الألبـــاني

ذاك الذي تـســعى حـشـيـئًـا ضـده
يا ظـالمًا فـــارجع عن الـعـــصـــيـــان

قـــام الأُلي يتـــعـــصـــبـــون لمذهب
وطريـقـــة وعـــقـــيـــدة الكـهـــان

قـــام الألُي يتـــعـــصـــبـــون لمنصب
وظيـــفـــة فـــيـــهـــا الحطام الفـــاني

قـــام الجـــمـــيع وأعـلنوها ثـورةً
بـالسب والتـــشنيع في البـلدان

قـامت قـيـامـتـهم وقـام جـمـيـعـهم
والشـــيخ نـاصـــرٍ ثابتُ الأركـــانِ

نشـــر العلوم بعـــصـــرنا يا حـــبـذا
من ناشـــرٍ لشـــريعـــة المنان

ترك التـــعـــصب للـمـذاهب كلهـا
مـدح الأئمـــة شـيـعـة الرحـمن

نـفـع الإله بـعـلـمـــــه رغـم الذي
قـد قـاله ذو الحـقـد والأضـغـان

فـــأنِرْ إلهي مكانه لأحـــبـــتي
خـــيـــرًا على الإســـلام والإيمان

قـالوا قـريضُ الشـعـر قُلتُ أحبُّـهُ
لا ســيـــمـــا في ناصـــر الألبـــاني

علَم الزمان، فلست أزري حقه
شيخ المشايخ ذو النهى رباني
فهو المجدد للزمان وقد أتى
خبر صحيح ينتهي للداني
في كل آونة يقوم معلمًا
يدعو لشرعة ربنا الرحمن
فهو الإمام إذا الأئمة عُدِّدُوا
لا شك عندي والذي سواني
وهو الذي أضحى فريدَ زمانه
بالفقه والتحديث والقرآن
كم ذب عن سنن النبي محمد
المصطفى المختارِ من عَدْنان
كم حارب البدع التي قد شوهت
وجه الشريعة بالأذى الفتَّان
يدعو إلى التوحيد والقوى وكم
قال: اتباع نبينا العدنان
فرضٌ وحتمٌ لازم لا نهتدي
في غيره إن صح في الميزان
وإذا أردت زيادةً من فضله
فانظر لعمري ما حوى الشيباني
عن علمه وثناء من
شهدوا له بالفضل والعرفان

خالد جمعة الخراز ـ الكويت[1]

---

(١) «الألباني حياته . . » الشيباني (١/ ١٠٨ ـ ١١٣).

مؤلفات الشيخ الإمام، والتعريف ببعضها

لقد كان الشيخ الإمـام رحمه الله مكثرًا من التصنيف والتحقـيق، وقد لاقت مصنفاته قبولاً فائقًا لدى أهل العلم ، وطلابه.

وقد ترجم الكثير من أعمال الشيخ إلى لغات مختلفة وطبع أكثرها طبعات متعددة.

وغالب كتب الشيخ طبعت قديمًا في «المكتب الإسـلامي » ببيروت وحديثًا في «مكتبة المعـارف» بالرياض، وطبع القلـيل منهـا في «دار الأرقم » بالكويت ،و «الدار السلفـيـة » بالكويت ، و«دار الصديق» بالجبيل، و«المكتبة الإسلامية بعمان».

وقد اختلف المترجمون للشيخ الإمـام في أعداد هذه المصنفات وذلك لكثرتها وتنوعا، فقد اجتهد الشيخ عبد الله الشـمراني في عد أعمال الشيخ المطبوعة والمخطوطة فبلغت عنده (٢٣١) ما بين تأليف وتحقيق كما في كتابه «ثبت مؤلفات المحدث الكبير الإمام محمد ناصر الدين الألباني».

وقد سردها الشيخ علي الحلبي في كتـابه «مع شيخنا ناصر السنة والدين» فبلغت عنده (٢١٧) .

وقد سردت هذه الأعمال حـسب اجتهادي ـ ورتبتها على حروف المعـجم فجاءت كما يلي:

١ ـ آداب الزفاف في السنة المطهرة ـ مطبوع ـ تأليف.

٢ ـ الأجوبة النافعة عن أسئلة مسجد الجامعة ـ مطبوع ـ تأليف.

٣ ـ الأحاديث الضعيـفة والموضوعة التي ضعفـها أو أشار إليها ابن تيميـة في مجموع الفتاوى ـ تأليف ـ مخطوط.

٤ ـ الأحاديث الضعيفة والموضوعة في أمهات الكتب الفقهية ـ تأليف مخطوط.

٥ ـ الأحاديث المختارة للضياء المقدسي ـ تحقيق وتخريج ـ لم يُتمه ، مخطوط.

٦ ـ أحاديث الإسراء والمعراج ـ تأليف مطبوع .

٧ ـ أحاديث البيوع وآثاره (خاص بموسعة الفقه الإسلامي بكلية الشريعة بدمشق) ـ تأليف ـ مطبوع .

٨ ـ أحاديث التحري والبناء علي اليقين في الصلاة ـ تأليف ـ مخطوط.

٩ ـ أحاديث المزارعة والمؤاجرة والرد علي المفترين على الصاحبة والتابعين والعلماء) رسالة طبعت ضمن مجموعة «البرهان في رد البهتان والعدوان) بأقلام محمد ناصر الدين الألباني ـ طه الصابونجي ـ عبد الله القلقيلي ـ مطبوع.

١٠ ـ الاحتجاج بالقدر لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ تحقيق وتخريج ـ مطبوع.

١١ ـ الأحكام الصغرى لعبد الحق الأشبيلي ـ تحقيق وتخريج ـ مخطوط.

١٢ ـ الأحكام الوسطى لعبد الحق الأشبيلي ـ تحقيق وتخريج ـ مخطوط.

١٣ ـ أحكام الجنائز وبدعها ـ مطبوع ـ تأليف.

١٤ ـ أحكام الركاز ـ مخطوط ـ تأليف.

١٥ ـ أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رب ـ لعمر بن حسن بن دحية ـ تحقيق وتخريج ـ مطبوع.

١٦ ـ الأذكار للنووي ـ تعليق وتخريج ـ مخطوط (١) .

١٧ ـ إرشاد النقاد في تيسير الاجتهاد ـ للصنعاني ـ تخريج وتعليق ـ مخطوط.

١٨ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ـ مطبوع ـ تأليف .

١٩ ـ إزالة الدهش والوله، عن المتحير في صحة حديث «زمزم لما شرب له» تخريج الشيخ ناصر ، وتحقيق الشيخ زهير ـ مطبوع.

---

(١) وهو أصلاً ـ تلخيص لكتاب «نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار « للحافظ ابن حجر ، وقد كان مخطوطًا يومئذ أفاده الشيخ علي الحلبي.

٢٠ ـ إزالة الشكوك عن حديث البروك (في مسألة البروك في السجود أجاب فيها عن استدلال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد) ـ مخطوط ـ تأليف.

٢١ ـ الأسئلة والأجوبة ـ تأليف ـ مخطوط.

٢٢ ـ أسباب الاختلاف، للحميدي ـ تحقيق ـ مخطوط.

٢٣ ـ أسماء الكتب المنسوخة من المكتبة الظاهرية[١] ـ إعداد ـ مخطوط.

٢٤ ـ إصلاح المساجد عن البدع والعوائد لجمال الدين القاسمي رحمه الله ـ تحقيق ـ مطبوع.

٢٥ ـ أصول السنة واعتقاد الدين ـ للحميدي ـ تحقيق ـ مخطوط.

٢٦ ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ـ لابن القيم ـ تخريج ـ مخطوط.

٢٧ ـ اقتضاء العلم للخطيب البغدادي ـ تحقيق وتخريج ـ مطبوع.

٢٨ ـ الإكمال في أسماء الرجال ـ التبريزي ـ تحقيق.

٢٩ ـ الأمثال النبوية ـ تأليف ـ مخطوط.

٣٠ ـ الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات لنعمان الآلوسي ـ تحقيق وتعليق ـ مطبوع.

٣١ ـ الآيات والأحاديث في ذم البدعة ـ تأليف ـ مخطوط.

٣٢ ـ الإيمان لابن أبي شيبة ـ تحقيق وتخريج مطبوع.

٣٣ ـ الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق وتخريج ـ مطبوع.

٣٤ ـ الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق ـ مطبوع.

٣٥ ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير ـ لأحمد شاكر ـ تعليق ـ مطبوع في مجلدين بتحقيق علي الحلبي مع إثبات تعليقات الشيخ.

---

(١) وهو غير «فهرس مخطوطات» دار الكتب الظاهرية . . أفاده الشيخ علي الحلبي».

٣٦ ـ بداية السول في تفضيل الرسول للعز بن عبد السلام ـ تحقيق ـ مطبوع.

٣٧ ـ بغية الحازم في فهرسة مستدرك الحاكم ـ تحت الطبع ـ تأليف.

٣٨ ـ بين يدي التلاوة ـ تأليف ـ مخطوط.

٣٩ ـ تاريخ دمشق، لأبي زرعة ـ رواية أبي ميمون ـ تحقيق وتعليق ـ مخطوط.

٤٠ ـ تأسيس الأحكام شرح بلوغ المرام، للشيخ أحمد بن يحيى النجمي ـ تعليق ـ طبع الجزء الأول.

٤١ ـ تحذيرالساجد من اتخاذ القبورمساجد ـ مطبوع ـ تأليف .

٤٢ ـ تحريم آلات الطرب ـ تأليف ـ مطبوع.

٤٣ ـ تحقيق معنى السنة، لسليمان الندوي ـ تخريج .

٤٤ ـ تخريج أحاديث مشكلة الفقر للقرضاوي ـ تأليف مطبوع.

٤٥ ـ تخريج حديث أبي سعيد الخدري في سجود السهو ـ تأليف مخطوط.

٤٦ ـ ترجمة الصحابي أبي الغادية، ودراسة مرويات قَتْلِه عمَّارَ بن ياسر ـ تأليف ـ مخطوط.

٤٧ ـ تصحيح حديث إفطار الصائم قبل سفره بعد الفجر ـ مطبوع ـ تأليف.

٤٨ ـ التعقيب المبعوث على رسالة السيوطي الطرثوث ـ تأليف ـ مخطوط.

٤٩ ـ التعقيب علي كتاب الحجاب للموردي ـ مطبوع ـ تأليف .

٥٠ ـالتعليق الرغيب على الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ـ مخطوط ـ تأليف .

٥١ ـ التعليق على رسالة كملة سواء ـ . . . تعليق ورد ـ مخطوط.

٥٢ ـ التعليق على سنن ابن ماجه ـ تخريج[1] ـ مخطوط.

٥٣ ـ التعليق علي كتاب سبل السلام للصنعاني ـ الجزء الأول منه ـ مخطوط.

---

(١) وهو غير غير «صحيح» سنن ابن ماجه «وضعيفه» أفاده الشيخ علي الحلبي.

٥٤ ـ التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد ـ للكنوي ـ تعليق وتحقيق ـ مخطوط.

٥٥ ـ التعليقات الجياد على زاد المعاد لابن القيم رحمه الله ـ لم يتم ـ تأليف.

٥٦ ـ التعليقات الحسان على الإحسان ـ تأليف ـ مخطوط.

٥٧ ـ التعليقات الرضية على الروضة الندية ضمن في تحقيق علي الحلبي على الروضة الندية ـ تأليف مطبوع.

٥٨ ـ تخليص أحكام الجنائز ـ مطبوع ـ تأليف.

٥٩ ـ تلخيص حجاب المرأة المسلمة ـ تأليف ـ مخطوط.

٦٠ ـ تلخيص صفة صلاة النبي ﷺ ـ مطبوع تأليف.

٦١ ـ تمام المنة في التعليق علي كتاب فقه السنة لسيد سابق ـ مطبوع ـ تأليف.

٦٢ ـ التمهيد لفرض رمضان ـ تأليف ـ مخطوط.

٦٣ ـ التنكيل بما في تأليف الكوثري من الأباطيل للعلامة المحقق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ـ تحقيق وتعليق ـ في مجلدين ـ مطبوع.

٦٤ ـ تهذيب صحيح الجامع وزيادته والاستدارك عليه ـ تأليف مخطوط.

٦٥ ـ التوحيد ، محمد أحمد العدوي ـ تخريج وتعليق ـ مخطوط.

٦٦ ـ التوسل: أنواعه وأحكامه ـ مطبوع ـ تأليف.

٦٧ ـ تيسير انتفاع الخلان بترتيب ثقات ابن حبان.

٦٨ ـ الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب ـ لم يتم ـ ولم يطبع ـ تأليف[1].

٦٩ ـ الجمع بين ميزان الاعتدال للذهبي ولسان الميزان لابن حجر ـ مخطوط.

---

(١) قلت: وقد طبع منه مجلدين، بمعرفة دار غراس بالكويت سنة ١٤٢٢ هـ وقال الناشر في مقدمة الكتاب:

هذا هو كتاب «الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب» لفضيلة الإمام المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ وأسكنه فسح الجنان، يخرج إلى قرائه ومحبيه ليرى النور بعد عقود مضت عليه وهو حبيس مكتبة الشيخ رحمه الله ، فقد انتهى تدوين هذا الكتاب سنة ١٣٦٦هـ =

. . . . . .

= كما وجدناه على غلاف الكتاب بخط المؤلف ـ وما هذا من الشيخ ـ رحمه الله إلا درس عملي لأولئك المتعالين الذين رأينا بعضهم يبيع كتبًا للناشرين ولم تكتب بعد، بل ليست عنهدم إلا مجرد فكرة، فإذا قبضوا المعلوم بدؤوا ويحوشون من هنا وهناك ويجمعون وينفخون ، حتى يصير الغلاف مجلدًا والمجلد مجلدات، ثم بعد ذلك يظهرون بمظهر المحققين والمعلقين، . . . إلى غير ذلك من الكلمات اللامعة البراقة. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والذي يظهر لنا أن شيخنا الإمام لم ينه هذا الكتاب ، وأنه انتهى إلى ما وصل إليه منه قبل سنة ١٣٧٠هـ) ؛ كما يدل على هذا رأيه في سكنى المهجرين الفلسطينين المساجد أيام نكبة (١٩٤٨م) ، فراجع (ص ٨٢٠) من هذا الكتاب.

هذا؛ ولسنا بحاجة إلى التعريف بمزايا وخصائص هذا الكتاب ، إذ هي واضحة لكل قارىء ـ إن شاء الله تعالى ـ إلا أننا نجد أنفسنا مضطرين إلى ذكر بعض تلك المزايا ، فنقول أهما:

١ ـ تجد شيخنا رحمه الله غيورًا على التوحيد أيما غيرة منذ نشأته ، فتراه يفرد هنا أكثر من عشرين صفحة (٣٥٧ ـ ٣٨٠) في النهي عن الصلاة في المقابر والمساجد المبنية على القبور.

٢ ـ رغم المنزلة التي تبوأها شيخنا رحمه الله خاصة في علم الحديث، إلا أننا نجده تقيًا ورعًا في مسألة التصحيح والتضعيف ، فتراه ـ مثلاً ـ يستخير الله تعالى في تصحيح أو تضعيف بعض الأحاديث ، كما في (ص ٥٤٣).

٣ ـ تجد شيخنا كما في سائر مصنفاته ـ طاويًا علم التعصب غير هياب ولا متلكيء ناشرًا راية الاتباع لإمام الأئمة ﷺ ؛ حتى عرف بهذا واشتهر به.

٤ ـ تجد شيخنا معظمًا السلف الصالح منذ نشأته ، فلايقدم على قول ليس له فيه إمام، كما يظهر ذلك جليًا هنا في (ص ٢١٤ ـ ٦٢٨).

٥ ـ كما تجد رأي شيخنا رحمه الله في بعض المسائل القليلة في هذا الكتاب غير رأيه الذي مات عليه، ووجدناه في كتبه المتأخرة الطبع، كما في مسألة عدم جواز إتيان الحائض التي طهرت حتى تغتسل (ص٤٥) فانظر رجوعه في «آداب الزفاف» (ص ١٢٥ ـ ١٢٩ ـ طبع المكتبة الإسلامية) ، وكما في مسألة حد عورة الرجل (ص ٢٤٦) فقارنه ـ بتمام المنة» (ص ١٥٩) ، وكذلك تراه يتراجع عن تصحيح أو تضعيف بعض الأحاديث ، كما في حديث: «من حافظ على الصلاة. . .» الآتي (ص ٥٢) فقارنه بـ «ضعيف الترغيب » (رقم ٣١٢) وغير ذلك . وتلك مزية لا يقبل عليها إلا من يتقي الله تعالى فيما يكتب ، ولا يأبه لكلام الناس ؛ إذ تغير الاجتهاد ـ للأسباب المعروفة في هذا الباب ـ هو شأن أهل العلم منذ أن قام في الناس الاجتهاد.

ولا يفوتنا التنبيه علي أن هذا الكتاب، كان في بداياته عبارة عن رؤوس أقلام لمسائل سجلها الشيخ رحمه الله تذكيرًا له لما سيتناوله في دروسه الفقهية في سوريا قديمًا لذا نجده يذكر طرف =

٧٠ ـ جواب حول الأذان وسنة الجمعة ـ تأليف ـ مخطوط .

٧١ ـ حجاب المرأةالمسلمة في الكتاب والسنة ـ مطبوع وطبع بعد ذلك باسم جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة ـ تأليف.

٧٢ ـ حجاب المرأة ولباسها في الصلاة لابن تيمية ـ تحقيق ـ مطبوع.

٧٣ ـ حجة النبي ﷺ كما رواها جابررضي الله عنه ـ مطبوع تأليف ـ.

٧٤ ـ حجة الوداع (أصل الكتاب السابق) ـ مخطوط ـ تأليف.

٧٥ ـ الحديث النبوي لمحمد الصباغ ـ تخريج.

٧٦ ـ الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ـ مطبوع تأليف.

٧٧ ـ حقوق النساء في الإسلام لحرم محمد رضا ـ تخريج ـ مطبوع.

٧٨ ـ حقيقة الصيام لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق ـ وتخريج ـ مطبوع.

= المسألة ثم أطراف الأدلة أو ما يشير إليها، ثم بدأ الشيخ رحمه الله الإسهاب وتأليف كتاب يستعرض فيه المسائل مع ذكر أدلتها من القرآن وصحيح السنة؛ لذا نجده رحمه الله في أوائل الكتاب وفي حدود بضع عشرة صفحة يذكر مصادر التخريج رموزًا دون ذكر الجزء والصفحة ، ثم بعد ذلك بدأ يذكر بعض الأسانيد والكلام عليها، وتخفيف الرموز واستبدال الأسماء بها من ذكر الجزء والصفحة لتلك المصادر إلا ناردًا جدًا. . .

هذا؛ وليعلم القارئ الكريم أن شيخنا رحمه الله كان يرجع إلى كتابه هذا بين الفينة والفينة ، مضيفًا وحاذفًا ، منقحًا ومحققًا ، وإن كانت التعديلات قليلة؛ نرًا لتزاحم أعمال الشيخ وقد عاجلته المنية قبل إتمامه فحرصنا علي إخراجه في أحسن حلة ودققنا المطبوع على أصل الشيخ ، وجعلناه في مجلدين: ينتهي المجلد الأول بـ (ص ٥١٤) ويبدأ المجلد الثاني بـ (ص ٥١٥) وينتهي بـ (ص ٨٥١) وضعنا له فهارس علمية مختلفة، لتسهيل المراجعة، ولتتم الفائدة، فكان منها فهرس الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب ، وفهرس الرجال المتكلم فيهم جرحًا وتعديلاً وفهرس الغريب، وفهرس المواضيع والفوائد .

فنسأ الله تعالى أن ينفع به المسلمين جميعًا وأن يجعله في ميزان حسنات شيخنا ، وأن يكتب لنا أجر التعاون على البر والتقوى.

٥ / جمادى الأولى / ١٤٢٢ هـ .

الناشر

٧٩ ـ حكم تارك الصلاة ـ تأليف.

٨٠ ـ الحوض المورود في زوائد منتقى ابن الجارود ـ وهو في زوائده علي الصحيحين ـ مخطوط ـ تأليف.

٨١ ـ خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه ـ مطبوع ـ تأليف.

٨٢ ـ الدعوة السلفية أهدافها وموقفها من المخالفين لها ـ تأليف ـ مخطوط .

٨٣ ـ دفاع عن الحديث النبوي والسيرة والرد على جهالات الدكتور البوطي في فقه السيرة ـ مطبوع ـ تأليف.

٨٤ ـ ديوان الضعفاء والمتروكين ـ للذهبي ـ تحقيق وتعليق ـ مخطوط.

٨٥ ـ الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد ـ مطبوع ـ تأليف.

٨٦ ـ رجال الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ـ إعداد ـ مخطوط.

٨٧ ـ الرد على ابن حزم في إباحة آلات اللهو والطرب ـ مطبوع تأيف ـ تحريم آلات الطرب برقم (٤٠).

٨٨ ـ الرد على أرشد السلفي [١] تأليف.

٨٩ ـ الرد على رسالة (إباحة التحلي بالذهب المحلق) للشيخ إسماعيل الأنصاري رحمه الله وهومطبوع ضمن كتاب (حياة الألباني) للشيباني ـ تأليف.

---

(١) قلت: أرشد السلفي هو اسم مستعار للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، وكتابه المردود عليه هو«الألباني شذوذه وأخطاؤه» .

قال الشيخ محمد إبراهيم الشيباني: حدثني الشيخ عن قصة الكتاب في منزله الكائن في جبل هملان في عمان وليس بيني وبينه وساطة، وبحضور بعض الإخوة طلبة العلم من الأردن والكويت وذلك يوم من أيام شهر شعبان ١٤٠٤هـ وقد كان الأعظمي المحدث الهندي الحنفي قد طعن في الشيخ ناصر الدين طعونًا تعدت النقد العلمي الخالص المجرد من العصبية المذهبية والحسد. ومما زاد الطين مبلة أن تعدى نقده من الألباني إلى الشيخ أحمد شاكر رحمه الله الذي لم يسلم كذلك منه، وقد رد الشيخ شاكر عليه ردًا بيَّن فيه مفترياته بالأدلة العلمية الخالية من العصبية والهمجية والحسد في المجلد رقم ١٥ من تحقيقه على المسند. =

. . . . . .

= بقي أن تعرف عزيزي القارىء لمحة من رد الشيخ ناصر الدين العلمي على حبيب الرحمن الأعظمي التي صرحت باسمه الطبعة الأخيرة ـ دار العروبة ـ حتى تتعرف علي بعض الحقائق التاريخية التي لم تنشر حتى الآن:

يقول الشيخ ناصر الدين:

«منذ سنوات قليلة ماضية ، جاء الأعظمي في زيارة إلى سورية، وكما هو معلوم لكل طالب أن سورية عامة، ودمشق خاصة، مكتظة بالعلماء وطلبة العلم من مشتغلين بالتفسير أو العربية أو الحديث أو غير ذلك.

وصل الأعظمي دمشق ، وسئل عن الشيخ الألباني وكان الشيخ وقتها في دكانه يصلح الساعات عندما جاءه رجل يخبره أن في منزله ضيفًا قدم من الهند ، فذهب له الشيخ وإذا هو الأعظمي، ثم يقول الشيخ فكان من آداب إكرام الضيف أن لا أسأله عن حاجته فمكث عند الشيخ ناصر الدين بضعة أيام بلياليهن، وطبعًا كان هذا بعد طباعته لكتابه الألباني «شذوذه وأخطاؤه».

يقول الشيخ: فثارت في نفسي بعض الدوافع والكوامن لإثارة نقاش حول الكتاب والتأكد حود ما ساوره من شكوك عن مؤلفه: ولكن كانت هناك أسباب تمنع الشيخ من ذلك:

١ ـ حق الضيافة كما ذكرنا.

٢ ـ كبر سن الأعظمي وضعف صحته.

٣ ـ عدم وجود دليل قطعي يومئذ مؤكد على أن الأعظمي هو مؤلف الكتاب لأن الكتاب طبع باسم مستعار وهو أرشد الأعظمي.

٤ ـ حسن الظن بالمسلم وخاصة أنه حل ضيفًا عليه.

وصادفت مدة انتهاء نزوله على الألباني ، إرادة الألباني الذهاب إلى حلب، فقد كان معتادًا للسفر كل شهر إلى شمال سورية لإلقاء دروس علمية ، ومحاضرات حديثة.

وكان الأعظمي حينها يريد السفر إلى حلب أيضًا، لزيارة تلميذ له اسمه عبد الوهاب الهندي كما ذكر الألباني ، فرغب الشيخ ناصر الدين في مصاحبته في السفر معه إلى حلب طالما أنه ذاهب إليها لسببين :

ـ حتى لا يشق عليه السفر ـ وحالته الصحية لا تسمح بذلك.

ـ لعل بحثا يرى حول الكتاب أو غيره من الذين يصاحبون الألباني فى سفره الشهري؟حرصًا على عدم إحراج الأعظمي من قبل الألباني لكبر سنه وضعفه، واتصل الشيخ ناصر الدين بالأستاذ محمد عيد عباسي والأستاذ على خشان، وأخبرهما برغبته في مصاحبته الأعظمي في السفر وحرصه على معرفة رأيه في بعض المسائل المنتقدة في الكتاب. وسافر القوم جميعًا في سيارة الشيخ ناصر الدين التي يسوقها هو بنفسه، وبجانبه الأعظمي، أما الأخوان المذكوران ، فجلسا في المقعد الخلفي، وحاولا طرح شيء من الأسئلة عليه رغبة منهما في فتح باب الحديث. . وبدآ بتوجيه الأسئلة إلى الشيخ الأعظمي ـوفي كل مرة يقولك اسألو الشيخ ـ يعني ناصر الدين ـ حتى إنه قال مرة: لا يفتي =

٩٠ ـ الرد علي البديع في مسألة القبض بعد الركوع ـ مخطوط ـ تأليف.

٩١ ـ الرد على رسالة التعقيب الحثيث لعبد الله الحبشي ـ مطبوع تأليف.

٩٢ ـ الرد علي رسالة العلامة الشيخ التويجري رحمه الله في بحوث من صفة الصلاة ـ مخطوط ـ تأليف.

= ومالك في المدينة، وكان الألباني يمتنع عن الإجابة هنيهة ، لكنه سرعان ما يجب تحت امتناع الأعظمي عن الإجابة ، وإصراره على السكوت . .

وعندما يجبب الألباني عن السؤال يلتفت أحد الأخوين إلى الأعظمي رغبة منهما بسماع موافقته أو معارضته ، لكنه لم يخالف في أي مسألة من المسائل التي طرحت حينئذ بل إنه كان يقول في كل مرة «صحيح».

ثم تكلم الأعظمي أخيرًا، لكن، بماذا؟ قال: إني لم آت إلى هنا للبحث والمناقشة . فالتفت ناصرالدين إلى الأخوين المذكورين وأشار إليهما: أن اتركوا الأسئلة وأوقفوا البحث ، فحدث هذا وكان ما أراده الأعظمي.

ولقول المسافة بين دمشق وحلب ، ظهرت على الشيخ الأعظمي علامات التعب والإعياء ، فما كان من الألباني إلا أن أوقف سيارته و «فرش الشيخ » للأعظمي مقعده الجالس عليه ليستريح وإن رغب في النوم نام فعل.

وعندما وصلوا حلب ، دُلَّ الأعظمي على بيت تلميذه، فنزل عنده مودعًا للألباني ورفيقيه ، وهكذا لم يجر بحث ولم يتوصلوا إلى أية نتيجة.

وأمر أخير لابد من التنبيه إليه، هو أن الأستاذ زهير الشاويش قد أرسل خطابًا للأعظمي مستفسرًا منه عن الكتاب ومؤلفه وعلاقة الأعظمي به؟ فأجاب الأعظمي بأنه لا علاقة له به! والألباني لم ينشط في الرد عليه لجهالة اسم مؤلفه واليوم يطبع الكتاب «الألباني شذوذه وأخطاؤه» مكتبة العروبة لصاحبها الدكتور خالد عبد الكريم جمعة ـ مدير معهد المخطوطا ت العربية حاليًا ـ في الكويت مع تقدمة له بالإفصاح عن اسم مؤلف الكتاب الذي كان مبهمًا غامضًا ، في السنوات السابقة! وحدثني أحد الثقات العدول في علمهم ودينهم أن هناك تعاونًا بين اثنين من أساتذة كلية الشريعة بالكويت لإخراج هذاالكتاب باسم حبيب الرحمن الأعظمي مع مراجعتهما لتجارب الكتاب ومقدمته؟ والله أعلم بخفايا الأمور وما تخفي الصدور. ويقال كذلك إن الأعظمي لا يعلم بالرد الأخير على الألباني!!

وقد رد الشيخ ناصر الدين على أرشد السلفي والكتاب لا زال مخطوطًا ولكن هناك من رد على الأعظمي من محبي الشيخ وهما الأخوان سليم الهلالي وعلى حسن، إذ أخذا كثيرًا من رد الشيخ المخطوط واستفاد منه حتى ظهر كتابهما الرد العلمي على الأعظمي بالصورة اللائقة به. والحمد لله رب العالمين. « الألباني حياته . . » . (٢/ ٦٧٩ ـ ٦٨٣).

٩٣ ـ الرد على السقاف فيما سوده على دفع شبه التشبيه ـ تأليف ـ مخطوط.

٩٤ ـ الرد على عز الدين بليق في منهاهجه ـ تأليف مخطوط.

٩٥ ـ الرد على كتاب تحرير المرأة في عصر الرسالة ـ لمحمد عبد الحليم أو شقة ـ تأليف مخطوط.

٩٦ ـ الرد على كتاب ظاهرة الإرجاء لسفر الحوالي ـ تأليف مخطوط [١]

٩٧ ـ الرد على كتاب المراجعات للمدعو عبد الحسين شرف الدين الشيعي ـ مخطوط ـ تأليف.

٩٨ ـ الرد المفحم على من خالف العلماء وتشدد وتعصب، وألزم المرأة أن تستر وجهها وكفيها وأوجب ، ولم يقنع بقولهم إنه سنة ومستحب ـ تأليف مطبوع[٢]

٩٩ ـ رفع الأستار لإبطال قول القائلين بفناء النار للصنعاني ـ تحقيق ـ مطبوع.

١٠٠ ـ رفع الآصار في ترتيب مشكل الآثار للإمام الطحاوي ـ مخطوط = تأليف = وضع الآصار رقم (٢١٧).

---

(١) وقد طبع هذا الكتاب بعد وفاة الشيخ الإمام رحمه الله وقد أعده للنشر وقدم له الشيخ علي الحلبي ـ حفظه الله ـ وجعل عنوانه

الدرر المتلالئة

بنقض

الإمام العلامة محمد ناصر الدين الألباني

المتوفى سنة (١٤٢٠هـ) رحمه الله

(فرية) موافقة المرجئة

وهي

نقداته ـ العوالي ـ وتعقباته ـ الغوالي

على «مواضع» من

كتاب «ظاهرة الإرجاء» لـ (د. سفر الحوالي!!)

(٢) قلت: طبع الكتاب بعد وفاة الشيخ رحمه الله ـ وسيأتي الحديث عنه عند التعريف بكتاب «حجاب المرأة المسلمة» .

١٠١ ـ الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير ـ مخطوط ـ تأليف.

١٠٢ ـ رياض الصالحين للإمام النووي رحمه الله ـ تخريج ـ مطبوع.

١٠٣ ـ زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض على من أوجب الصلاة على البشير النذير في التشهد الأخير، للخضيري ـ تحقيق وتعليق ـ مخطوط.

١٠٤ ـ الزوائد على الموارد [١] ـ تأليف مخطوط.

١٠٥ ـ سؤال وجواب حول فقه الواقع ـ فتوى ـ مطبوع.

١٠٦ ـ سبل السلام للصنعاني ـ تعليق ـ مخطوط.

١٠٧ ـ السفر الموجب للقصر ـ تأليف مخطوط.

١٠٨ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ـ طبع منه ستة مجلدات، والسابع قيد الطباعة، وبه ينتهي الكتاب ـ وتوجد قطعة من الثامن[٢] تأليف.

١٠٩ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، طبع منها (٧) مجلدات[٣] والكتاب أربع عشر مجلدًا ـ تأليف.

١١٠ ـ سؤالات أبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة شيوخه ـ تقديم وتحقيق ـ مخطوط.

١١١ ـ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي رحمه الله ـ تحقيق جماعة من أهل العلم منهم الشيخ محمد سعيد الطنطاوي والشيخ وهبي الغاوجي، وتقديم وتخريج

---

(١) وهو «موارد الظمأن» إلى زوائد ابن حبان » للهيثمي ـ وقد استدل عليه شيخنا عشرات الأحاديث التي فاتته ما هي على شرطه.

و«الزوائد ـ هذا مطبوع في حواشي «صحيح موارد » و«ضعيف الموارد» الأثر ذكرهما أفاده الشيخ على الحلبي.

(٢) قلت: وقد طبع المجلد السابع مع قطعة من الثامن في ثلاثة أجزاء، وذلك بعد وفاة الشيخ رحمه الله.

(٣) قلت : وقد بلغ المطبوع منه إلى الآن (١٣) مجلد.

الشيخ ناصر ـ مطبوع.

١١٢ ـ الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب ـ تحقيق.

١١٣ ـ صحيح ابن خزيمة بتحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ـ مراجعة وتعليق ـ مطبوع في (٤) مجلدات.

١١٤ ـ صحيح الأدب المفرد للبخاري ـ مطبوع ـ تأليف.

١١٥ ـ صحيح الإسراء والمعراج ـ تأليف مخطوط.

١١٦ ـ صحيح الترغيب والترهيب للمنذري وهو في (٣) مجلدات ـ مطبوع ـ تأليف.

١١٧ ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته ـ مطبوع، تأليف وقد أعاد الشيخ قبل وفاته النظر فيه بتهذيب واستدراك له، وقد أتمه ، ولما يُطبع بعد ـ تأليف.

١١٨ ـ صحيح سنن ابن ماجة ـ مطبوع ـ تأليف.

١١٩ ـ صحيح سنن أبي داود ـ مطبوع ـ تأليف.

١٢٠ ـ صحيح سنن أبي داود (الموسع) ـ تأليف ـ مخطوط [١] .

١٢١ ـ صحيح سنن الترمذي ـ مطبو ع ـ تأليف.

١٢٢ ـ صحيح سنن النسائي ـ مطبوع تأليف.

١٢٣ ـ صحيح السيرة النبوية ـ منتقاة من السيرة النبوية لابن كثير ـ ولم يتمه ، وقد طبع بعد وفاته ـ تأليف.

١٢٤ ـ صحيح كشف الأستار عن زوائد البزار ـ للهيثمي ـ مخطوط.

١٢٥ ـ صحيح الكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ مطبوع ـ تأليف.

---

(١) **وقد طبع بعد وفاة الشيخ الإمام رحمه الله ـ بمعرفة** مكتبة غراس بالكويت، ويقع في أحد عشر **مجلداً ثمانية منها لصحيح سنن أبي داود ، ومجلدين** لضعيف سنن أبي داود. ومجلد للفهارس.

١٢٦ ـ صحيح موارد الظمأن ـ تأليف.

١٢٧ ـ الصراط المستقيم رسالة فيما قرره الثقات الأثبات في ليلة النصف من شعبان لبعض علماء الأزهر ـ تخريج ـ مطبوع.

١٢٨ ـ صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها ـ مطبوع ـ تأليف.

١٢٩ ـ صفة صلاة الكسوف وما ورد فيها من الآيات ـ مخطوط تأليف [١].

١٣٠ ـ صفة الفتوى والمفتي والمستفتي للشيخ ابن حمدان الحنبلي ـ تحقيق وتعليق وتخريج ـ مطبوع.

١٣١ ـ صلاة الاستسقاء ـ تأليف ـ مخطوط.

١٣٢ ـ صلاة التراويح ـ مطبوع ـ تأليف.

١٣٣ ـ صلاة العيدين في المصلى خارج البلد هي السنة ـ مطبوع ـ تأليف.

١٣٤ ـ صوت الطبيعة ينادي بعظمة الله ، لعبد الفتاح الإمام ـ تخريج .

١٣٥ ـ صوت العرب تسأل ومحمد ناصر الدين يجيب ـ جريدة صوت العرب سنة ١٣٨٠ هـ .

١٣٦ ـ صيد الخاطر ـ تخريج.

١٣٧ ـ ضعيف الأدب المفرد للبخاري ـ مطبوع ـ تأليف.

١٣٨ ـ ضعيف الترغيب والترهيب للمنذري ـ مطبوع [٢] ـ تأليف.

١٣٩ ـ ضعيف الجامع الصغير في ثلاثة أجزاء ـ مطبوع ـ تأليف.

١٤٠ ـ ضعيف سنن ابن ماجه ـ مطبوع تأليف.

---

(١) وقد طبع بعد وفاة اشيخ الإمام رحمه الله.

(٢) طبع في مجلدين . بمعرفة دار المعارف بالرياض.

١٤١ ـ ضعيف سنن أبي داود ـ مطبوع ـ تأليف.

١٤٢ ـ ضعيف سنن أبي داود (الموسع) لم يتم ـ مخطوط ـ تأليف.

١٤٣ ـ ضعيف سنن الترمذي ـ مطبوع ـ تأليف.

١٤٤ ـ ضعيف سنن النسائي ـ مطبوع ـ تأليف.

١٤٥ ـ ضعيف كشف الأستار عن زوائد البزار، للهيثمي ـ مخطوط.

١٤٦ ـ ضعيف موارد الظمأن ـ تأليف ، مخظوظ.

١٤٧ ـ ظلال الجنة في تخريج السنة ـ تأليف ـ مطبوع.

١٤٨ ـ العقيدة الطحاوية شرح وتعليق وتخريج ـ مطبوع.

١٤٩ ـ العلم، لأبن أبي خيثمة ـ تحقيق وتخريج ـ مطبوع.

١٥٠ ـ عودة إلى السنة وهي سلسلة مقالات نشرت في مجلة (المسلمون) تأليف ـ مخطوط.

١٥١ ـ غاية الآمال بتضعيف حديث الأعمال والرد على الغماري بصحيح المقال ـ تأليف ـ مخطوط.

١٥٢ ـ غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام للقرضاوي ـ مطبوع ـ تأليف.

١٥٣ ـ فتنة التكفير ـ فتوى(١) .

١٥٤ ـ ـ فتوى في حكم تتبع آثار الأنبياء والصالحين ـ تأليف.

١٥٥ ـ فضائل الشام ودمشق للحافظ الربعي ـ تحقيق ـ وتخريج مطبوع.

١٥٦ ـ فضل الصلاة على النبي ﷺ للقاضي إسماعيل بن إسحاق الجهضمي ـ تحقيق وتخريج ـ مطبوع.

---

(١) وهذه الفتوى أوردها الشيخ على الحلبي في كتابه الماتع «التحذير من فتنة التكفير».

١٥٧ ـ فقه السيرة للغزالي ـ تخريج ـ مطبوع [١] .

١٥٨ ـ فهرس أحاديث كتاب التاريخ الكبير للبخاري ـ إعداد ـ مخطوط.

١٥٩ ـ فهرس أحاديث كتاب الشريعة للآجُرّي ـ مخطوط ـ تأليف.

١٦٠ ـ فهرس أسماء الصحابة الذين أسندوا الأحاديث في معجم الطبراني الأوسط ـ إعداد ـ مخطوط.

١٦١ ـ فهرس المخطوطات الحديثية في مكتبة الأوقاف الحلبية ـ تأليف.

١٦٢ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية وهو (المنتخب من مخطوطات الحديث) من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ تأليف.

١٦٣ ـ فهرس لمسانيد الصحابة لمسند الإمام أحمد ـ تأليف ـ طبع في مقدمة المسند.

١٦٤ ـ الفهرس الشامل لأحاديث وآثار كتاب الكامل ، لابن عدي ـ إعداد ـ مخطوط.

١٦٥ ـ الفهرس المنتخب من مكتبة خزانة ابن يوسف مراكش ـ إعداد ـ مخطوط.

١٦٦ ـ فهرس كتاب الكواكب الدراري لابن عروة الحنبلي ـ إعداد ـ مخطوط.

١٦٧ ـ القائد إلى تصحيح العقائد، للمعلمي اليماني ـ تعليق ـ مطبوع.

١٦٨ ـ قاموس البدع ـ تأليف.

١٦٩ ـ قاموس الصناعات الشامية، لمحمد سعيد القاسمي ـ تخريج ، مشاركة مع الشيخ محمد بهجت البيطار ـ رحمه الله.

١٧٠ ـ قصة نزول عيسى ـ عليه السلام ـ وقتله الدجال ـ تأليف ـ مخطوط[٢]

---

(١) وقد حذف الشيخ الغزالي ـ غفر الله له ـ مقدمة شيخنا الإمام ـ التي في الطبعة الرابعة ـ من الطبعات التالية لها، فحرم قراءه من مادة علمية قوية، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) وقد طبع بعد وفاة الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ قال الشيخ على الحلبي: وقد اهتم به شيخنا ـ في الأشهر الأخيرة من حياته ـ اهتمامًا خاصًا، فكثيرًا ما كنت أراه بين يديه، يراجعه ، ويضيف إليه، وينقّح فيه.

١٧١ ـ قيام رمضان ، ومعه بحث قيم عن الاعتكاف ـ مطبوع ـ تأليف.

١٧٢ ـ كشف النقاب عما في كلمات أبي غدة من الأباطيل والافتراءات ـ مطبوع ـ تأليف.

١٧٣ ـ كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب الحنبلي ـ تخريج ـ مطبوع.

١٧٤ ـ الكلم الطيب لابن تيمية ـ تحقيق وتخريج ـ مطبوع.

١٧٥ ـ كيف يجب أن نفسر القرآن ـ تأليف ـ مخطوط .

١٧٦ ـ لفتة الكبد إلى نصيحة الولد لابن الجوزي ـ تحقيق وتخريج مشاركة مع محمود مهدي استانبولي ـ مطبوع.

١٧٧ ـ اللحية في نظر الدين ـ مطبوع ـ تأليف.

١٧٨ ـ ما دل عليه القرآن مما يَعضُدُ الهيئة القويمة البرهان لمحمود شكري الآلوسي ـ تحقيق الشيخ زهير وتخريج الشيخ ناصر ـ مطبوع.

١٧٩ ـ مجموع الفتاوى ـ وهي الفتاوى التي أجاب عنها في مجالسه العلمية والمسجلة، وتقوم مكتبة المعارف بالرياض بنشرها[١] .

١٨٠ ـ المحو والإثبات الذي يدعي به في ليلة النصف من شعبان ـ تأليف ـ مخطوط[٢] .

١٨٢ ـ مختصر تحفة المودود لابن القيم ـ اختصار وتخريج ـ مخطوط.

١٨٢ ـ مختصر تعليق الشيخ محمد كنعنان ـ مخطوط .

١٨٣ ـ مختصر التوسل ـ تأليف ـ مخطوط.

١٨٤ ـ مختصر الشمائل المحمدية ـ اختصار وتحقيق ـ مطبوع.

١٨٥ ـ مختصر صحيح البخاري (١ ـ ٤) مطبوع ـ اختصار وتعليق.

---

(١) قال الشيخ علي الحلبي: تحت الطبع منها ثمانية مجلدات، ويقدر أن تقع في نحو ثلاثين مجلداً تقريبًا.

(٢) قال الشيخ علي الحلبي: وله اسم آخر ، وهو «فتح الودود في الرد على من زعم ثبوت لفظة : «أم الكتاب » في حديث ابن مسعود».

١٨٦ ـ مختصر صحيح مسلم في أربعة أجزاء ـ مخطوط ـ تأليف.

١٨٧ ـ مختصر صحيح مسلم للمنذري ـ تحقيق وتعليق ـ مطبوع .

١٨٨ ـ مختصر كتاب العلو للعلي الغفار للحافظ الذهبي ـ مطبوع ـ تأليف.

١٨٩ ـ مذكرات الرحلة إلى مصر ـ تأليف ـ مخطوط.

١٩٠ ـ المرأة المسلمة للشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ تخريج ـ مطبوع.

١٩١ ـ المستدرك على المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ـ تأليف ـ مخطوط.

١٩٢ ـ مسائل غلام الخلال التي خالف فيها الخرقي ـ تعليق .

١٩٣ ـ مساجلة علمية بين الإمامين ابن عبد السلام وابن الصلاح حول صلاة الرغائب المبتدعة بالاشتراك مع محمد زهير الشاويش ـ تحقيق وتخريج ـ مطبوع.

١٩٤ ـ مساوئ الأخلاق للخرائطي ـ تحقيق وتخريج ـ مخطوط.

١٩٥ ـ المسح على الجوربين والنعلين لجمال الدين القاسمي، وله ذيل باسم (تمام النصح في أحكام المسح) ـ تأليف وتذييل ـ مطبوع.

١٩٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ـ تحقيق وتخريج في ٣مجلدات ـ مطبوع.

١٩٧ ـ المصطلحات الأربعة في القرآن للمودودي ـ تخريج ـ مطبوع.

١٩٨ ـ مع الأستاذ الطنطاوي ـ تأليف.

١٩٩ ـ معالم التنزيل للبغوي ـ تخريج ـ مخطوط.

٢٠٠ ـ معجم الحديث ـ وهو مجموعة من المختارات الحديثية جمعها الشيخ من مخطوطات المكتبة الظاهرية وغيرها ويقع في نحو أربعين مجلدًا ـ وهو مخطوط ـ تأليف.

٢٠١ ـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، للحافظ العراقي ـ تعليق وتخريج ـ مخطوط.

٢٠٢ ـ مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السلف ـ مطبوع ـ تأليف.

٢٠٣ ـ المناظرات والردود ـ تأليف ـ مخطوط [١] .

٢٠٤ ـ المناظرة بين الشيخ الألباني والشيخ الزمزمي ـ نسخها عبد الصمد البقالي ـ مخطوط.

٢٠٥ ـ مناظرة كتابية مع طائفة من أتباع الطائفة القاديانية ، وعلى رأسهم رئيسهم يومئذ بدمشق نور أحمد الباكستاني ـ تأليف ـ مخطوط.

٢٠٦ ـ مناظرة مع عبد الله الحبشي ـ مخطوط.

٢٠٧ ـ مناقب الشام وأهله، لابن تيمية ـ تخريج.

٢٠٨ ـ منتخبات من فهرس المكتبة البريطانية ـ إعداد ـ مخطوط.

٢٠٩ ـ المنتخب من مخطوطات الحديث في المكتبة الظاهرية ـ تأليف ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية رقم (١٦١).

٢١٠ ـ منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يُستغنى عنها بالقرآن ـ مطبوع ـ تأليف .

٢١١ ـ موارد السيوطي في الجامع الصغير ـ تأليف ـ مخطوط.

٢١٢ ـ نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، لابن حجر ـ تعليق وتحقيق ـ لم يتم.

٢١٣ ـ نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق ـ مطبوع ـ تأليف.

٢١٤ ـ نقد كتاب التاج الجامع للأصول ـ الجزء الأول ـ للشيخ منصور ناصيف ـ مخطوط ـ تأليف.

٢١٥ ـ النصيحة بالتحذير من تخريب ابن عبد المنان لكتب الأئمة الرجحية وتضعيفه لمئات الأحاديث الصحيحة ـ تأليف ـ مطبوع ـ دار ابن عفان للنشر والتوزيع.

٢١٦ ـ نقد نصوص حديثية في الثقافة العامة للشيخ محمد المنتصر الكتابي ـ مطبوع ـ تأليف.

٢١٧ ـ هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة ، لابن حجر ـ تخريج.

---

(١) مثل مناظراته مع المهدي ـ المزعوم ـ وجميل لويس النصراني . . . وغيرهما: قاله على الحلبي.

حياته ـ دعوته ـ جهوده في خدمة السنة ـــــــ

التعريف ببعض مؤلفات الشيخ الإمام رحمه الله[١]

أولاً: الأعمال المؤلفة

صفة صلاة النبي ﷺ

من التكبير إلى التسليم كأنك تراها

يعد هذا الكتاب اختصاراً للكتاب الأصلي (صفة صلاة النبي ﷺ) الكبير الذي يقع في (٥٠٠) صفحة من القطع الكبير، ويعد هذا الكتاب من الكتب الجامعة النافعة في بابه، وقد سلك الشيخ ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب المنهج التالي:

١ ـ تتبع الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع من مختلف كتب الأحاديث.

٢ ـ اشترط على نفسه أن لا يورد فيه من الأحاديث النبوية إلا ما ثبت سنده عنده، حسب قواعد الحديث وأصوله، وترك منها ما لم يصح عنده، أو فيه مجهول أو ضعيف.

٣ ـ أورد متون الأحاديث فيه أو الجمل اللازمة منها، ووضعها في مكانها اللائق بها مؤلفًا بينها، بحيث يبقى الكتاب مسنجماً مع بعضه بعضًا.

٤ ـ حرص الشيخ رحمه الله على المحافظة على نص الحديث ولفظه الذي ورد في كتب السنة، ويختار منها لفظاً معينًا لفائدة التأليف، ويضم إليها غيرها من الألفاظ، ولكنه نبه على ذلك فيقول: وفي لفظ كذا وكذا، وفي رواية كذا وكذا، ولا يبين من رواها من الصحابة، أو من أخرجها من أصحاب المصنفات، وسبب ذلك أنه بين ذلك في كتابه الكبير (صفة صلاة النبي ﷺ).

٥ ـ لم يتقيد ـ رحمه الله ـ في كتابه هذا بمذهب معين؛ لأن قصده منه هو بيان هدي النبي ﷺ في الصلاة، وإنما أورد فيه ما ثبت عن النبي ﷺ.

---

(١) استفدت في هذا الفصل كثيرًا من كتاب «حياة الألباني وآثاره» للشيباني، وكتاب «محمد ناصر الدين الألباني محدث العصر» لإبراهيم العلي.

٦ ـ جمع شتات ما في كتب الحديث والفقه على اختلاف المذاهب مما له علاقة بهذا الموضوع.

هذا وقد طبع هذا الكتاب أكثر من تسع طبعات في كل طبعة زيادات وتنقيحات لا تخلو عن سابقاتها من الطبعات.

تلخيص صفة صلاة النبي ﷺ :

لقد طلب أحد الأفاضل من الشيخ ناصر أن يقوم بتلخيص كتاب «صفة صلاة النبي ﷺ » واختصاره وتقريب عبارته إلى عامة الناس.

يقول : «ولما رأيته اقتراحًا مباركًا، وكان موافقًا لما كان يجول في نفسي من زمن بعيد، وطالما سمعت مثله من أخٍ صديق فشجعني ذلك على أن أقتطع له قليلاً من وقتي المزدحم بكثير من الأعمال العلمية، فبادرت إلى تحقيق ما اقترحه حسب طاقتي وجهدي، سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن يجعله خالصًا لوجهه، وينفع به إخواني المسلمين».

وقد أورد فيه بعض الفوائد الزائدة على «الصفة » التي تنبه لها، واستحسن ذكرها في أثناء التلخيص ، كما عني عناية خاصة بشرح بعض الألفاظ الواردة في بعض الجمل الحديثية أو الأذكار.

أحكام الجنائز وبدعها

كان سبب تأليف هذه الرسالة أن شخصًا عزيزًا على الشيخ طلب منه تأليف رسالة مختصرة في «آداب الجنائز في الإسلام» بمناسبة وفاة إحدى قريباته ليقوم هو وغيره بطبعها وتوزيعها على المجتمعين للتعزية في أيامها المعتادة ، ومغتنمًا فرصة اجتماعهم لتعريفهم بسنة نبيهم، حتى يستنوا بها، ويهتدوا بهديها ويستنيروا بنورها . وقد وعده الشيخ خيرًا، لما في ذلك من التعاون في إحياء السنة وإماتة البدعة، فسارع إلى تحقيق رغبة الأخ وإنجاز طلبه، فكلف ذلك الأمر الشيخ الوقت الطويل وليس كما شاء الأخ ذلك من السرعة ، فبدأ أولاً في دراسة مفردات مسائل الجنائز دراسة دقيقة فاحصة، وتتبع الأدلة المختلف عليها منها، ونقدها على ضوء علمي «أصول الحديث» و« أصول الفقه» واختيار الراجح منها، دون أي تحيز لمذهب معين أو تأثر بعادة سيطرت حتى صارت كأنها دين يجب أن يتبع.

وقد قام بترتيب الكتاب على النحو التالي:

١ ـ ما يجب على المريض من الرضا بالقضاء ، والصبر على القدر، وترك تمني الموت، وأداء الحقوق ، والوصية والإشهاد عليها.

٢ ـ تلقين المحتضر ، وما على من حضرة من التلقين ، وأمره بالشهادة ، وتغطيته ، والتعجيل بتجهيزه، والمبادرة إلى قضاء دينه.

٣ ـ ما يجوز للحاضرين وغيرهم من كشف وجهه وتقبيله والبكاء عليه دون رفع صوت بالبكاء.

٤ ـ ما يجب على أقارب الميت من الصبر والرضا بالقدر والاسترجاع، وحداد المرأة على زوجها.

٥ ـ ما يحرم عليهم من النياحة وضرب الخدود وشق الجيوب وغير ذلك كنعيه على المنائر.

٦ ـ النعي الجائز.

٧ ـ علامات حسن الخاتمة.

٨ ـ ثناء الناس على الميت.

٩ ـ غسل الميت ، والدفن ، وزيارة القبور.

١٠ ـ وختمه بفصل خاص ببدع الجنائز استوعب فيه جميع ما وقف عليه من البدع المنصوص عليها في كتب أهل العلم قديمًا وحديثًا ،عازيًا كل بدعة إلى موضعها من كتبهم.

ويعد الكتاب من أجمع الكتب في هذا الباب، وأغزرها فوائد علمية، سلك فيه الشيخ ـ رحمه الله ـ طريقته المعروفة في التخريج ، والتماس الشواهد للأحاديث ، والحكم عليها بما يقتضيه علم المصطلح صحة وضعفًا ، وقد طبع الكتاب طبعات متعددة ويقع في (٢٧٨) صفحة من القطع الكبير وقد كانت أولى طبعاته سنة ١٩٦٩م عن المكتب الإسلامي في دمشق.

تلخيص أحكام الجنائز لمحمد ناصر الدين الألباني:

يقول الشيخ:

. . . أما بعد فقد اقتضت مصلحة تيسير المراجعة لأحكام الجنائز أن ألخصها وأقرب أحكامها لمن شاء الرجوع إليها، وأخذ فكرة عامة سريعة عنها، وبخاصة عند حلول المناسبة، مثل وفاة قريب أو حبيب لديه، فإنه مما لا يخفى أن الرجوع إلى كتابي (أحكام الجنائز وبدعها) وقراءته كله ، والإحاطة بما فيه من الأحكام اللازمة في مثل هذه الحالة مما لا يتيسر إلا لأقل الناس؛ لذلك رأيت أن ألخصه وأقرب إلى عامة القراء فوائده، وبذلك أكون قد حققت رغبة ذلك الأخ العزيز الذي كان السبب المباشر لتأليف «الأحكام» كما كنت ذكرت ذلك في المقدمة، وهي رغبة يشاركه فيها كثيرون من محبي السنة النبوية، والحريصين على إحيائها. . .

واعلم أيها القارئ الكريم:

أنني في هذا «التلخيص» قد حذفت تخريج الأحاديث اكتفاء بالأصل، والتزمنا فيها الصحة كما هي عادتنا في كل مؤلفاتنا والحمد لله دائمًا وأبدًا، كما حذفت شيئًا من بعض متونه، وكثيرًا من التعليقات التي لم تكن في الأصل.

* * *

آداب الزفاف في السنة المطهرة

يُعدُّ هذا الكتاب من الكتب الجامعة في هذا الباب على صغر حجمه؛ لأن الشيخ الإمام رحمه الله قد جمع فيه أهم الأحاديث الصحيحة والحسنة في آداب الزفاف، التي غفل عنها أو نسيها الكثير من المسلمين حتى المتعبدين منهم، فقام الشيخ بجمعها وبيانها لكي يكون المسلم الذي يهتدي بها على بصيرة من دينه ، وثقة من أمره، وحتى يبارك الله زواجه وبختم له بالسعادة لابتدائه حياته الزوجية باتباع السنة.

وقد حدث الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ عن سبب تأليف هذا الكتاب فقال:

«فقد كان الباعث على تأليف هذه الرسالة وإخراجها للناس لأول مرة، تحقيق رغبة أخينا في الله تبارك وتعالى الأستاذ عبد الرحمن الباني فإنه ـ جزاه الله خيرًا ـ اقترح تأليفها بمناسبة بنائه على زوجته ففعلتُ ، ثم قام هو بطبعها على نفقته ، ووزعها مجانًا في حفلة زفافه مكان ما جرى الناس عليه من توزيع السكاكر والحلويات وغيرها مما لا يبقى أثره، ولا يدوم نفعه...».

وقد قام الشيخ ـ رحمه الله ـ بترتيب هذه الآداب ابتداءً من ملاطفة الزوجة قبل الدخول بها إلى وضع اليد على الرأس والدعاء لها، وصلاة الزوجين معًا، وتناول بعض المرطبات ، وما يقول من دعاء حين يجامعها وآداب إتيان الزوجة، وآداب الوضوء والغسل، ووليمة الزواج، وآداب العشرة، وعدم إفشاء سر الزوج بنشره، وغير ذلك من الآداب التي أهملها الناس، وقد قام الشيخ رحمه الله بتخريج الأحاديث التي ذكرها والحكم عليها صحة وضعفًا وفقًا لما تقتضيه قواعد المصطلح.

وقد طبع الكتاب أكثر من مرة ، ومصدرًا، بمقدمة الأديب البارع السيد محب الدين الخطيب ـ رحمه الله تعالى ـ وهي مقدمة علمية توزن بماء الذهب لعذوبة أسلوبها وسلاسة كلماتها.

يقول الأستاذ محب الدين الخطيب : «الحمد لله رب العالمين، ولا رب لهم غيره، ولا يطاع في السر والعلن سواه ، وصلى الله على معلم الناس الخير محمد هادي الإنسانية إلى سنة الحق وعلى آله وصحبه وسلم».

وبعد فإن جماهير المسلمين لا يزالون في مثل عقول الأطفال: يلهيهم ما يلهي الأطفال ويصرفهم عن مناهج الخير وأهداف الحق كل ما يصرف الأطفال من ألاعيب وتوافه وأوهام حتى يتحروا سنة الإسلام في الاعتدال ، وهدايته في التحرر من كل ما استعبدوا له من الملاهي والسفاسف والزخارف والشهوات ، وحينئذ يرجعون إلى ربهم، فيحفظ لهم عقولهم، ويبارك لهم في أوقاتهم وأعمالهم وجهودهم ، ويدخر لهم ثروتهم وأسباب قوتهم ،فيستعلمونها فيما ينفعهم ويكون به عزهم ويعلو به سلطانهم.

وتحري سنة الإسلام في الاعتدال ، والانتفاع بهدايته في التحرر من السفاسف التي صار المسلمون مستعبدين لها منذ أكثر من ألف سنة، يتوقف على أمرين:

أحدهما: إخلاص العلماء العاملين الذين يبينون للأمة سنن دينها في كل ناحية من النواحي التي تتناولها رسالة الإسلام.

الثاني: ازدياد عدد المسلمين الذين يوطنون أنفسهم في ترديد ذلك البيان العلمي بالعمل به حتى يتلقاه عنهم بالقدوة من لا يتيسر لهم تلقيه بالدرس والتعلم.

وهذه الرسالة اللطيفة نموذج لناحية من النواحي تناولها رسالة الإسلام بالسنة الصحيحة عن معلم الناس الخير ﷺ في حفلات الزفاف وآدابه وولائمه، وهي الناحية التي أسرف فيها المسلمون بالبعد عن سنن الإسلام حتى أوغلوا لا في الجاهلية الأولى التي امتازت ـ في هذه الناحية بفطرة العروبة وتحررها من بذخ المترفين ، بل في الجاهلية الطارئة التي تشبهت فيها كل بالطبقة التي سبقتها إلى النار، حتى أصبحت أعباء الزواج وتكاليفه فوق طاقة الناس فكادوا ينصرفون عنه ـ وهو في نفسه من سنة الإسلام ؛لأنهم انصرفوا فيه عن سنن الإسلام، فأوقعهم ذلك في شر أنواع الجاهلية.

وبعد أن تهيأت لهذه المناسبة التي عنيت موضوعها ، تهيأ لها مؤلف من دعاة السنة الذين وقفوا حياتهم على العمل لإحيائها ، وهو أخونا بالغيب الشيخ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين نوح نجاتي الألباني، فوضع بين أيدي المسلمين النصوص الصحيحة والحسنة من سنة رسول الله ﷺ في آداب الزفاف وحبذا لو كان قد اتسع له الوقت وواتته الأسباب فاستقصى كل ما ورد من ذلك في الحياة الزوجية وآداب البيت وما ينبغي أن تكون

عليه الأسرة الإسلامية. ولكن ظهور الـهلال في ليلته الأولى، قد يشعر بما يليق من مطالع صفحات القمر حتى يكون بدرًا كاملاً.

وكما تهيأ لهذه الرسالة موضوعها والمؤلف الذي يستوفيه، تهيأ لها كذلك المسلم الأول والمسلمة الأولى الـلذان آليا أن يكون قدوة للمـسلمين في الاعتـدال والتحرر من العـبودية للسفـاسف والملاهي وتوافه العادات عندمـا استخار الله فـخار لهما أن يـبنيا المسلم الطاهر والأسرة الإسلامية المتحررة من تقاليد الجاهلية الأجنبية عنا والطارئة علينا.

فأرجو الله عز وجل أن يأخذ بيد أخي المؤمن المجاهد الأسـتاذ السيد أبي عبد الرحمن الألباني في جمع مراحل حياته يحقق له آماله ملتزمًا سنة الإسلام في ذلك ما استطاع».

قلت : وقد ذهب الشيخ ـ رحمه الله ـ في كتابه هذا إلى تحريم الذهب المحلق على النساء، وذكـر الأحاديث الدالة على ذلك، وخالـفه الشيخ ابن باز ـ رحـمه الله ـ في هذه المسألة، وقد رد الشيخ ابن باز على الشيخ الألباني بأسلوب يحتذى به في أداب الحوار.

فقد ورد سـؤال للشيخ ابن باز يقول: إن بعض النسوة عندنا تشككن وارتبن من فتوى العلامة محمد ناصر الدين الألباني محـدث الديار الشامية في كتابه آداب الزفاف نحو تحريم لبس الذهب المحلق عمومًا، هناك نسوة امتنعن بالفعل عن لبسه فوصفن النساء اللابسات له بالضلال والإضـلال فمـا قول سمـاحتكم في حكـم لبس الذهب المحلق خصـوصًا وذلك لحاجتنا الماسة إلى دليلكم وفتواكم بعد مـا استفحل الأمر وزاد وغفر الله لكم وزادكم بسطة في العلم.

فأجاب رحمه الله: يحل لبس النساء للذهب محلقًا وغيـر محلق لعموم قوله تعالى: ﴿ أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف: ١٨].

حيث ذكر سبحانه أن الحلية من صفات النساء وهي عامة في الذهب وغيره.

ولما رواه أحمـد وأبو داود والنسـائي بسند جيـد عن أميـر المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ حـريرًا فجعله في يمينه وأخـذ ذهبًا فجعله في شـماله ثم قال: «**إن هذين حرام على ذكور أمتي**» زاد ابن ماجه في روايته : «**حل لإناثهم**».

حياته ـ دعوته ـ جهوده في خدمة السنة ـــــــ

وقال أيضًا ج ٦ ص ٤٠ « أجمع المسلمون على أنه يجوز للنساء لبس أنواع الحلي من الفضة والذهب جميعًا كالطوق والعقد والخاتم والسوار والخلخال والدمالج والقلائد والمخانق وكل ما يتخذ في العنق وغيره وكل ما يعتدن لبسه ولا خلاف في شيء من هذا » ا. هـ.

وقال في شرح صحيح مسلم في باب تحريم الذهب على الرجال ونسخ ما كان من إباحته في أول الإسلام، أجمع المسلمون على إباحة خاتم الذهب للنساء» ا. هـ.

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في شرح حديث البراء «نهانا النبي ﷺ عن سبع نهى عن خاتم الذهب» الحديث قال ج ١٠ ص ٣١٧ نهى النبي ﷺ عن خاتم الذهب أو التختم به مختص بالرجال . دون النساء فقد نقل الإجماع على إباحته للنساء» ا. هـ.

ويدل أيضًا على حل الذهب للنساء مطلقًا محلقًا وغير محلق مع الحديثين السابقين ومع ما ذكره الأئمة المذكورون آنفًا من إجماع أهل العلم على ذلك للأحاديث الآتية:

ما رواه أبو داود والنسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة أتت النبي ﷺ ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب فقال لهما: أتعطين زكاة هذا؟ قلت: لا قال: أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟ ! فخلعتهما فألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت: هما لله ولرسوله » فأوضح لها النبي ﷺ وجوب الزكاة في المسكتين المذكورتين ولم ينكر عليها لبس ابنتها لهما فدل على حل ذلك وهما محلقتان والحديث صحيح وإسناده جيد كما نبه عليه الحافظ في البلوغ.

ما جاء في سنن أبي داود بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدمت على النبي ﷺ حلية من عند النجاشي أهداها له فيها خاتم من ذهب فيه فص حبشي قالت: فأخذه رسول الله ﷺ بعود معرضًا عنه أو ببعض أصابه ثم دعا أمامة ابنة أبي العاص ابنة ابنته زينب فقال «تحلي بهذه يا بنية» فقد أعطى ﷺ أمامة خاتمًا وهو حلقة من الذهب وقال تحلي فدل على حل الذهب المحلق أيضًا.

ما رواه أبو داود والدارقطني وصححه الحاكم كما في بلوغ المرام عن أم سلمة رضي الله عنها أنها كانت تلبس أوضاحًا من ذهب فقالت: يارسول الله أكنز هو؟ قال: « **إذا أديت زكاته فليس بكنز** » ا. هـ.

وأما الأحاديث التي ظاهرها النهي عن لبس الذهب للنساء فهي شاذة مخالفة لما هو أصح منها وأثبت وقد قرر أئمة الحديث أن ما جاء من الأحاديث بأسانيد جيدة لكنها مخالفة لأحاديث أصح منها ولم يمكن الجمع ولم يعرف التاريخ فإنها تعتبر شاذة لا يعول عليها ولا يعمل بها قال الحافظ العراقي رحمه الله في الألفية:

وذو الشذوذ ما يخالف الثقة فيه الملا فالشافعي حققه

وقال الحافظ ابن حجر في النخبة ما نصه:

فإن خولف بأرجح فالراجح : المحفوظ ومقابله الشاذ ا. هـ.

كما ذكروا أن شرط الحديث الصحيح الذي يعمل به ألا يكون شاذًا ولا شك أن الأحاديث المروية في تحريم الذهب على النساء على تسليم سلامة أسانيدها من العلل لا يمكن الجمع بينها وبين الأحاديث الصحيحة الدالة على حل الذهب للإناث ولم يعرف التاريخ فوجب الحكم عليها بالشذوذ وعدم الصحة عملاً بهذه القاعدة الشرعية المعتبرة عند أهل العلم، وما ذكره أخونا في الله العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في كتابه آداب الزفاف من الجمع بينها وبين أحاديث الحل بحمل أحاديث التحريم على المحلق وأحاديث الحل على غيره غير صحيح وغير مطابق لما جاءت به الأحاديث الصحيحة الدالة على الحل ؛لأن فيها حل الخاتم وهو محلق وحل الأسورة وهي محلقة فاتضح بذلك ما ذكرنا ولأن الأحاديث الدالة على الحل مطلقة غير مقيدة فوجب الأخذ بها لإطلاقها وصحة أسانيدها وقد تأيدت بما حكاه جماعة من أهل العلم من الإجماع على نسخ الأحاديث الدالة على التحريم كما نقلنا أقوالهم آنفًا وهذا هو الحق بلا ريب وبذلك تزول الشبهة ويتضح الحكم الشرعي الذي لا ريب فيه بحل الذهب لإناث الأمة وتحريمه على الذكور والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[1].

---

(١) «فتاوى وتنبيهات ونصائح» لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (ص ٥٥٨ ـ ٥٦٣) ط مكتبة السنة بمصر.

حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة

يعد هذا الكتاب من الكتب الجامعة والنافعة في بابه ، وقد قسمه الشيخ ـ رحمه الله ـ وفقًا لما تتبعه من الآيات القرآنية، والسنة النبوية الصحيحة ، وآثار السلف، وقد استنتج من الشروط للحجاب الإسلامي للمرأة المسلمة الشروط التالية:

١ ـ استيعاب جميع البدن إلا ما استثنى.

٢ ـ ألا يكون زينة في نفسه.

٣ ـ أن يكون صفيقًا لا يشف.

٤ ـ أن يكون فضفاضًا غير ضيق.

٥ ـ ألا يكون مبخرًا مطيبًا.

٧ ـ ألا يشبه لباس الكافرات.

٨ ـ ألا يكون لباس شهرة.

وقد قام بشرح هذه الشروط شرحًا وافيا أثري فيه هذه المسائل ببحث علمي رصين.

وقد قرر الشيخ من هذا الكتاب أن وجه المرأة ليس عورة ، وأنه لا يجب عليها ستره ولكن إذا سترت المرأة وجهها فإن هذا يعد من محاسن الأمور، ومكارم الأخلاق ، وتكون بذلك مقتدية بالسناء الفضليات من السلف الصالح، وبأمهات المؤمنين رضي الله عنهن .

يقول الشيخ:

ولقد علمت أن كتابنا هذا، كان له الأثر الطيب ـ والحمد لله ـ عند الفتيات المؤمنات، والزوجات المحصنات ، فقد استجابت لما تضمنه من الشروط الواجب توفرها من جلباب المرأة المسلمة كثيرات منهن، وفيهن من بادرت إلى ستر وجهها أيضًا ، حين علمت منه أن ذلك من محاسن الأمور، ومكارم الأخلاق، مقتديات فيه بالنساء الفضيلات من السلف الصالح، وفيهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

ومع ذلك فإن بعض أهل العلم وطلابه ، لاسيما المقلدون منهم فإنهم مع إعجابهم بالكتاب وأسلوبه العلمي، وقوة حجته ونصاعة برهانه ـ لم يرقهم ما جاء فيه من التصريح بأن وجه المرأة ليس بعورة، وقد كتب إلي بذلك أحد الأساتذة في المدارس الثانوية، وشافهني به آخرون هنا في سورية ، وفي الحجاز أيضًا. وهؤلاء فريقان:

الأول: من لا يزال يرى أن الوجه عورة، وليس ذلك عن دراسة الأدلة الشرعية وتتبعها من مصادرها الأصلية ، وإنما تقليدًا لمذهبه الذي نشأ عليه، أو البيئة التي عاش فيها، وفيها بعض المتحمسين لذلك أشد الحماسة بحسن نية وعاطفة إسلامية، وغيرة دينية. وقد جلست إلى أحد هؤلاء الفضلاء جلسة دامت ساعات تباحثنا فيها حول المسألة، وكان ذلك بطلب مني ، لعلى أجد عنده ، ما يؤيد رأيه، فلم أحظ بشيء من ذلك ، وكل الذي سمعته منه، إنما هي شبهات عرضت له على بعض أدلة الكتاب ، صدته عن الاقتناع بها، وتبني لازمها. فأجبته ليلتئذ عن شبهاته بما يسر الله. ثم فكرت بعد ذلك في المسألة مرة أخرى ، وأجلت النظر في أدلتها ، وما وردتي من شبهات حولها، فازددت بذلك إقتناعًا بصواب رأيي، وخطأ الرأي المخالف به، كيف لا، ورأينا ما ذهب إليه جماهير العلماء من المفسرين والفقهاء . كما هو مشروح في هذا الكتاب، وقد أوردت تلك الشبهات ، وما فتح الله على من الجواب في هذه الطبعة منه.

الثاني: يذهب معنا إلى أن الوجه ليس بعورة ، ولكنه يرى مع ذلك أنه لا يجوز إشاعة هذا المذهب نظرًا لفساد الزمان، وسدًا للذريعة، فإلي هؤلاء أقول:

إن الحكم الشرعي الثابت في الكتاب والسنة لا يجور كتمانه وطيه عن الناس، بعلة فساد الزمان أو غيره، لعموم الأدلة القاضية بتحريم كتمان العلم، مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩] وقوله ﷺ : «**من كتم علمًا ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**» . رواه ابن حبان في «صحيحه» رواه الحاكم وصححه هو والذهبي ، وغير ذلك من النصوص الرادعة عن كتم العلم.

فإذا كان القـول بأن وجه المرأة ليس بعورة حكمًا ثابتًـا في الشرع كما نعـتقد ، فكيف يجوز القول بكتمانه ، وترك تعريف الناس به؟! اللهم غفرًا.

نعم من كان يرى أنـه مع ذلك لا يجوز العمل به سـدًا للذريعة، فـعليه هو بدوره أن يبين ذلك الذي يراه للناس ولا يكتمـه ، ويأتي بالأدلة التي تؤيد رأيه، وهيهات هـيهات ! فهذا رسول الله ﷺ يرى الفضل بن العباس رضي الله عنه يلتفت إلى المرأة الخثعمية وكانت امرأة حسناء ينظر إليها، تنظر إليه، وهي غير محرمة، ثم لا يكون منه عليه الصلاة والسلام أكثر من أن يصرف وجه الفضل عنها، ولا يأمرها أن تستر وجهها عنه، فأي ذريعة ووسيلة أوضح من هذه ، وهو ﷺ القـائل بهذه المناسـبة: «**رأيت شـابًا وشابة، فلم آمن الشـيطان عليهما**» فهذا الحديث الصحيح ، يقرر أن كشف المرأة عن وجهها ـ ولو كانت جميلة ـ حق لها. إن شاءت أن تأخذ به فعلت ، وليس لأحد أن يمنعـها من ذلك، بزعم خشية الافتتان بها، فمثل هذا الحديث منعنا من أن نقول برأي الفريق المذكور، وأوجب علينا إشاعة الرأي الصواب في المسألة.

وبذلك أدينا الأمانة العلمية حق الأداء ، فبينا ما يجب على المرأة وما يحسن بها، فمن التزم الواجب فبها ونعمت ، ومن أخذ بالأحسن فهو أفضل . وهذا هو الذي التزمته علميًا مع زوجي ، وأرجو الله تعالى أن يوفقني لمثله مع بناتي حين يبلغن أو قبيل ذلك.

ومن الغريب ما جاء في كتاب الأستاذ وسبقت الإشارة إليه: «وقد يلحظ أحدهم ، أو يسمع حـرصك الحسن على سترـ أهلك الستر المطلوب دون السـماح بإظهار الوجه، مـعاذ الله(!) فإذا قرأ ما كتبت ، قال: خالفت فتواه تقواه، ورماك بما لا يجمل».

وقد كنت أرسلت إليه جواب كتـابه بتاريخ (٢٣ / ٩ / ٧٤م) ومما فيه جوابًا عن هذه الفـقرة قـولي: «إن رماني أحـدهم ظلمًا «بما لا يـجمل» فـإني لي أسوة حـسنة بالأنبيـاء والصالحين صلوات الله عليهم أجمعين، الـذين لم يرمهم أعداؤهم «بما لا يجمل» فقط بل وبما يقبـح أيضًا، ومما لا شك فيـه عندي ، أن الرامي بما أشار إليـه حضـرة الكاتب معـتد ظالم، أو جاهل ينبغي أن يعلم، وذلك لأمرين:

الأول: أن غاية ما قررته في «الكتاب» أن وجه المرأة ليس بعورة، وأنه يجوز أن تظهره بالشرط المذكور فيه، وهذا ليس مـعناه أنه يلزم القائل به أن يكشف وجه زوجه ولابد، لأن

هذا ليس من شأن الأمر الجائز، بل هو من لوازم الأمر الواجب، إذ إن كل واحد يعلم أن الجائز هو ما يجوز فعله، كما يجوز تركه، فإذا أنا أخذت بالترك أو أخذت بالفعل، فعلى الحالتين لم أخرج عما أفتيت به من الجواز.

فتبين من ذلك أن من قال في : «خالفت فتواه تقواه . . .» كان بعيدًا جدًا عن الفهم السليم أو العدل.

والآخر: إنني بجانب تقريري أن الوجه ليس بعورة. . . قد قررت أيضًا أن الستر هو الأفضل ، ورددت فيه (ص ٣٦) على من زعم أن الستر بدعة وتنطع في الدين بأحاديث وآثار كثيرة أوردتها . ثم ختمتها بما نصه (ص ٥٣):

«فيستفاد مما ذكرنا أن ستر المرأة لوجهها ببرقع أو نحوه مما هو معروف اليوم عند النساء ءالمحصنات أمر مشروع محمود ، وإن كان لا يجب ذلك عليها ، بل من فعل فقد أحسن، ومن لا فلا حرج».

فهذا مني نص صريح في تفضيل الستر، ورد على الطائفتين المتشددتين: القائلين منهم بوجوبه والقائلين منهم ببدعته ، و(خير الأمور أوساطها).

وحقيقة الأمر عندي ، أنه وإن كان قلبي ليكاد يتفطر أسى وحزنًا من هذا السفور المزري والتبرج المخزي، الذي تهافتت عليه النساء في هذا العصر، تهافت الفراش على النار، فإنني لا أرى أبدًا أن معالجة ذلك ، تكون بتحريم ما أباح الله لهن من الكشف عن الوجه ،وأن نوجب عليهن ستره بدون أمر من الله ورسوله . بل إن حكمة التشريع ، والتدريج فيه، وبعض أصوله التي فيها قوله ﷺ : **«يسروا ولا تعسروا»** وأصول التربية الصحيحة ، كل ذلك يوجب على فقهاء الأمة ومربيها ومرشديها ، أن يتلطفوا بالنساء، ويأخذوهن بالرفق لا بالشدة ، ويتساهلوا معهن فيما يسر الله فيه، لا سيما ونحن في زمن قل من يأخذ بالعزائم من الأمور والفرائض ، فضلاً عن المستحبات والنوافل!

فإذا كان بعض العلماء اليوم يرون أن كشف المرأة عن وجهها مع سترها لما سواه من بدنها مما أمرها الله به خطر عليها ـ زعموا ـ فنرى أنه لا يليق منهم أن يكتفوا من المسألة

بإظهار الإنكار الشديد على من يخالفهم في الرأي، واتخاذ القرار بمنع دخول الكتاب إلى بلادهم بل إن عليهم أمرين اثنين لا بد لهم من القيام بهما:

الأول: أن يبينوا للناس حكم الله فيها، مستدلين عليه بالكتاب والسنة ، لا تقليداً لمذهب أو اتباعًا للتقاليد، وبذلك فقط، يظهر للناس الصواب من الخطأ، بل الحق من الباطل ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾[الرعد: ١٧] إنهم إن فعلو ذلك استجاب لهم النساء المؤمنات ، فهل يفعلون؟!

والآخر: أن يعنوا بتربية الفتيات المسلمات تربية إسلامية صحيحة ، وخصوصًا في المدارس والمساجد والجامعات بتعليمهن وتثقيفهن الثقافة الشرعية النافعة ، ومنع المجلات الخليعة أن تتسرب وتفسد عليهن أخلاقهن ، ونحو ذلك من الوسائل المبذولة في العصر الحاضر مما يمكن استعمالها في الشر والخير، ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[الأنبياء: ٣٧].

بمثل هذا وذاك يمكن أن يوجد جيل من النساء المؤمنات اللاتي إذا سمعن مثل قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ﴾ [لأحزاب : ٥٩] بادرن إلى امتثال أمره كما فعلت نساء الأنصار رضي الله عنهن حين نزل قوله عز وجل: ﴿ ... وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ . [النور :]بادرن فاختمرن بما تيسر لهن من الإزر كما هو مذكور في موضعه من الكتاب (ص ٢٤).

فمثل هذه النسوة يمكن أن تؤمر بستر الوجه إن كان واجبًا، وأما أمر السواد الأعظم من النساء بذلك، في مثل بلادنا السورية، وغيرها كمصر ونحوها من البلدان الأخرى التي انتشر أو بدأ ينتشر فيها التبرج والخلاعة بأبشع صوره، مما لم تنج منه مع الأسف ـ حتى بلاد التوحيد التي كنا نأمل أن تكون الحصن الحصين للمسلمين مع هذا التبرج؛ فأمر هذا الجنس من النساء بستر الوجه الذي لم يأمر الله به، وهن لا استعداد عندهن بأن يسترن نحورهن وصدورهن وما هو أكثر من ذلك ، مما لا يذهب إليه من كان عنده ذرة من رائحة فقه الكتاب والسنة.

فمن الحكمة إذًا أن يقنع العلماء في هذا العصر بأن تستجيب النساء لما أمر الله به من حجب البدن كله حاشا الوجه والكفين . فمن حجب ذلك أيضًا منهن، فذلك ما نستحبه

لهن، وندعو إليه . وأما إيجاب ذلك عليهن فهو عندي تشدد في الدين وتنطع لا يحبه الله ، وخصوصًا على النساء اللاتي وصانا بهن رسول الله ﷺ خيرًا، في أحاديث كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام: «**رفقًا بالقوارير**» ويوم تستجيب النساء المسلمات لأمر الله إلا من شذ منهن وتكون غريبة بين المستجيبات ، فيومئذ يعود إلى المسلمين عزهم ومجدهم، وتقوم لهم دولتهم ، وينصرهم الله على عدوهم ﴿ويومئذ المؤمنون بنصرالله﴾ ولن يكون ذلك إلا إذا استجاب لأمره تعالى الرجال قبل النساء، وعسى أن يكون ذلك قريبًا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)﴾[الأنفال] .

قلت : وكان الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ قد أصدر طبعة جديدة من هذا الكتاب أضاف إليها زيادات وفوائد مهمة وأحدث تعديلاً في اسم الكتاب فجعله «جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة »

وقال في مقدمته:

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الجديدة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد ، فهذه هي الطبعة الجديدة لكتابي " حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة» وهي تختلف عن سابقتها بزيادات هامة في جوانب عديدة أهمها تلك الزيادة في الأحاديث وآثار السلف الدالة على أن وجه المرأة وكفيها ليسا بعورة ، فمثلاً هناك زيادة خمسة أحاديث (من صفحة ٧٠ ـ ٧٢) حيث أصبح عدد الأدلة ثلاثة عشر دليلاً بدلاً من ثمانية أدلة في الطبعات السابقة ، وكذلك أضفنا في هذه الطبعة عددًا من أهم الآثار السلفية الدالة على ذلك ، يجدها القارئ (في صفحة ٩٦ ـ ١٠٣).

وأهم من ذلك كله تلك الصفحات التي ألحقناها بـ (ص (٥١ ـ ٥٣) وبينا فيها دقة نظر ابن عباس ومن تبعه من الصحابة والمفسرين في تأويل قوله تعالى : ﴿إلا ما ظهر منها﴾ وأن المراد الوجه والكفان ، والمعنى: إلا ما ظهر عادة بإذن الشارع وأمره، فلا يرد حينئذ الاعتراض أو الإشكال الذي كنت أوردته على تفسير ابن جرير والقرطبى هناك ،فراجعه فإنه مهم جداً ،وفيه بيان أن الفضل في التنبه لهذا يعود إلى الحفاظ ابن القطان الفاسي في كتابه الجامع «النظر في أحكام النظر» ، وذلك من بركة الاستمرار في البحث وطلب العلم للوصول إلى الحق مما اختلف فيه الخلق.

وهناك زيادة تحت عنوان (فائدة مهمة) (ص ١١٤ ـ ١١٧) حول خطورة استخدام الخادمات الكافرات في بيوت المسلمين.

وكذلك الزيادة من (ص ١٢١ ـ ١٢٣) حول بعض ألوان ثوب المرأة، والتي قد تعتقد بعض النساء أنها من الزينة، وهي ليست كذلك، والأدلة عليها.

بالإضافة إلى العديد من الزيادات المطولة والمختصرة ، يجدها القارئ مبثوثة في مواقع مختلفة ، حسبما يقتضيه البحث والتدقيق العلمي.

ومن ناحية أخرى؛ فإن هناك فقرات كانت في الطبعات السابقة في الهامش، فرأينا في هذه الطبعة أن تنقل إلى المتن ؛لأهميتها وضرورة إبرازها؛ كالمادة الموجودة من صفحة (٧٤ ـ ٧٩) تحت عنوان: (إبطال دعوى أن هذه الأدلة كلها كانت قبل فرضية الحجاب) بالإضافة إلى فقرات متفرقة نقلت من الهامش إلى المتن حسبما رأينا أن المصلحة تقتضي ذلك.

هذا، وقد كنت شرعت منذ مدة ليست بالقصيرة ـ ربما قاربت السنتين ـ بكتابة مقدمة لهذه الطبعة الجديدة، اضطررت من خلالها أن أتعرض لبعض الذين تناولوا كتابي هذا ـ أو بالأحرى قولي بأن وجه المرأة وكفيها ليسا بعورة ـ تناولوه بالنقد غير العلمي ، والمصحوب بالتجريح ، كأني أنتصر لهذا الرأي متبعًا فيه هواي، ولا سلف لي فيه! فبدأت باستعراض أدلتهم وردودهم ، وتتبع أقوالهم وشبهاتهم واحدة واحدة غالبًا ، كما عنيت بالرد على الشيخ التويجري عناية خاصة في كتابه « الصارم المشهور» ؛ لأنه كبيرهم في ذلك ومن

أسبقهم ! وأحيانًا أرد عليهم ردًا عامًا ، وهذا حينما يكون الدليل واضحا لا لبس فيه ولا غموض . . . وهكذا ، حتى وجدتني قد تجمع عندي ما يزيد على مائة صفحة بخط يدي من الحجم الكبير ، أي أنه لو أتممته ونسقته ؛ لقارب حجمه حجم هذا الكتاب ـ الأصل ـ أو يزيد مما جعل أمر إلحاق هذا الذي تجمع تحت اسم (مقدمة الطبعة الجديدة لهذا الكتاب) أمرًا غير مناسب من جوانب عديدة، منها أن حجمه سيزيد إلى الضعف ، ومنها ـ وهو الأهم ـ تلك البحوث المتخصصة النادرة التي تناولتها بالبحث، فرأيت بعد نظر وتفكير أن أفصل هذا الذي كتبته عن هذه المقدمة، وأن أخرجه كتابًا مستقلاً ؛ ليكون بيانًا للناس ، ولعله ـ إن شاء الله ـ يكون هكذا أنفع لهم ، وأسهل تداولاً، وسميته.

«الرد المفحم على من خالف العلماء وتشدد وتعصب، وألزم المرأة أن تستر وجهها وكفيها وأوجب ، ولم يقنع بقولهم: إنه سنة ومستحب».

ولكن يبدو لي أنه لابد هنا من أن أحصر أهم أخطاء المخالفين المتشددين بالقدر المستطاع من الإيجاز ، فأقول:

أولاً: فسروا (الإدناء) في آية (الجلابيب) الآتية بتغطية الوجه ، وهو خلاف أصل هذه الكلمة في اللغة، وهو : التقرب؛ كما في كتب اللغة ، وكما أفاده العلامة الراغب الأصبهاني في «المفردات » ، ثم قال:

«ويقال: دانيت بين الأمرين : أدنيت أحدهما من الآخر».

ثم ذكر الآية ، ويكفي في ذلك حجة أن ابن عباس ترجمان القرآن فسرها بذلك، فقال:

«تدني الجلباب إلى وجهها ، ولاتضرب به»، أي: لا تستره.

وسيأتي تخريجه قريبًا ، وأن ما احتجوا به مما ينافيه؛ لا يصح عنه.

ثانيًا: فسروا (الجلباب) بأنه الثوب الذي يغطي الوجه، ولا أصل له في اللغة أيضًا، بل هو ينافي تفسيرالعلماء بأنه الثوب الذي تلقيه المرأة على خمارها، ولم يقولوا: على

وجههـا، حتى الشيخ التويجـري نفسه حكى هذا التفـسير عن ابن مسـعود رضي الله عنه وغيره من السلف، وهو الذي كنت ذكرته في الكتاب كما سيأتي .

ثالثاً: أصروا جميـعًا على أن الخمار غطاء الرأس والوجه! فزادوا في تفـسيره (الوجه) من عند أنفسهـم؛ ليجعلوا آية ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾ حجة لهم، وهي عليهم، لأن (الخمـار) لغة غطاء الرأس فقط، وهو المراد كلما جـاء ذكره مطلقًا في السنة؛ كأحاديث المسح على الخمار، وقوله ﷺ: «**لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار**»(١) .

بل هذا الحديث يؤكد بطلان تفسيرهم؛ لأن المتشددين أنفسهم ـ فضلاً عن أهل العلم ـ لا يستدلون به على شرطية سترـ المرأة لوجهها في الصلاة، وإنما الرأس فقط ﴿**فاسألوهم إن كانوا ينطقون**﴾ .

ويزيده تأكـيـده تفسـيـرهم لقـوله تعالى في آيـة (القواعـد): ﴿**أن يضـعن ثيـابهن**﴾ بالجلباب، فقالوا :فيـجوز للقاعدة أن تظهر أمام الأجانب بخمارها كاشـفة وجهها ، صرح بذلك أحد فـضلائهم ، أمـا الشيخ التـويجري ؛ فيـشيـر إلى ذلك ولا يفصح ! كـما هو مشروح في موضعه من «الرد المفحم».

وقد تتبعت أقوال العـلماء سلفًا وخلفًا في كل الاختصاصات ، فرأيـتهم أجمعوا على أن (الخمار) غطاء الرأس ،وسميت ثمة أكثر من عشرين عالمًا،وفيهم بعض الأئمة والحفاظ، منهم أبو الوليد الباجي المتوفى (٤٧٤ هـ). وزاد هذا في البيان، فقال جزاه الله خيرًا:

«ولا يظهر منها غير دور وجهها».

رابعًا: ادَّعى الشيخ التويجري الإجماع على أن وجه المرأة عورة ، وقلَّده في ذلك كثير ممن لا علم عنده ، وفبهم بعض الدكاترة! وهي دعوى باطلة، لم يسبقه أحد إليها ، وكتب الحنابلة التي تفقه عليها ـ فضلاً عن غيرها ـ كافية للدلالة على بطلانها ، وقد ذكرت هناك في «الرد » كثيرًا من عباراتهم ؛مثل عبارة ابن هبـيرة الحنبلي في كتابه «الإفصاح » وفيها أن مذهب الأئمة الثلاثة أنه ليس بعورة ؛ قال:

«وهو رواية عن الإمام أحمد».

وقد رجح هذه الرواية كثير من الحنابلة في مصنفاتهم كابني قدامة وغيرهما ووجه ذلك صاحب «المغني» بقوله:

«لأن الحاجة تدعو إلى كشف الوجه للبيع والشراء، والكفين للأخذ والإعطاء».

ومنهم العلامة ابن مفلح الحنبلي الذي قال فيه ابن قيم الجوزية:

«ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح».

وقال شيخه ابن تيمية:

«ما أنت ابن مفلح، بل أنت مفلح».

وهنا أرى لزامًا علي أن أبادر إلى نقل كلام هذا المفلح إلى القراء؛ لما فيه من العلم والفوائد العديدة، التي منها تأكيد بطلان دعوى الشيخ التويجري، ومنها موافقة كلامه رحمه الله ومن ذكر معه من العلماء الأعلام لصحة ما اخترته في هذه المسألة سابقًا ولاحقًا.

قال في كتابه القيم «الآدب الشرعية» وهو من مراجع الشيخ التويجري، الأمر الذي يدل على أنه على علم به، ولكنه يكتم الحقائق العلمية عن قرَّاء كتابه، ثم يدعى خلافها! قال المفلح ـ رحمه الله:

«هل يسوغ الإنكار على النساء الأجانب إذا كشفن وجوههن في الطريق؟

بنبنى (الجواب) على أن المرأة هل يجب عليها ستر وجهها، أو يجب غض النظر عنها؟

في المسألة قولان:

قال القاضي عياض في حديث جرير رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة؟ فأمرني أن أصرف بصري. رواه مسلم.

«قال العلماء رحمهم الله تعالى:

وفي هذا حجة على أنه لا يجب على المرأة أن تستر وجهها في طريقها، وإنما ذلك

سنة مستحبة لها، ويجب على الرجل غض البصر عنها في جميع الأحوال؛ إلا لغرض شرعي. ذكره الشيخ محيي الدين النووي ولم يزد عليه».

ثم ذكر المفلح قول ابن تيمية الذي يعتمد عليه التويجري في كتابه (ص ١٧٠) ويتجاهل أقوال جمهور العلماء ، وقول القاضي عياض ، وموافقة النووي عليه، ثم قال المفلح:

«فعلى هذا ؛ هل يشرع الإنكار؟ ينبني على الإنكار في مسائل الخلاف، وقد تقدم الخلاف فيه.

فأما على قولنا وقول جماعة من الشافعية وغيرهم: أن النظر إلى الأجنبية جائز من غير شهوة ولا خلوة ، فلا ينبغي الإنكار».

قلت: وهذا الجواب يلتقي تمامًا مع قول الإمام أحمد ـ رحمه الله ورضي عنه:

«لا ينبغي للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه»(١) .

قلت: وهذا لو كان الحق معه؛ فكيف إذا كان مبطلاً مكابرًا مضللاً، إن لم نقل: مكفرًا ؟ ! فقد قال التويجري في كتابه (ص ٢٤٩).

«ومن أباح السفور للنساء (يعني به سفور الوجه فقط) ، واستدل على ذلك بمثل ما استدل به الألباني ، فقد فتح باب التبرج على مصراعيه ، وجرأ النساء على ارتكاب الأفعال الذميمة التي تفعلها السافرات الآن».

وفي مكان آخر ٢٣٣ : « إلا الإلحاد في آيات الله ».

كذا قاله أصلحه الله وهداه، فماذا يقول في ابن مفلح والنووي والقاضي عياض وغيرهم من المقدسيين ومن سبقهم من الجمهور الذين هم سلفي فيما ذهبت إليه؟!

خامسًا: اتفاق التويجري ومن معه من المتشددين على تأويل الأحاديث الصحيحة حتى لا تتعارض مع رأيهم ! كما فعلوا بحديث الخثعمية وقد تلونوا في إبطال دلالته على وجوه

---

(١) «الآداب الشرعية» (١/ ١٨٧).

مضحكة مبكية، رددتهـا هناك، وأحدها سيأتي في الكتاب (ص ٦٤) مع إبطاله، ومع ذلك فلا تزال طائفـة منهم يصرون عليـه، وهو زعمـهم أنها كانت مـحرمة ! وهـم يعلمون أن إحرامها لا يمنعهـا من السدل على وجهها ! والتويجري يسلم تارة بأنهـا كانت سافرة ولكنه يعطل دلالته بقوله:

«ليس فيه دليل على أنها كانت مستديمة لكشفه ».

يريدُ أن الريح كشفت عن وجهها ، وفي هذه اللحظة رآه الفضل بن العباس!!

فهل يقول هذا عربي يقرأ في الحديث: «فأخذ الفضل ينظر يلتفت إليها»، وفي الرواية الأخرى : «فطفق ينظر إليها وأعجبه حسنها »؟!

أليست هذه مكابرة ولها قرنان بارزان؟!

وتارة يؤوله بالنظر إلى قدها وقوامها !!

إلى غير ذلك من التأويلات الباطلة التي بينهـا بطلانها مع ذكر أحاديث أخرى تأولوها على هذا النحو ، رددناها هناك.

سادسًا: تواطؤهم على الاستدلال بالأحـاديث الضعيفة والآثار الواهيـة، كحديث ابن عبـاس في الكشف عن العين الواحـدة ، مع علمهم بضـعفه المبين فـي الكتاب (ص ٨٨) ضمن الجواب عنه، بل قد ضعفه أحدهم.

إلى غير ذلك من الأحاديث التي فصلت القول بضعفها هناك ، ومن أهمها حديث:

«أفعمياوان أنتما؟» .

فقد تتابعوا على تقويته تقليدًا للتويجري، وهذه لغيرِه، وعلى الاحتجاج به على تحريم نظر المرأة إلى الرجل ولو كـان أعمى ! مع أنه ضعـيف عند المحقـقين من الحفاظ كـالإمام أحمد والبيهقي وابن عـبد البر ، ونقل القرطبي أنه لا يصح عند أهل الحديث، وعلى ذلك جرى كثير من الحنابلة من المقادسة وغيرهـم،وهو الذي يقتضيه علم الحديث وأصوله؛ كما هو مبين في «الإرواء» (٦ / ٢١٠).

ومع ذلك كله تجرأ الشيخ عـبد القادر السندي ـ مسايرة منه للشيخ التـويجري وغيره،

فزعم أن إسناده صحيح! ففضح بذلك نفسه ، وكشف به عن جهله أو تجاهله ـ للأسف ـ لأن فيه مجهولاً لم يرو عنه غير واحد ، مع مخالفته لأولئك الأعلام ، وقد جاء في تأييد زعمه ـ على خلاف ما عهدناه عنه ـ بالعجب العجاب من التدليس والتضليل والتقليد وكتم العلم والإعراض عن قواعده مما لا يخطر في بال أحد ، وهذا كله مشروح هناك في نحو أربع صفحات كبار ، ومن ذلك تجاهله أن معارض لحديث فاطمة بنت قيس وإذنه لها بالنزول في دار ابن أم مكتوم الأعمى ، وهي ستراه حتمًا، وعلل ذلك ﷺ بقوله لها:

«فإنك إذا وضعت خمارك؛ لم يرك».

وفي رواية الطبراني عنها قالت:

«وأمرني أن أكون عند ابن أم مكتوم؛ فإنه مكفوف البصر، لا يراني حين أخلع خمارى».

وثمة أحاديث أخرى واهية حشرها التويجري في كتابه ، وقد ذكرت هناك على سبيل المثال عشرًا منها، وفيها بعض الموضوعات.

سابعًا: تهافتهم على تضعيف بعض الأحاديث الصحيحة والآثار الثابتة عن الصحابة ، وتجاهلهم الطرق المقوية لها، أو تضعيفها من بعضهم تضعيفًا شديدًا؛ كحديث عائشة في المرأة إذا بلغت : **«لم يصلح أن يرى منها إلا وجهها وكفاها»**؛ فقد أصروا على الاستمرار في تضعيفه ؛ يقلد الجاهل فيهم من لا علم عنده ! مخالفين في ذلك من قواه من حفاظ الحديث كالبيهقي والذهبي ؛ كما كنت ذكرت ذلك عنهما في الكتاب كما سيأتي (ص ٥٧ ـ ٥٩) وتجاهل أكثرهم طرقه ، ومنهم بعض الأفاضل ، بل صرح التويجري (ص ٢٣٦) أنه لم يأت إلا من حديث عائشة ، وقد رأى بعينه في الموضوع الشار إليه من الكتاب طريقين آخرين : أحدهما : عن أسماء بنت عميس ، والآخر : عن قتادة مرسلاً بسند صحيح عنه. وقلده في ذلك كثير من المقلدة ، وفيهم بعض النسوة كمؤلفة ما سمته : «حجابك أختي المسلمة» (ص ٣٣) ، كما تجاهلوا تقوية من ذكرنا من الحفاظ وغيرهم كالمنذري والزيلعي والعسقلاني والشوكاني ، وتنطع بعضهم ممن يظهر نفسه أنه من العارفين بهذا

العلم الشريف ـ وفي مقدمتهم الشيخ السندي ـ فادعوا شدة ضعف بعض رواته؛ لكي يفروا من قاعدة تقوية الضعف بمثله؛ موهمين ومدلسين على القراء أنه لا موثق لهم، ولا يستشهد بهم، ومنهم عبد الله بن لهيعة ؛ مخالفين في ذلك طريقة علماء الحديث في الاستشهاد به ، ومنهم الإمام أحمد وابن تيمية رحمة الله عليهما ، كما تجاهلوا جميعًا أن العلماء ـ منهم الإمام الشافعي ـ يقومون الحديث المرسل إذا عمل به أكثر العلماء وقد عملوا بهذا الحديث كما تقدم ، ويأتي في الكتاب، يضاف إلي ذلك مقويات أخري:

الأول: أنه روى عن قتادة بسنده عن عائشة.

الثاني: أنه جاء من طريق أخرى عن أسماء.

الثالث: أنه عمل به هؤلاء الرواة الثلاثة:

أ ـ أما قتادة؛ فقد قال في تفسير آية (الإدناء) : «أخذ الله عليهن أن يقنعن على الحواجب» يعني : وليس على وجوههن كما قال الطبري .

ب ـ وأما عائشة ، فقالت في المحرمة:

« تسدل الثوب على وجهها إن شاءت » رواه البيهقى بسند صحيح.

قلت: فتخيير عائشة المحرمة في السدل دليل واضح على أن الوجه عندها ليس بعورة، وإلا لأوجبت ذلك عليها كما يقول المخالفون ؛ ولذلك كتم قولها هذا عن قرائهم جمهور هؤلاء المؤلفين المتشددين، وفي مقدمتهم التويجري ، وتعمد حذفها من رواية البيهقي هذه مؤلف «فصل الخطاب » ! وله أشياء أخرى من هذا القبيل بينتها هناك.

والشاهد أن هذا الأثر الصحيح عنها مما يقوي حديثها المرفوع، وهذا مما جهله القوم أو تجاهلوه ، وأحلاهما مر.

جـ ـ وأما أسماء؛ فقد صح أن قيس بن أبي حازم رآها امرأة بيضاء موشومة اليدين كما سيأتي في الكتاب مخرجًا ، وذلك من فوائد هذه الطبعة.

الرابع: أثر ابن عباس المتقدم (ص ٦).

«تدني الجلباب إلى وجهها، ولا تضرب به».

ومثله تفسيره لآية (الزينة) ﴿إلا ما ظهر منها﴾ بالوجه والكفين كما تقدم أيضًا، ويأتي في الكتاب (ص ٥٩).

ومعه أثرًا ابن عمر أيضًا مثله.

ولا بد لي بهذه المناسبة من التنبيه على حقيقة مرة للعبرة والتعريف والتذكير بالحكمة القائلة: الحق لا يعرف بالرجال ، اعرف الحق تعرف الرجال ، ذلك أن الشيخ التويجري في الوقت الذي يصر فيه على رفض حديث عائشة هذا مع ما له من الشواهد منها حديث قتادة المرسل ؛ فإنه يقبل حديثًا آخر لها فيه: أنها انتقبت . . . وفيه أنها قالت في صفية ونساء الأنصار: «يهودية بين يهوديات» وسنده ضعيف أيضًا، ومتنه منكر جدًا كما ترى ، ومع ذلك فإن الشيخ يقويه بقوله (ص ١٨١):

«وله شاهد مرسل » ، ثم ذكره من مرسل عطاء!

وفي إسناده كذاب!

فليتأمل القراء الفرق الكبير بين هذا الشاهد وبين الشاهد الصحيح للحديث الأول عن قتادة مع الشواهد الأخرى له، ثم ليقل : لماذا قبل التويجري حديث عائشة هذا ورفض ذاك؟!

الجواب: لأن المقبول فيه الانتقاب ـ مع أنه لا يفيد الإيجاب ـ والمرفوض ينفيه ! فإذن الشيخ لا ينطلق فيما يذهب إليه ـ هنا ـ من القواعد العلمية الإسلامية ، وإنما من ـ مثل ـ القاعدة اليهودية : «الغاية تبرر الوسيلة »! والله المستعان.

ثامنًا: وأخيرًا: من عجائب بعض المتأخرين من الحنفية المقلدين وغيرهم أنهم ـ تقليدًا منهم لأئمتهم ـ يتفقون معنا على المخالفين المتشددين، ولكنهم سرعان ما يتفقون معهم على أئمتهم ! وذلك أنهم اجتهدوا ـ وهم المقلدون ـ فقيدوا مذهب الأئمة فقالوا: «بشرط أمن الفتنة»؛ يعنون: فتنة الرجال بالنساء، ثم غلا أحد الجهلة من المقلدة المعاصرين فنسب هذا الشرط إلى الأئمة أنفسهم ! فنتج من ذلك عن بعض من لا علم عنده إلا التحطيب

والتحويش: أن لا خلاف بين الأئمة والمخالفين!

وليس يخفى على الفقيه حقًا أن الشرط المذكور باطل يقينًا ؛لأنه يعني الاستدراك على رب العالمين ؛ذلك لأن الفتنة بالنساء لم تحدث فيما بعد حتى نوجد لها حكمًا خاصًا لم يكن من قبل ، بل إنها كانت في عهد التشريع ، وما قصة افتتان الفضل بن العباس بالمرأة الخثعمية وتكراره النظر إليها ببعيدة عن ذاكرة القراء الكرام.

ومن المعلوم أن الله تعالى لما أمر الرجال والنساء بغض الأبصار ، وأمر النساء بالحجاب والتستر أمام الرجال ، إنما جعل ذلك سدًا للذريعة ودرءًا للفتنة ، ومع ذلك لم يأمرهن عز وجل بأن يسترن ،وجوههن وأيديهن أمامهم، وأكد ذلك النبي ﷺ في القصة المشارة إليها بعدم أمره المرأة أن تستر وجهها وصدق الله القائل: ﴿وما كان ربك نسيا﴾ [مريم :].

والحقيقة أن الشرط المذكور إنما ذكره العلماء ـ ومنهم مؤلف «الفقه على المذاهب الأربعة» (ص ١٢) ـ في نظر الرجل إلى وجه المرأة فقالوا: «يجوز ذلك بشرط أمن الفتنة»، وهذا حق ؛ بخلاف ما فعله المقلدة ، فكأنهم استلزموا منه أن تستر المرأة وجهها وجوبًا، ولا تلازم ؛فإنهم يعلمون أن الشرط المذكور ـ بحق ـ لازم أيضًا على النساء، فلا يجوز لهن النظر إلى وجه الرجال إلا إذا أمنت الفتنة، فهل يستلزمون منه أن يستر الرجال أيضًا وجوههم عن النساء درءًا للفتنة كما كانت تفعل بعضل القبائل المعروفين بـ(الملثمين)؟!

ولو أنهم قالوا: يجبُ على المرأة المتسترة الجلباب الواجب عليها إذا خشيت أن تصاب بأذى من بعض الفساق لإسفارها عن وجهها: أنه يجب عليها في هذه الحالة أن تستره دفعًا للأذى والفتنة ؛ لكان له وجه في فقه الكتاب والسنة، بل قد يُقال : إنه يجب عليها أن لا تخرج من دارها إذا خشيت أن يخلع الجلباب من رأسها من قبل بعض المتسلطين الأشرار المدعمين من رئيس لا يحكم بما أنزل الله كما وقع في بعض البلاد العربية منذ بضع سنين مع الأسف الشديد.

أما أن يجعل هذا الواجب شرعًا لازمًا على كل النساء في كل زمان ومكان، وإن لم يكن هناك من يؤذي المتجلببات ؛ فكلاً ثم كلا، وصدق الله الذي قال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

هذه هي أهم أخطاء المخالفين المتشددين التي رأيت أنه لابد من ذكرها هنا مع الاختصار قدر الاستطاعة لصلتها القوية بالكتاب كما هو ظاهر.

ثم ختمت «الرد المفحم» بالتذكير بأن التشدد في الدين - مع نهي الشارع الحكيم عنه - لا يأتي بخير، ولا يمكن أن يخرج لنا جيلاً من الفتيات المسلمات يحملن الإسلام علمًا وتطبيقًا بتوسط واعتدال، لا إفراط فيه ولا تفريط، لا كما بلغني عن بعض الفتيات الملتزمات في بعض البلاد العربية، أنهن لما سمعن بقوله ﷺ: «**لا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين**»؛ لم يتجاوبن معه، وقلن: ننتقب ونفدي !! وما كان هذا منهن إلا لما يقرع مسامعهن من التشديد في وجوههن!.

إنني لا أستطيع أن أتصور أن مثل هذا التشديد - وهذا مثال واحد من أمثلة لدي - يمكن أن يخرج لنا نساء سلفيات بإمكانهن أن يقمن بكل ما تطلبه حياتهن الاجتماعية المشروعة، على نمط ما كان عليه نساء السلف الصالح...

هذا، وقد بدا لي وأنا في صدد تحضير مادة «الرد المفحم» أن أستبدل اسم الكتاب «حجاب المرأة المسلمة ...» بـ «جلباب المرأة المسلمة...»؛ لما بينهما من الفرق في الدلالة والمعنى؛ كما كنت استظهرت ذلك في الكتاب كما سيأتي (ص ٨٣)، ولأن موضوع الكتاب ألصق بهذا الاسم دون ذاك، فبينهما عموم وخصوص، فكل جلباب حجاب، وليس كل حجاب جلبابًا كما هو ظاهر، وشجعني على ذلك أنني رأيت المخالفين خلطوا بينهما كما بينته في البحث الثاني من «الرد المفحم» واستهدت على ذلك بقول ابن تيمية - رحمه الله تعالى:

«فآية الجلابيب عند البروز من المساكن، وآية الحجاب عند المخاطبة في المساكن».

ولذلك فقد انشرح صدري لنشره الآن بهذا العنوان:

«جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة».

سائلين الله تبارك وتعالى التوفيق لما يحبه ويرضاه.

قلت: وبعد وفاة الشيخ الإمام - رحمه الله - قام ورثته بنشر كتاب «الرد المفحم» وقد قال ناشره في مقدمته:

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم أجمعين. أما بعد :

فهذا كتاب جديد لفضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ وهو من الكتب القيمة الكثيرة التي تركها ـ رحمه الله ـ مخطوطة ،ولم يقدر لها أن تري النور في حياته ـ وهو كتاب عزيز عليه، نفيس ، كان حريصًا على نشره، وينتظر فرصة للتفرغ للعناية به وإعداده للطباعة.

وها نحن اليوم نضعه بين يديك أخى القارئ ؛ تحقيقًا لأمنيته ، وتغذية لمشروعه الكبير «تقريب السنة بين يدي الأمة »؛ حريصين على أن يخرج الكتاب من مخطوطة الشيخ ـ رحمه الله ـ كما لو كان الشيخ يباشره بنفسه قدر الإمكان.

وكان أصل هذا المصنف مقدمة للطبعة الجديدة لكتاب شيخنا القيم، «جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة »، فلما طالت رأي أن يفردها في كتاب مستقل؛ ليكون بيانًا للناس وأنفع وأسهل تداولاً لمن أراد معرفة الحق في هذه المسألة بصورة خاصة. ثم وضع له بنفسه فهرسًا للبحوث والمواضيع تراه في آخر هذا «الرد».

وهنا لابد من تنبيه القارئ إلى أن قول الشيخ : «كما يأتي في الكتاب» و«كما في المقدمة » ونحوهما ؛ فهو يقصد «الجلباب » ومقدمته.

وهذا الكتاب ؛ تصدى فيه الشيخ للرد على كل من تعقب كتابه «جلباب المرأة المسلمة» من أولئك الذين شنوا عليه حربًا ضروسًا دونما هوادة ، لرأي ارتآه متبعًا فيه الكتاب ، والسنة الصحيحة ، وأقوال السلف من صحابة وتابعين وعلماء مذاهب وغيرهم . وقد جمع فيه تلك البحوث المتخصصة النادرة التي تناولها بالبحث والتحقيق ، وضمت فوائد هامة في جوانب عديدة ، فبدأ باستعراض أدلة المخالفين وردودهم ، وتتبع أقوالهم

وشبهاتهم - التي يوجبون بها على المرأة أن تستر وجهها وكفيها بدون دليل صحيح صريح - واحد بعد الأخرى ، ثم جعل في آخر الكتاب خلاصة لتلك البحوث ؛ تضمنت جملة من الحقائق، والأوهام التي وقع المخالفون المتشددون فيها، وجعل خاتم للكتاب ذكر فيها أن الشدة شر لا تأتي إلا بالشر ، وحذر من الغلو في الدين، فإن الذين يسر، وأنه يجب على المشايخ والدعاة أن يقوموا بتربية الناس - رجالاً ونساءً - على المنهج النبوي الكريم، ولن يستطيعوا ذلك إلا إذا تعرفوا على السنة والسير النبوية الصحيحة وما كان عليه سلفنا الصالح مما صح عنهم، مستعينين على ذلك بأقوال الأئمة المجتهدين والعلماء المحققين؛ وإلا حاد عن الحق وسبيل المؤمنين؛ فإن فقه العالم لا يستقيم إلا بهذا كله.

وورثة الشيخ - رحمه الله - إذ يضعون هذا الكتاب بين أيدي القراء - متعاونين مع المكتبة الإسلامية في (عمان) - يرجون الله أن يعظم الأجر للشيخ ، وأن يعم بالنفع المسلمين والمسلمات ، وجزى الله الجميع خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

عمان - الشام

١١ جمادي الآخرة

١٤٢١ هـ

الناشر

التوسل أحكامه وأنواعه

يعد هذا الكتاب من الكتب المفيدة في هذا الباب، فقد قام الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ ببحث هذه المسألة التي طال فيها الجدل عند أهل العلم، حيث قام بتعريف هذه المسألة في لغة العرب ، ومعنى التوسل في القرآن ، وبيان متى يكون العمل صالحًا ، وبين أنواع التوسل وأصنافه كالتوسل بأسماء الله وصفاته، والتوسل بالعمل الصالح الذي قام به المتوسل ، والتوسل بدعاء الرجل الصالح ، وبطلان التوسل بغير هذه الأصناف ، وأورد معنى الآيات والأحاديث الواردة فيه ودفع شبهات المحتجين بها على التوسل ، ثم بين الحكم الصحيح للتوسل من خلال الأدلة الصحيحة.

وأصل هذا الكتاب محاضرتان اثنتان ، كان الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ قد ألقاهما في داره في مخيم اليرموك بدمشق في صيف عام ١٣٩٢ هـ تناول فيهما مسألة التوسل من جميع جوانبها.

وقد قام الأستاذ محمد عيد عباسي بجمع مادة هاتين المحاضرتين وضم إليهما كلامًا آخر للشيخ الإمام ،وعَرَض البحث بشكله الجديد على الشيخ الإمام رحمه الله ،فهذَّبه ونقَّحه، ثم قام المكتب الإسلامي بطباعتها سنة ١٣٩٥هـ الموافق ١٩٧٥م في(١٧٥) صفحة.

تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد

كان هذا الكتاب من أول كتب الشيخ ـ رحمه الله ـ تعالى، فقد ألف هذه الرسالة ليحذر المسلمين من بدعة رآها منتشرة في عصره، وهي بناء المساجد فوق قبور الأموات ، واتخاذ هذه القبور مزارات تُزار ويُتبرك بها، مما قد يصل بالكثير ممن يفعلون ذلك إلى الشرك بالله العظيم، وقد ركز في هذا الكتاب على أمرين هامين هما:

الأول: حكم بناء المساجد على القبور.

والأمر الثاني: حكم الصلاة في هذه المساجد .

وقد سلك الشيخ ـ رحمة الله ـ فيها المنهج التالي:

قام بجمع الأحاديث المتواترة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد، وأتبعها بذكر مذاهب وأقوالهم المعتبرة التي تدل على ذلك ، وما يؤيدها من السنة الصحيحة ، وقد قسم كتابه إلى فصول على النحو التالي :

الفصل الأول: في أحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد.

الفصل الثاني: في معنى اتخاذ القبور مساجد.

الفصل الثالث: في أن اتخاذ القبور مساجد من الكبائر.

الفصل الرابع: شبهات والجواب عليها.

الفصل الخامس: في حكمة تحريم بناء المساجد على القبور .

الفصل السادس : في كراهة الصلاة في المساجد المبنية على القبور.

الفصل السابع: في أن الحكم السابق يشمل جميع المساجد إلا المسجد النبوي.

وفي تضاعيف هذه الفصول، فصول أخرى فرعية ، تضمنت فوائد هامة نافعة إن شاء الله تعالى.

حجة النبي ﷺ
كما رواها عنه جابر رضي الله عنه

يعد هذا الكتاب على صغر حجمه من الكتب النافعة، ومن أجود ما جمع في هذا الباب في تتبع سنة النبي ﷺ في أمور حجة الوداع التي حجها النبي ﷺ ، وقد قام الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ بتتبع روايات حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما من سائر مصنفات السنة التي وقف عليها الشيخ ـ رحمه الله، ويعد هذا الحديث الذي يصف فيه جابر حجة النبي ﷺ منذ خرج من المدينة إلى أن عاد إليها، من أجمع الأحاديث التي ساقت ووصفت حجة النبي ﷺ ، فقد قال فيه النووي ـ رحمه الله:

«هو أحسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع، ذكرها من حين خروج النبي ﷺ من المدينة إلى آخرها، فهو أضبط لها من غيره».

وقال : «وهو حديث عظيم مشتمل على جمل من الفوائد ، ومهمات من مهمات القواعد ، قال القاضي عياض : وقد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا ، وصنف فيه أبو بكر ابن المنذر جزءًا كبيرًا، وخرج فيه من الفقه مائة ونيفًا وخمسين نوعًا، ولو تقصى لزيد على هذا القدر قريب منه».

وقال الذهبي ـرحمه الله ـ في ترجمة جابر:«وله منسك صغير في الحج أخرجه مسلم».

وقد عقد له ابن كثير ـرحمه الله ـ في كتابه (البداية والنهاية) فصلاً خاصًا قال فيه: «وهو وحده منسك مستقل».

وقد قام الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ بضم فوائد من الروايات الأخرى إلى هذا الحديث الجامع ، فأصبح أكثر فائدة، وأغزر في مسائله العلمية ، ووضع عليه تعاليق علمية مفيدة في مواطن مختلفة، كشف فيها معاني بعض الألفاظ ، ونبه على بعض الفوائد الفقهية، واستدرك بعض المناسك التى لم ترد فى سياقة هذا الحديث،وقد ختم الكتاب بعرض خلاصة ما ورد فيه من مناسك الحج خاصة، ، والتي يهم كل حاج معرفتها والوقوف عليها. وألحق بالكتاب ذيلاً سرد فيه بدع الحج، وبدع زيارة المدينة المنورة، وبدع زيارة بيت المقدس، للتعريف بها، وتحذير الناس منها، وقد طبع الكتاب طبعات متعددة ، ويقع في (١٥٢) صفحة من القطع الصغير، وقد صدر عن المكتب الإسلامي.

مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السلف

هذه الرسالة استخلصها الشيخ الإمام من كتابه «حجة النبي ﷺ »، وهي من رسائل الشيخ التي تفردت بالأحاديث النادرة التي لا توجد في غيرها من رسائل ومصنفات ألفت في الحج، وكذلك بالمسائل الفقهية القيمة التي نقلها في كتب السلف المطبوعة والمخطوطة.

يقول الشيخ: «أما بعد فقد دعت الرغبة في تيسير العلم لعامة الناس إلى تبسيط مناسك الحج وذلك باستخلاصها من كتابي «حجة النبي ﷺ كما رواه عنه جابر رضي الله عنه على النحو الذي جريت عليه في رسالتي «تلخيص صفة صلاة النبي ﷺ » غير أنني زدت فيه زيادات هامة استدركت بها ما لم يرد ذكره من المناسك في «حجة النبي ﷺ » ولا في التعليق عليها ، وقد عنيت عناية خاصة بتخريج هذه الزيادات ، وكذلك الفوائد الأخرى التي أوردتها فيه على النحو الذي جرينا عليه في سائر كتبنا ، مع ذكر مرتبة الحديث ومصدره لكن على طريقة الاختصار، مع الإحالة في غالب الأحيان إلى كتبي الأخرى ما طبع منها وما لم يطبع وأما ما كان في كتاب «الحجة » فلم أعن بتخريجه اكتفاء بأن الكتاب متوفر بين أيدي القراء الكرام فمن شاء منهم التثبت من شيء منه فمن الميسور أن يراجعه وإليه الإشارة عند الإحالة عليه بكلمة «الأصل» وإتمامًا للفائدة نقلنا عنه بشيء من الاختصار الملحق بكلمة «الأصل» وإتماماً للفائدة نقلنا عنه بشيء من الاختصار الملحق الخاص ببدع الحج والزيارة وسميته «مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السلف».

* * *

الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام

أصل هذه الرسالة محاضرة ألقاها الشيخ الإمام في مدينة غرناطة «بأسبانيا» في شهر رجب عام ١٣٩٢هـ وأما موضوعها فقد لخصه لنا الأستاذ محمد عيد عباسي قائلاً: «... وقد تحدث فيها المؤلف عن موقف المسلم الصحيح من السنة ومكانتها وحجيتها: وجعلها في أربعة فصول، تحدث في الفصل الأول عن منزلة السنة في الإسلام، وواجب المسلمين في الرجوع إليها والاحتكام إليها، والتحذير من مخالفتها.

وتحدث في الفصل الثاني: عن بطلان محاولات الخلف لمخالفتها: وفساد ما تذرعوا به لذلك من القياس، وبعض القواعد الأصولية التي اصطنعوها، وضربوا بالسنة عرض الحائط من أجلها.

وأما الفصل الثالث: فقد خصصه المؤلف ـ حفظه الله تعالى ـ للتدليل على بطلان القاعدة التي وضعها بعض علماء الكلام قديمًا، وإشاعتها من بعض العلماء والدعاة حديثًا، وهي دعواهم أن حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة، وبين خطأ واضعي هذه القاعدة إذ فرقوا بسببها بين أحاديث العقائد وأحاديث الأحكام دون دليل صحيح ظاهر، وإنما لمجرد التوهم والتخييل. مما تجدر الإشارة إليه هنا أن هذا الموضوع قد تعرض له أستاذنا هنا بشيء من الاختصار؛ لأنه كان قد بحثه بحثًا مفصلاً موسعًا، واستقصى فيه أهم ما يمكن ذكره من الأدلة على بطلان ذاك الرأي، في رسالة خاصة عنوانها «حديث الآحاد والعقيدة» وهي محاضرة كان قد ألقاها في جمعية الشباب المسلم الواعي في دمشق مند نحو خمسة عشر عامًا، وكان لها أثر حميد في إضعاف انتشار الرأي المذكور، وإخراج مروِّجيه ومشيعيه في أوساط المثقفين، وقد يسر الله نشرها بعنوان «وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة».

وأما الفصل الرابع والأخير: من رسالتنا هذه فقد عرض فيه المؤلف الأمر الثالث والخطير الذي أدى إلى إضعاف مكانة السنة عند الناس أو تعطيل العمل بها، وذلك هو التقليد الذي عمَّ وطمَّ جميع نواحي الفكر والحياة في العالم الإسلامي لعدة قرون من الزمان، والذي أناخ بكلكله على العقول والنفوس، فأمات فيها الابتكار، وقتل العبقريات،

ودفن المواهب وحرم الناس فيما حرم من هدي ربهم سبحانه، وصدهم عن الانتفاع بالخير الذي جاءهم عن طريق محمد ﷺ ، ركونًا إلى اجتهادات علماء لم يرضوا لتلاميذهم أن يقلدوهم فيها من غير بصيرة، بل كل منهم نصح من بعده ألا يقدموا على كتاب الله وسنة رسوله شيئًا من الأقوال والآراء والاجتهادات ، أيا كان صاحبها ، كما أعلنوا براءتهم من كل قول أو اجتهاد أو فتوى تخالف قول الله وقول رسوله ورجوعهم عنها، في حياتهم وبعد مماتهم.

* * *

وجوب الأخذ بحديث الأحاد في العقيدة

كان السلف الصالح رضوان الله عليهم لا يفرقون بين الحديث الآحاد والحديث المتواتر في إثبات العقيدة ، فكانوا يثبتون العقيدة بأي نوع من النوعين.

ثم ظهرت بعد قرون الخيرية فكرة خاطئة تبناها بعض علماء الكلام وهذه الفكرة تقول: إن حديث الآحاد (رواية الفرد) ليس بحجة في العقائد الإسلامية ، وتبني هذا الرأي في الحديث طائفة من الكتاب والدعاة المسلمين حتى صار عند بعضهم أمرًا بديهيًا لا يحتمل النقاش والبحث، وغلا بعضهم فقال: إنه لا يجوز أن تبني عليه عقيدة أصلاً، ومن فعل ذلك فهو فاسق وآثم.

في القديم كتب في الرد على هؤلاء القائلين بذلك ابن حزم ـ رحمه الله ـ في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام». وتبعه ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة».

ونظرًا لخطورة هذا الموضوع في العصر الحديث وحيث إنه لا توجد رسالة جامعة مفصل فيها باطل هذا المذهب الذي نشأ قديمًا وتبناه حديثًا كثير من الذين عاشوا في بيئات مملوءة بالخرافة والبدعة والاستهانة بالسنة فنضحوا الجهل بين المسلمين ؛ لأنه كما يقول القائل: «الإنسان ابن بيئته» قام الشيخ الإمام متصديًا لهذه الحماقة السمجة بمحاضرة ألقاها في جمع من الشباب المسلم المثقف في دمشق، ثم بعد ذلك حوَّلت إلى رسالة ليعم النفع بها . وقد جمع الشيخ الإمام في هذه الرسالة من البراهين القاطعة والأدلة الناصعة على فساد الرأى المذكور ، وهتك الستر عما فيه من المغالطات والتلبيسات، مما كان له أثر طيب جدًا. والحمد لله رب العالمين على توفيقه في تحصين كثير من الشباب المسلم في جميع بقاع العالم ضد ذلك الرأي الخطير، وحمايتهم من الانجراف في تياره، فكان من أثره والحمد لله وخاصة في أرض الجزيرة أن ضعف انتشاره ورد على من يقول به في رسائل شتى ومقالات كثيرة في الصحافة ، فأفحم الداعين إليه والمتمسكين به. وقد رتبت الرسائل على عشرين وجهًا حوى كل وجه عل العلم الواضح والأدلة الكثيرة الساطعة . ومن تلك الوجوه الهامة الوجه العشرون ، يقول فيه:

هناك حكمة تروى عن عيسى عليه الصلاة والسلام تقول في حق المتنبئين الدجالين الكذبة : «من ثمارهم تعرفونهم» فمن شاء من المسلمين أن يعرف ثمرة ذلك القول الباطل: «إن العقيدة لا تثبت» بحديث الآحاد ، فليتأمل فيما سنسوقه من العقائد الإسلامية التي تلقاها الخلف عن السلف ، وجاءت الأحاديث متضافرة متوافرة شاهدة عليها، وحينئذ يتبين له خطورة ذلك القول الذي يتبناه المخالفون دون أن يشعروا بما يؤدي إليه من الضلال البعيد، من إنكار ما عليه المسلمون من العقائد الصحيحة . وهاك ما يحضرني الآن منها:

١ ـ نبوة آدم عليه السلام، وغيره من الأنبياء الذين لم يذكروا في القرآن.

٢ ـ أفضلية نبينا محمد ﷺ على جميع الأنبياء والرسل.

٣ ـ شفاعته ﷺ العظمى في المحشر.

٤ ـ شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته.

٥ ـ معجزاته ﷺ كلها ما عدا القرآن، ومنها معجزة انشقاق القمر، فإنها مع ذكرها في القرآن تأولوها بما ينافي الأحاديث الصحيحة المصرحة بانشقاق القمر معجزة لرسول الله ﷺ.

٦ ـ صفاته ﷺ البدنية وبعض شمائله الخلقية.

٧ ـ الأحاديث التي تتحدث عن بدء الخلق وصفه الملائكة والجن، والجنة ، والنار، وأنهما مخلوقتان ، وأن الحجر الأسود من الجنة (وقد صرح الشيخ شلتوت في كتابه (عقيدة وشريعة) ص ١١٣) بأنه حجر طبيعي من أحجار مكة كما أشار (ص ٢٤، ٢٥) إلا أنه لا يعتقد أن الملائكة خلقت من نور ».

٨ ـ خصوصياته ﷺ التي جمعها السيوطي في كتاب (الخصائص الكبرى) مثل دخول الجنة ورؤية أهلها وما أعد للمتقين فيها، وإسلام قرنيه من الجن وغير ذلك.

٩ ـ القطع بأن العشرة المبشرين بالجنة من أهل الجنة.

١٠ ـ الإيمان بسؤال منكر ونكير في القبر.

١١ ـ الإيمان بعذاب القبر.

١٢ ـ الإيمان بضغطة القبر.

١٣ ـ الإيمان بالميزان ذي الكفين يوم القيامة.

١٤ ـ الإيمان بالصراط.

١٥ ـ الإيمان بحوضه ﷺ ، وأن من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا.

١٦ ـ دخول سبعين ألفًا من أمته ﷺ الجنة بغير حساب.

١٧ ـ سؤال الأنبياء في المحشر عن التبليغ.

١٨ ـ الإيمان بكل ما صح في الحديث في صفة القيامة والحشر والنشر.

١٩ ـ الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، وأن الله تعالى كتب على كل إنسان سعادته أو شقاوته ورزقه وأجله .

٢٠ ـ الإيمان بالقلم الذي كتب كل شيء.

٢١ ـ الإيمان بأن القرآن كتاب الله حقيقة لا مجازًا.

٢٢ ـ الإيمان بالعرش والكرسي حقيقة لا مجازًا.

٢٣ ـ الإيمان بأن أهل الكبائر لا يخلدون في النار.

٢٤ ـ وأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة.

٢٥ ـ وأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء .

٢٦ ـ وأن لله ملائكة سياحين يبلغون النبي ﷺ سلام أمته عليه.

٢٧ ـ الإيمان بمجموع أشراط الساعة كخروج المهدي ، ونزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال، ودابة الأرض من موضعها ، وغيرهما مما صحت به الأحاديث.

٢٨ ـ وأن المسلمين يفترقون على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة ،وهي التي تتمسك بما كان عليه الصحابة من عقيدة وعبادة وهدى.

٢٩ ـ الإيمان بجميع أسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا مما جاء في السنة الصحيحة ،

كالعلي والقدير وصفة الفوقية والنزول وغيرها .

٣٠ ـ الإيمان بعروجه ﷺ إلى السماوات العلى، ورؤيته آيات ربه الكبرى.

هذه بعض العقائد الإسلامية الصحيحة التي وردت في الأحاديث الثابتة المتواترة أو المستفيضة ، وتلقتها الأمة بالقبول ، وهي تبلغ المئات ، وما أظن أحداً من المسلمين يجرؤ على إنكارها ، أو التشكيك فيها، وإن كان ذلك يلزم الذين لا يثبتون العقيدة بحديث الآحاد ، هدانا الله تعالى وإياهم إلى سواء السبيل ، فماذا بعد الحق والنور إلا الضلال المبين والظلمات .

* * *

منزلة السنة في الإسلام

أصل هذه الرسالة محاضرة كان الشيخ الإمام قد ألقاها في مدينة الدوحة عاصمة قطر، في شهر رمضان المبارك من عام ١٣٩٢هـ وقد اقترح بعض الإخوان على الشيخ طبعها لما فيها من فوائد هامة، ولحاجة المسلمين إلى مثلها، واستحسانًا لطلبهم نشرها الشيخ تعميمًا للنفع بها، ومراعاة للذكرى والتاريخ ، وقد أضاف إليها بعض العناوين التفصيلية إعانة للقارئ الكريم على استجماع أفكارها الرئيسية.

ورسالة منزلة السنة في الإسلام: هي بيان أهمية السنة في التشريع الإسلامي. وقد قسم الشيخ الرسالة إلى:

منزلة السنة في الإسلام، وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن.

وظيفة السنة مع القرآن.

ضرورة السنة لفهم القرآن وأمثلة على ذلك .

ضلال المستغنين بالقرآن عن السنة.

عدم كفاية اللغة وحدها لفهم القرآن .

تنبيه هام:

ومن البديهي بعد هذا أن أقول:

إن السنة التي لها هذ الأهمية في التشريع ، إنما هي السنة الثابتة عن النبي ﷺ بالطرق العلمية والأسانيد الصحيحة المعروفة عند أهل العلم بالحديث ورجاله، وليست هي التي في بطون مختلف الكتب من التفسير والفقه، والترغيب والترهيب، والرقائق والمواعظ وغيرها، فإن فيها كثيرًا من الأحاديث الضعيفة والمنكرة والموضوعة ، وبعضها مما يتبرأ منه الإسلام مثل حديث هاروت وماروت [1] ، وقصة الغرانيق ،ولي رسالة في إبطالها وهي

(١) أي الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع نبي=

مطبوعة(١) ، وقد خرجت طائفة كبيرة منها في كتابي الضخم «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة » وقد بلغ عددها حتى الآن قرابة أربعة آلاف حديث! وهي ما بين ضعيف وموضوع.

فالواجب على أهل العلم ، لا سيما الذين ينشرون على الناس فقههم وفتاواهم أن لا يتجرؤوا على الاحتجاج بالحديث إلا بعد التأكد من ثبوته.

* * *

= الله ﷻ يقول: «إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض قالت الملائكة أي رب : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾[البقرة] قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم ، قال الله تعالي للملائكة : هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان قالوا: ربنا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك فقالا: والله لا نشرك بالله شيئًا أبدًا، فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي، فقالا: لا والله لا نقتله أبدًا، فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت :لا والله حتى تشربا هذا الخمر، فشربا فسكرا ، فوقعا عليها، وقتلا الصبي، فلما أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما شيئًا أبيتماه علي إلا قد فعلتماه حين سكرتما، فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا». وقد بين الشيخ الإمام ضعف هذا الحديث في «الضعيفة» (١٧٠).

(١) سيأتي التعريف بها .

نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق

قصة الغرانيق ، هي الأكذوبة الخبيثة البلهاء التي تزعم أن النبي ﷺ قد مدح آلهة المشركين، وذلك عندما قرأ من سورة النجم قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠)﴾[التجم] فزعموا أن الشيطان قد ألقى على لسانه ﷺ جملة: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى!!، فقال المشركون: ما ذكر محمد آلهتنا بخير قبل اليوم، فلما سجد رسول الله ﷺ في خاتمه سورة النجم سجد المشركون معه، لأنه مدح آلهتهم !!

وقد تصدى الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ لبيان بطلان هذه القصة في رسالة بعنوان «نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق »، فساق روايات القصة وبين عللها من ناحية أسانيدها ، ثم بين بطلان القصة من ناحية متنها، ثم قام بالرد على من أثبتها من أهل العلم .

وقد ذكر الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ الباعث له على تصنيف هذه الرسالة، فقال في مقدمته لها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الذي اصطفى نبينا على سائر الأنبياء ، وعصمه من الشيطان أن يوحي إليه بشر، فقال مخاطبًا إبليس اللعين: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢] بل جعل الله تعالى له السلطة على شيطانه القرين، فكيف من كان عنه من المبعدين؟ كما أشار إلى ذلك قول الرسول ﷺ : «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن** » ، قالوا: وإياك يا رسول الله ؟ قال: «**وإياي إلا أن الله قد أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير**»(١) وصلى الله على محمد الذي مكنه الله تعالى من إبليس حتى كاد يخنقه، وعم أن يربطه بسارية من سواري مسجد المدينة، (جاء ذلك في صحيح البخاري).

مكَّنه الله تعالى من إبليس حتى كاد يخنقه، وهمَّ أن يربطه بسارية من سواري مسجد المدينة، (جاء ذلك في صحيح البخاري).

---

(١) رواه أحمد ومسلم عن ابن مسعود.

وبعد، فقد كتب بعض الأساتذة من الإخوان الباكستانيين إلى الشيخ يسألونه عن رأيه في حديث الغرانيق الذي اختلف فيه قول حافظين كبيرين، هما ابن كثير الدمشقي وابن حجر العسقلاني. فقد أنكره الأول وقواه الآخر.

يقول الشيخ: فطلب مني أن لا أضن بالجواب عليه، فلبثت بعض الأشهر أترقب فرصة أستطيع فيها إجابة طلبه، ثم لقيني أحد الأحبة عقب صلاة عيد الأضحى لهذه السنة ١٣٧١هـ فسألني عن حديث الغرانيق، فأجبته بأنه لا يصح ، بل هو موضوع ، فذكر لي أن أحد الشباب ممن في قلوبهم مرض قد احتج به على أن النبي ﷺ كان ـ وحاشاه ـ يتكلم بما يرضي المشركين جذبًا لهم إليه؛ لأنه بزعمه الباطل لم يكن نبياً صادقًا، وإنما كان يتظاهر بذلك ترؤسًا عليهم كما يهدف بذلك بعض الملاحدة قديمًا وحديثًا، فحملني ذلك على أن أغتنم فرصة العيد المذكور ، فشرعت ـ متوكلاً على الله الغفور ـ في جمع طرق تلك القصة من كتب التفسير والحديث وبنيت عللها متنًا وسندًا، ثم ذكرت قول الحافظ ابن حجر في تقويتها، وتعقبته بما يبين ، وهن ما ذهب إليه، ثم عقبت على ذلك بذكر بعض البحوث والنقول عن بعض الأئمة الفحول ذوي التحقيق في الفروع والأصول، تؤيد ما ذهبنا إليه من نكارة القصة وبطلانها، ووجوب رفضها، وعدم قبولها تصديقًا لقوله تعالى: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الفتح: ٩] ، فجاءت رسالة فريدة في بابها ، قوية في موضوعها، ترفع حيرة الأخ المؤمن، وتطيح بشبهة الملحد الأرعن، وقد سميتها «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق».

* * *

سلسلة الأحاديث الصحيحة

وشيء من فقهها وفوائدها

كانت بداية هذه السلسلة تنشر في مجلة « التمدين الإسلامي » بدمشق على شكل مقالات تحتوي على أحاديث صحيحة في مختلف الأبواب والفصول والفوائد ، ثم رأى الشيخ الإمام أن يجمعها في كتاب واحد في كل مجلد (٥٠٠) حديث، وذلك تحقيقًا لرغبات الكثير من طلبة العلم، وتحقيقًا لنشر التعاليم الإسلامة الصحيحة، التي لا مصدر لها غير القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

وحين كان الشيخ ـ رحمه الله ـ تعالى يقوم بالتحذير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ويبين أثرها السيء في الأمة، وينشر ذلك بشكل متتابع في مجلة (التمدن الإسلامي) ، والتي تلقاها طلبة العلم بقبول حسن، فقد تبين له أنه مجرد التحذير من الضعيف والموضوع لا يكفي، ولا تتم الفائدة به، بل لا بد من تقديم الأحاديث الصحيحة إلى جانبها، وبذلك قام بالجمع في المعالجة بين بيان الداء وتقديم الدواء في وقت واحد.

وكان غرضه الأول من هذه المقالات تحقيق القول بصحة الأحاديث والكلام على أسانيدها وطرقها ورواتها على طريقة أهل الحديث، وفي حدود علم المصطلح ، مع البعد عن الإطالة ما أمكن ذلك ، مع الكلام على بعض المسائل الفقهية والفوائد اللغوية وغير ذلك ، ومع الربط بين مفرداتها أحيانًا ، بحيث يتألف منه موضوع خاص قائم بذاته يمكن أن يُجعل منه أصلاً أو محاضرة أو خطبة.

وقد صدر من الكتاب (٦) مجلدات كل منها (٥٠٠) حديث، وقد صدر المجلد السادس في قسمين .

وبعد وفاة الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ صدرت الأجزاء التي كان الشيخ قد انتهى منها بمعرفة مكتبة المعارف بالرياض، وقال الناشر في مقدمته:

بين يديك أخي القارئ ـ آخر ما كتب الشيخ من «السلسلة الصحيحة» وهو يضم

المجلد السابع (٣٠٠١ ـ ٣٥٠٠) والمجلد الثامن (٣٥٠١ ـ ٤٠٠٠) ، وبداية المجلد التاسع (٤٠٠١ ـ ٤٠٣٥) وننبه هنا أننا وجدنا قفزاً في الترقيم في المجلد الثامن بعد الحديث (٣٦٢٤ ـ ٣٩٢٧) وقفزاً آخر في الترقيم في المجلد التاسع (٤٠٠٦ ـ ٤٠٣٣) ولم نعلم سببها فسقط بذلك (٣٤٠) حديثًا، وقد رأينا الإبقاء على هذا الوضع لأهمية الترقيم الذي كان يعتمده الشيخ ـ رحمه الله ـ حيث إنه يحيل في كتبه على أرقام الأحاديث التي يحققها ويرقمها بترقيمه الخاص.

* * *

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثره السئ في الأمة

لقد ابتلي المسلمون منذ القرون الأولى بانتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة بينهم، وقد قام الكثير من العلماء علاوة على العامة باستعمالها وروايتها إلا القلة القليلة من أهل العلم بالحديث، مما أدى إلى انتشار مفاسد كثيرة في أوساط المسلمين ، منها ما هو في الأمور الاعتقادية الغيبية، ومنها ما هو من الأمور التشريعية وغيرها.

وقد قام أهل العلم بالحديث من النقاد بكشف القناع عن هذه الأحاديث، ومن قاموا بوضعها من المغرضين، والكشف عن غاياتهم الخبيثة، والحكم على هذه الأحاديث ، وبيان ضعفها أو وضعها وفق قواعد رصينة، وأصلوا لذلك مجموعة من الضوابط، من أتقنها وأحسن التعامل معها أمكنه أن يعرف درجة أي حديث، ولو لم ينصوا على حكمه، وذلك وفقًا لقواعد مصطلح الحديث.

وقد ألف العلماء في هذا الباب مؤلفات كثيرة في الكشف عن هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة، مثل كتاب (المقاصد الحسنة) للحافظ السخاوي ونحوها كتب التخريجات، فإنها تبين حال الأحاديث الواردة في كتب من ليس من أهل الحديث وما لا أصل له من تلك الأحاديث، مثل كتاب: «نصب الراية لأحاديث الهداية» للحافظ الزيلعي ، «والمغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما فى الإحياء من الأخبار» للحافظالعراقى، «تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعي الكبير» للحافظ ابن حجر العسقلاني ،و«تخريج أحاديث الكشاف» له و«تخريج أحاديث الشفاء » للشيخ السيوطي ، وكلها مطبوعة.

وقد سلك هؤلاء العلماء أساليب سهلة لتقريب هذه الأحاديث لطلبة العلم، ورغم هذا التسهيل إلا أن طلبة العلم والمرشدين والوعاظ انصرفوا إلى استعمال هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة في دروسهم ومواعظهم دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن صحة ما يروون أو ضعفه، وهو لا شك من الأمور الخطيرة التي تُوقع أصحابها تحت الوعيد بالكذب على رسول الله ﷺ .

ونتيجة لخطورة هذا الأمر على حياة المسلمين فقد انبرى الشيخ الألباني رحمه الله للمساهمة في تقريب سبيل الاطلاع على هذه الأحاديث الضعيفة التي يسمعها الناس في هذا العصر أو يقرؤونها في كتاب متداول، مما ليس له أصل يثبت عند المحدثين ، أو له أصل موضوع .

ولم يتقيد الشيخ الألباني فيما ساقه من الأحاديث بترتيب خاص ، بل ساقها حسبما اتفق ، ولكنه استدرك عدم الترتيب بفهارس مختلفة، منها فهرس وفق الموضوعات ، والكتب الفقهية ، وكذلك الأمر في الصحيحة.

ومحاكمًا لها بناءً على قواعد علوم المصطلح ، وقد صدر من الكتاب حتى الآن ما يقارب (٣٥٠٠)حديث في (٧) مجلدات ضخمة ، وسينتهي به المطاف إلى (١٤) مجلدًا، وقد أجاد الشيخ ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب وكشف عن علم غزير ، وفوائد كثيرة.

وقد طبع بعد وفاة الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ من المجلد الثامن حتى المجلد الثالث عشر. وقد طبعت هذه المجلدات مكتبة المعارف بالرياض، وقال الناشر في مقدمة المجلد الثامن بعد خطبة الحاجة:

أما بعد: فهذا هو المجلد الثامن من «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» للشيخ المحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ وهو واحد من أربعة عشر مجلدًا من هذه «السلسلة الضعيفة» وتضم سبعة آلاف حديث تقريبًا ، طبع نصفها ، ونسأل الله أن ييسر إخراج بقيتها في أقرب وقت وعلى أحسن صورة ممكنة بفضله وكرمه.

* * *

صلاة التراويح

هذه الرسالة تحدث فيها الشيخ عن صلاة التراويح بصورة عامة، وعن التحقيق في عدد ركعاتها بصورة خاصة:

وتتألف الرسالة من ثمانية فصول:

١ ـ تمهيد في استحباب الجماعة في التراويح.

٢ ـ لم يصل ﷺ التراويح أكثر من إحدى عشر ركعة.

٣ ـ اقتصاره على الإحدى عشرة ركعة دليل عدم جواز الزيادة عليها.

٤ ـ إحياء عمر لسنة الجماعة في التراويح وأمره بإحدى عشر ركعة.

٥ ـ لم يثبت أن أحدًا من الصحابة صلاها عشرين.

٦ ـ وجوب التزام بالإحدى عشرة ركعة والدليل على ذلك.

٧ ـ الكيفيات التي صلى عليه الصلاة والسلام بها صلاة الوتر.

٨ ـ الترغيب في إحسان الصلاة والترهيب من إساءتها.

وفي تضاعيف ذلك فصول أخرى فرعية، وفوائد فقهية وحديثية، وغير ذلك وهي تعتبر من الرسائل الفريدة في بابها لم يفرد في القرون السابقة مثيل لها لما اشتملت عليه من الفقه مع بيان درجة الأحاديث من حيث الصحة والضعف، وقد أورد الشيخ كذلك أحاديث وآثارًا لم تكن معروفة عند الكثير ممن يشتغلون في هذا الفن.

* * *

قيام رمضان وبحث عن الاعتكاف ـ وكيفية أدائه ومشروعية الجماعة فيه ـ ومعه بحث قيم عن الاعتكاف

في هذا البحث القيم يبين الشيخ فضل قيام رمضان وفضل إحيائه بالذكر والصلاة، وليلة القدر وتحديدها ، ومشروعية الجماعة في القيام وأنها أفضل من الانفراد، وذلك بدليل فعل النبي ﷺ بنفسه لها، كما قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه في الحديث المبين في الرسالة ومن جانب آخر مشروعية صلاة الجماعة للنساء وذلك لحديث عرفجة الثقفي المذكور في الرسالة.

وبين الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ عدد ركعات القيام، والقراءة فيها، ووقتها ، والكيفيات التي تصلى بها صلاة الليل؛ وهي ست كيفيات مشروعة مع أدلتها من صحيح السنة المرفوعة والموقوفة. وهكذا في الوتر. وأفرد بحثًا قيمًا في الاعتكاف وأحكامه ورتبه ترتيبًا علميًا مفيدًا، وطعمه بما صح من الآثار النبوية القيمة، فأضحت الرسالة مفيدة قيمة مختصرة لمن أراد أن يطلع على سنن الرسول ﷺ ، وأصحابه وسلف هذه الأمة بهذه الشعيرة العظيمة.

وقد افتتحها ببعض الفوائد العلمية التي هي من عادة الشيخ الإمام رحمه الله .

هذا وقد صدرت الطبعة الأولى من هذه الرسالة بمعرفة المكتب الإسلامي، ثم أصدر الشيخ ـ رحمه الله ـ طبعة ثانية بمعرفة المكتبة الإسلامية بعمان الأردن، وقد أضاف الشيخ لهذه الطبعة زيادات وفوائد مهمة. وقال في مقدمتها:

الحمد لله ، وصلاة وسلامًا على رسول الله ، وآله وصحبه، ومن اتبع سنته ووالاه.

أما بعد، فهذه هي الطبعة الثانية لرسالتي «قيام رمضان» أقدمها إلى القارئ الكريم بمناسبة قرب شهره المبارك سنة (١٤٠٦ هـ) بعد أن نفذت نسخ الطبعة الأولى ، وكثرت الطلبات عليها فأعدت النظر فيها ، فهذبتها ، ونقحتها وألحقت بها تخريجات عديدة ، وفوائد جديدة تسر الناظرين إن شاء الله تعالى،ومن أهمها ما يراه القارئ في «الاعتكاف».

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل الصواب حليفي، وأن يغفر لي ما تبا عن الصواب فهمي ، وندَّ عنه قلمي، وأن يجعله خالصًا لوجهه ، إنه غفور كريم.

عمان ٧ شعبان سنة ١٤٠٦ هـ.

وكتبه / محمد ناصر الدين الألباني

صلاة العيدين في المصلى خارج البلد هي السنة

صدرت الطبعة الثالثة من هذه الرسالة سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م وذلك بمعرفة المكتبة الإسلامية بعمان الأردن ـ وقد قال الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ في مقدمته ـ بعد خطبة الحاجة:

أما بعد: فهذه رسالة لطيفة في إثبات أن «صلاة العيدين في المصلى وخارج البلد هي السنة» كنت ألَّفتُها منذ أكثر من ثلاثين سنة، ردًا على بعض المبتدعة الذين حاربوا إحياءنا لهذه السنة في دمشق المحروسة أشد المحاربة، بعد أن صارت عند الجماهير نسيًا منسيًا، لا فرق في ذلك بين الخاصة والعامة؛ إلا من شاء الله وقليل ما هم، مثل كثير من السنن التي وفقنا الله تبارك وتعالى لإحيائها، وله الفضل والمنة ـ حاربوا هذه السنة وحاربوا القائمين بها محاربة شديدة لا هوادة فيها بألسنتهم وأقلامهم، فألف بعضهم رسالة في الرد عليها، ولا أقول: علينا؛ لأننا لم نكن قد كتبنا ـ بعد ـ شيئًا في هذا الصدد ـ بعنوان «الإصابة في نصرة الخلفاء الراشدين والصحابة» ولذلك غص ردهم بكثير من الاتهامات، والأكاذيب، والافتراءات، على حد المثل السائر: رمتني بدائها وانسلت، فذكرنا ذلك بقول ابن مسعود رضي الله عنه:

«كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة، إذا ترك منها شيء قيل: تركت السنة؟.

قالوا: ومتى ذاك؟ قال: إذا ذهبت علماؤكم، وكثرت قراؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين»(١).

فلما وجدت ذلك منهم، رأيت لزامًا علي أن أرد عليهم، وأكشف للناس عن إفكهم، وعن جهلهم بالسنة وبمذاهب الأئمة، وسلف هذه الأمة، الذين تظاهروا بالانتصار لهم والدفاع عنهم! فكان من ذلك هذه الرسالة، وقضى بها على فتنتهم ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥)﴾ [الزمر: ٧٥]...

ثم إن مما ينبغي التنبيه عليه أن هذا الإقبال الظاهر على إقامة صلاة العيد في المصلى وإن كان يبشر بخير، فإني أرجو أن يكون من قبيل «أول الغيث قطر ثم ينهمر»، فإن من تمام السنة فيها أن تقام خارج البلد، وليس فيه خارج المسجد، كما هو الواقع في عدة

(١) هذا الأثر صححه الشيخ الإمام ـ رحمه الله في رسالة « قيام رمضان » (ص٤).

مصليات في عمان أو غيرها.

هذا أولاً.

وعليهم ثانيًا أن يحرصوا ـ ما أمكنهم ـ على توحيد المصليات ، وأن يجتمعوا جميعًا في مصلى واحد ، ويدعوا التفرق فيها وإلا خرجت هذه السنة عن الغاية المرجوة منها من التعبيد في مكان واحد، وإلا صارت القضية شكلية بحتة، فقد كانت تفرقًا في المساجد ، فعادت تفرقًا في المصليات ، والله تبارك وتعالى يقول للمؤمنين:

﴿ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) ﴾ .[الروم : ٣١ ـ ٣٢]

وختامًا آمل ممن اطلع على هذه الرسالة أو غيرها من تأليفي أن ينظر فيها بعين الأخوة الصادقة ، والمودة الخالصة، والنصح الواجب على كل مسلم؛ وأن يتقبلها بقبول حسن ، وأن أحظى منه بدعوة صالحة خالصة ، عسى أن تنفعني إن شاء الله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ .[الشعراء:٨٨، ٨٩]

عمان ـ ٢٠ رمضان المبارك سنة ١٤٠٦هـ .

وكتب

محمد ناصر الدين الألباني

أبو عبد الرحمن

تحريم آلات الطرب

هذه الرسالة صنفها الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ للرد علي القائلين بإباحة المعازف والغناء، وبالأخص منهم الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ ولذا جاء عنوان هذه الرسالة كاملاً هكذا:

تحريم آلات الطرب
أو
الرد بالوحيين وأقوال أئمتنا
على
ابن حزم ومقلديه المبيحين للمعازف والغنا
وعلى
الصوفيين الذين اتخذوه قربة ودينًا

وقد قال الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ في مقدمته لهذه الرسالة :

في غرة شهر شعبان في سنة (١٣٧٥هـ) ، أوقفني بعض الإخوان على مجموعة «رسائل ابن حزم الأندلسي» بتحقيق الدكتور إحسان رشيد عباس في جملتها «رسالة في الغناء الملهي أَمُبَاحٌ هو أم محظور؟ » ذهب فيها إلى إباحة الغناء وآلات الطرب على اختلاف أنواعها، فتصورت مبلغ الأثر السئ الذي سيكون لهذه الرسالة في قلوب قرائها من الخاصة وطلاب العلم؛ فضلاً عن العامة وذلك لأمرين:

الأول: شهرة ابن حزم العلمية في العالم الإسلامي ، وإن كان ظاهري المذهب، لا يأخذ بالقياس، خلافًا للأئمة الأربعة وغيرهم.

والآخر: غلبة الهوى على أكثر الناس ،فإذا رأوا مثل هذا الإمام يذهب إلى إباحة ما يتفق مع أهوائهم ، لم يصدهم شيء بعد ذلك عن اتباع أهوائهم، بل قد يجدون فيما يسمعون من بعض المشايخ ما يسوغ لهم تقليدهم إياه،كقولهم: «من قلد عالماً لقي الله سالمًا» ،وبعضهم يتوهمه حديثًا، ولا أصل له[1] وإن كان ابن حزم ـ رحمه الله ـ ينهى عن

(١) انظر «الضعيفة» (٢/ ٢٩ / ٥٥١).

التقليد ، ويحرمه أشد التحريم.

يضاف إلى ذلك قلة العلماء الناصحين الـذين يذكِّرون الناس بالحكم الصحيح في هذه المسألة، والأحاديث الصحيحة الواردة فيها ، وكثـرة ما يكتب ويذاع مخالفًا لها، فيتوهمون أن ما قالـه ابن حزم صحيح لا سـيما وهم يقرؤون لبـعض العلماء المعاصرين فـتاوى تؤيد مذهبـه، وتنشر في بعض المجلات الإسـلامية السـيارة ، أو تذاع بالتلفـاز في بعض البلاد العربية..

من أجل ذلك رأيت أنه لابد من تأليف رسالة أبين فـيها حكم الشرع في المـوسيقي ، وأرد على ابن حزم قوله بإباحتـها، وأبين أوهامه في تضعيفه الأحاديث الصحـيحة المحرمة لها،﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢] ،وبذلك تقوم الحـجة على من لا علم عنده ، ويتخذ منها المهتدي برهانًا لإقناع من يريد الهداية ، ويخشى ربه.

دمشق ٢٤ ـ شعبان سنة ١٣٧٥ هـ

محمد ناصر الدين الألباني

* * *

الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد

هذا الكتاب ألَّفه الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ بناءً على طلب من الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ، وقد ردَّ فيه الشيخ الإمام على مقالة للمدعو عبد القدوس الهاشمي ذهب فيها إلى دعوى خطيرة ، وهي عدم صحة نسبة المسند إلى الإمام أحمد، وطعن فيها في عقيدة راويه أبي بكر القطيعي، وفي خُلقه أيضا.

ونزولاً عند رغبة الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ قام الشيخ بدراسة المقال المشار إليه آنفًا، وقام بتلخيص أبرز الدعاوى التي ادعاها عبد القدوس في فقرات تهيئةً للرد عليها ، وأبرز هذه الفقرات ما يلي:

١ ـ أن مسند الإمام أحمد ليس من مؤلفاته ، وأنه لا يصح نسبته إليه.

٢ ـ أن عبد الله ابن الإمام أحمد زاد فيه من مروياته.

٣ ـ أن ذلك كله وصل بطريقة مجهولة إلى القطيعي.

٤ ـ أن القطيعي كان فاسد العقيدة من أشرار الناس.

٥ ـ أنه أدخل في المسند أحاديث موضوعة كثيرة حتى صار ضعفيه.

ثم قام الشيخ ـ رحمه الله ـ بالرد بشكل إجمالي بين فيه أن المسند قد تلقاه أهل العلم مطلقًا بالقبول، وأحاطوه بالتبجيل، واعتبروه من مصادر السنة الواجب إحاطتها بالاحترام، لا فرق في ذلك بين الفقهاء والمحدثين والمفسرين،وغيرهم من علماء الإسلام،بحيث إنه قل كتاب من كتبهم إلا وفيه أحاديث منقولة عنه،بعضهم بالإسناد، وبعضهم بالعزو إليه، وفيهم كبار الحفاظ والمحدثين المتقدمين والمتأخرين، كالحافظ ابن عساكر ،وضياء الدين المقدسي ، والمجد ابن تيمية، وحفيده شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وابن كثير، والنووي ،وابن حجر العسقلاني والزيلعي، والعراقي،والسيوطي، وغيرهم كثير جدًا.

وهذا يتبين منه أحد أمرين:

إما أن يكون هؤلاء العلماء الأكابر على خطأ وضلال حين اعتمدوا على كتاب لم

تصح نسبته إلى صاحبه.

والثان: أن يكون هذا الهاشمي على ضلال وخطأ لمخالفته لعلماء المسلمين كافة في جميع الأزمان والأقطار . والثاني هو الأصوب والله أعلم.

ثم قام الشيخ ـ رحمه الله ـ بالرد التفصيلي على هذه الفقرات حتى أتى عليها من أساسها، في رد علمي متين ومركز.

وقد طبع الكتاب في (١٠١) صفحة، وصدر عن دار الصديق في السعودية، وطبعت طبعته الأولى عام ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م.

* * *

التعريف ببعض تخريجات وتحقيقات الشيخ الإمام رحمه الله

إرواء الغليل

في تخريج أحاديث منار السبيل

يُعدُّ هذا الكتاب من أعظم كتب الشيخ وأجمعها للفوائد الحديثية، ومن أمتنها تخريجًا للأحاديث ، وقد كلفه من الجهد والوقت سنوات طويلة من عمره ـ رحمه الله ـ فهو تخريج لكتاب فقه في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، ويعد كتاب (الإرواء) من الأعمال الكبيرة حيث طبعه المكتب الإسلامي في (٨) مجلدات، واحتوى على تخريج (٢٧٠٧) حديث.

قال الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ : إن الباعث على هذا التخريج كان أموراً أذكر أهمها:

الأول: أن أصله: «منار السبيل...» هو من أمهات كتب مذهب الإمام أحمد إمام السنة الذي جمع من الأحاديث مادة غزيرة قلَّما تتوفر في كتاب فقهي آخر في مثل حجمه، إذ هو جزءان فقط ـ حتى بلغ عددها ثلاثة آلاف حديث أو زادت جلها مرفوعة إلى النبي ﷺ.

الثاني: أنه لا يوجد بين أيدي أهل العلم وطلابه كتاب مطبوع في تخريج كتاب في الفقه الحنبلي كما للمذاهب الأخرى، خذ مثلاً كتاب «نصب الراية لأحاديث الهداية» في الفقه الحنفي، للحافظ جمال الدين الزيعلي، و«تلخيص ابن حجر العسقلاني» فرأيت أن من واجبي تجاه إمام السنة ، ومن حقه عليَّ أن أقوم بخدمة متواضعة لمذهبه وفقهه ـ رحمه الله تعالى ـ وذلك بتخريج هذا الكتاب.

الثالث: أنني توخيت بذلك أن أكون عونًا لطلاب العلم والفقه عامة، والحنابلة منهم خاصة ، الذين هم ـ فيما علمت ـ أقرب الناس إلى السنة على السلوك معنا في طريق الاستقلال الفكري الذى يعرف اليوم بـ (الفقه المقارن) ، هذا الفقه الذى لايعطيه حقه اليوم ـ أكثر الباحثين فيه، والمدرسين لمادته في (كليات الشريعة) المعروفة الآن، فإن من حقه أن لا يستدل فيه بحديث ضعيف لا تقوم به حجة.

فترى أحدهم ، يعرض لمسألة من مسائله، ويسوق الأقوال، المتناقضة فيه، ثم لا يذكر الأقوال التفصيلية ، فإذا كان فيها شيء من الأحاديث النبوية، حشرها حشرًا ، دون أن يبين ويميز صحيحها من حسنها، بل ولا قويها ولا ضعيفها ، فيكون من نتيجة ذلك وآثاره السيئة أن تتبلبل أفكار الطلاب وتضطرب آراؤهم في ترجيح قول على قول آخر، ويكون عاقبة ذلك أن يتمكن من قلوبهم الخطأ الشائع: إن الحق يتعدد بل صرح بعضهم أخيرًا فقال: إن هذه الأقوال المتعارضة كلها شرع الله! وأن يزدادوا تمسكًا بالحديث الباطل: «اختلاف أمتي رحمة» وقد تنقلب العصبية المذهبية على أحدهم، وقد يكون هو أستاذ المادة نفسه فيرجح من تلك الأقوال الموافقة لمذهبه، وينتصر له بحديث من تلك الأحاديث وهو لا يدري أنه حديث ضعيف عند أهل الحديث أو نقاده، والمنهج العلمي الصحيح يوجب عليه أن يجري عملية تضعيفه بين تلك الأحاديث المتعارضة ، المستدل بها للأقوال المتناقضة ، فما كان منها ضعيفًا لا تقول به حجة تُركت جانبًا ، ولم يجز المعارضة بها، وما كان منها صحيحًا أو ثابتًا جمع بينها بوجه من وجوه التوفيق المعروفة في علم أصول الفقه وأصول الحديث، وقد أوصلها الحافظ العراقي في حاشيته على «علوم الحديث» لابن الصلاح إلى أكثر من مائة وجه...

من أجل ذلك كان هذا التخريج النافع إن شاء الله تعالى.

واعلم أن فن التخريج ليس غاية في نفسه عند المحققين من المحدثين، بحيث يقتصر أمره على أن نقول مخرج الحديث: «أخرجه فلان وفلان و... عن فلان عن النبي ﷺ ، كما يفعله عامة المحدثين قديمًا، وحديثًا ، بل لابد أن يضم إلى ذلك بيانه لدرجة كونه ضعيفًا ، فإنه والحالة هذه لا بد له من أن يتتبع طرقه وشواهده لعله يرتقي الحديث بها إلى مرتبة القوة، وهذا ما يعرف في علم الحديث بالحسن لغيره، أو الصحيح لغيره.

وهذا في الحقيقة من أصعب أنواع علوم الحديث وأشقها؛ لأنه يتطلب سعة في الاطلاع على الأحاديث والأسانيد، فى بطون كتب الحديث مطبوعها ومخطوطها،ومعرفة جيدة بعلل الحديث وتراجم رجاله ،أضف إلى ذلك دأبا وجلَداً على البحث فلا جَرَمَ أنه تقاعس عن القيام بذلك جماهير المحدثين قديمًا ، والمشتغلين به حديثًا وقليل ما هم. على أنني أرى أنه لايجوز في هذه الأيام الاقتصار على التخريج دون بيان المرتبة ، لما فيه من إيهام القراء الذين يستلزمون من التخريج القوة ـ أن الحديث ثابت على كل حال.

وهذا مما لا يجوز، كما بينته في مقدمة : «غاية المرام» فراجعه فإنه هام.

من أجل ذلك فإني قد جريت في هذا التخريج كـغيره على بيان مرتبة كل حديث في أول السطر ثم أتبع ذلك بذكر من خرَّجـه ، ثم بالكلام على إسناده تصحيحًا أو تضـعيفًا، وهذا إذا لم يكن في مخـرجه أو أحدهمـا ، وإلا استغنيت بذلك عن الكلام ، كـما كنت بينته في مقدمتي لتخريج أحاديث «شرح العقـيدة الطحاوية» ومقدمتي على «مختصر مسلم» للمنذري.

وقد لا يتـيسـر لي الوقوف على إسناد الحـديث، وحينئـذ أنقل ما وقفت مـن تخريج وتحقيق لأهل العلم، أداءً للأمانة، وتبـرئة للذمة، ولكني في هذه الحالة أبيض الحديث على الغالب ، فلا أذكر له مرتبة.

* * *

الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات

للعلامة نعمان ابن المفسر الشهير / محمود الآلوسي

إن هذه الرسالة تعد من الرسائل القيمة التي نادرًا ما تجد في المذهب الحنفي من يؤلف مثلها.

يقول الشيخ: «واعلم أن هذه الرسالة وإن كان موضوعها في بيان حكم فقهي ، فذلك لا يعني ـ في اعتقادي ـ أنه له علاقة لها بما هو أسمى من ذلك وأعلى؛ ألا وهو التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، ودعاؤه تعالى دون سواه، ومن المعلوم أن الاعتقاد في أن الموتى يسمعون هو السبب الأقوى لوقوع كثير من المسلمين اليوم في الشرك الأكبر، ألا وهو دعاء الأولياء والصالحين وعبادتهم من دون الله عز وجل ، جهلاً أو عنادًا، ولا ينحصر في الجهال منهم، بل يشاركهم في ذلك كثير ممن ينتمي إلى العلم ـ بل وقد يظن الجماهير أنه من كبار العلماء! فإنهم يبررون لهم ذلك خطابة وكتابة بمختلف التبريرات التي ما أنزل الله بها من سلطان، والأحزاب الإسلامية كلها مع الأسف لا تعير لذلك اهتمامًا يذكر ؛ لأنه يؤدي ـ بزعم بعضهم ـ إلى الاختلاف والتفرقة ! مع أنهم يعلمون أن الأنبياء إنما كان أول دعوتهم ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] وخيرهم من يسكت عند قيام غيره بهذا الواجب.

ومن الظاهر أن ذلك الشيخ الذي ألف ـ وهو العلامة الآلوسي ـ هذه الرسالة في الرد عليه ـ كان منهم؛ولذلك ثارت ثائرته حينما صرح المؤلف ـ رحمه الله ـ في درسه بأن الموتى لا يسمعون؛ لأنه يعلم أن ذلك ينافي ما عليه أولئك الجهال من المناداة للأولياء والصالحين ، ودعائهم من دون الله عز وجل.

ويقول الشيخ: وفي ظني أن المؤلف ـ رحمه الله ـ ما ألف هذه الرسالة إلا تمهيدًا للقضاء على هذه الضلالة الكبرى، ألا وهي الاستغاثة بغير الله تعالى، على اعتبار أن السبب الأقوى الموجب لها عند من ضل من المسلمين، إنما هو الاعتقاد في أن الموتى يسمعون، فإذا تبين أن الصواب أن الموتى لا يسمعون لم يبق حينئذ معنى لدعاء الموتى من دون الله تعالى.

فإني لا أكاد أتصور ـ ولا غيري يتصور ـ مسلمًا يعتقد أن الميت لا يسمع دعاء داعيه، ثم هو مع ذلك يدعوه ومن دون الله يناديه، إلا أن يكون قد تمكنت منه عقيدة باطلة أخرى، هي أضل من هذه وأخزى، كاعتقاد بعضهم في الأولياء، أنهم قبل موتهم كانوا عاجزين، وبالأسباب الكونية مقيدين، فإذا ماتوا انطلقوا وتفلتوا من تلك الأسباب، وصاروا قادرين على كل شيء كرب الأرباب ولا يستغربَنَّ أحدٌ هذا ممن عافاهم الله تعالى من الشرك على اختلاف أنواعه، فإن في المسلمين اليوم من يصرح بأن في الكون متصرفين من الأولياء دون الله تعالى ممن يسمونهم هنا في الشام بـ (المدَّرِّكين) وبـ(الأقطاب) وغيرهم، وفيهم من يقول: «نظرة من الشيخ تقلب الشقي سعيدًا» ونحوه من الشركيات.

فإذا علمت أيها القارئ الكريم: أن الموتى يسمعون فقد تبين أنه لم يبق هناك مجال لمناداتهم من دون الله تعالى، ولو بطلب ما كانوا قادرين عليه وهم أحياء، كما تقدم بيانه، بحكم كونهم لا يسمعون النداء، وأن مناداة من كان كذلك والطلب منه سخافة في العقل، وضلال في الدين، وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

هذا ولما كان الواقع يشهد أنه لا يزال في هؤلاء المبتلين بنداء الموتى، والاستغاثة بهم من دون الله تعالى، من يرجو الآخرة، ويحرص على معرفة الحق واتباعه إذا تبين له. وهذا نصح من الشيخ للناس وهذا دليل على حبه لأمته في أن تسلك في طريق الحق والصواب ـ اقتطعت من وقتي الضيق ما مكنني من التعليق على هذه الرسالة النافعة إن شاء الله تعالى، وتحقيقها، وتخريج أحاديثها، ووضع هذه المقدمة بين يديها، راجيًا من المولى سبحانه وتعالى أن ينتفع بها المخصلون من المسلمين.

ويجعلنا وإياهم من ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ١٨].

هذا وقد قدم الشيخ لهذا الكتاب بمقدمة طويلة تقع في ست وخمسين صفحة، اختصرنا منها ما تقدم.

وقد قسم المؤلف الكتاب، وهو الآلوسي ، كتابه هذا إلى :

الفصل الأول: في نقل كلام الأئمة الحنفية في ذلك.

الفصل الثاني: في النقل عمن وافقه الحنفية في عدم السماع من المذاهب الثلاثة وغيرها.

الفصل الثالث: في حياة الأنبياء البرزخية ، وفي أن النعيم للروح والبدن وفقه زيارة القبور.

* * *

مختصر كتاب «العلو للعلي العظيم» للحافظ الذهبي

هذا الكتاب يعتبر من أهم ما ألف في مسألة «العلو للعلي العظيم».

وهو استواؤه على عرشه بالنقل الصحيح ، المؤيد بالآيات وقد اختصره الشيخ وحققه، وعلَّق عليه ، وخرَّج آثاره.

وقد قال الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ تحت عنوان:

موضوع الكتاب وخطورته:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا الكتاب قد عالج مسألة هي من أخطر المسائل الاعتقادية التي تفرق المسلمون حولها منذ أن وجدت المعتزلة حتى يومنا هذا، ألا وهي مسألة علو الله عز وجل على خلقه، الثابتة بالكتاب والسنة المتواترة، المدعمة بشاهد الفطرة السليمة ، وما كان لمسلم أن ينكر مثلها في الثبوت، لولا أن بعض الفرق المنحرفة عن السنة فتحوا على أنفسهم وعلى الناس من بعدهم باب التأويل ، فلقد كاد الشيطان به لعدوه الإنسان كيدًا عظيمًا ، ومنعهم به أن يسلكوا صراطًا مستقيمًا. . .

ثم بيَّن الشيخ ـ رحمه الله ـ منهجه في الاختصار فقال: وقد التزمت في اختصاره الأمور الآتية:

١ ـ حذف المكرر منه، وهو قليل.

٢ ـ الأحاديث الضعيفة التي ليس لها شواهد معتبرة، يمكن تقويتها بها على ما تقتضيه شروط التقوية المقررة في علم مصطلح الحديث . والمصنف نفسه لم يروها غالبًا، إلا لتعريتها والكشف عن حالها. . .

٣ ـ وقد أحذف ما صرح المؤلف بثبوته أو نقله عن غيره، لعلة قادحة ظهرت لي كحديث أبي هريرة مرفوعًا: «لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار قال: «اللهم إنك واحد في السماء، وأنا في الأرض واحد أعبدك» قال المؤلف (ص ٢١) «حسن الإسناد».

وأقول: كلا، فإن فيه علتين بينتهما في «الأحاديث الضعيفة» (١٢١٦).

وكحديث الأوعال الذي يروي عن العباس (ص ٤٩ ـ ٥٠)، وهو مُخَرَّج في «المصدر السابق» (١٢٤٧) . إلى غير ذلك من الأحاديث الضعيفة التي سكت المصنف عنها أو بيَّن ضعفها ، أو حسَّن بعضها، لذاتها أو لغيرها، وهي ليست كذلك عندنا . . .

٤ ـ وحذفت أيضًا ما جزمت بأنه من الإسرائيليات ، ولو كان صحيح الإسناد إلا إذا كان معناه موافقًا للكتاب والسنة.

٥ ـ وتسامحت في إيراد بعض الآثار والأقوال التي في السند إلى أصحابها ضعف أو جهالة ؛لأنها ليست كالأحاديث المرفوعة التي يجب الاحتجاج بها واتخاذها دينًا، وإنما ذكرت للاستئناس بها والاستشهاد فقط.

٦ ـ وحذفت من إسناد الحديث والأثر ما لا فائدة فيه بالنسبة لعامة القراء، لا سيما في هذا «المختصر» ، وإنما أبقيت الضروري منه كاسم الصحابي، أو التابعي، أو غيرهما ممن نسب القول إليه في السند.

٧ ـ وقد رقمت أحاديث الكتاب وآثاره برقم متسلسل من أوله إلى آخره.

وكذلك رقمت تراجم الأئمة الذين روى المصنف أو نقل عنهم القول بأن الله على العرش رقمتها متسلسلة، ووضعت بجانبها الأيسر[سنة ولادة المترجم ووفاته لأيسر بذلك] على القراء متابعة تسلسل القول بذلك من إمام إلى إمام، ومن سنة إلى ما بعدها، حتى آخر القرن السادس.

٨ ـ وخرجت أحاديث الكتاب وآثاره، وعزوت كل قول من الأقوال المذكورة فيه إلى مصدره الذي عزاه المصنف إليه، مطبوعًا كان أو مخطوطًا بقدر الإمكان ، وعلقت عليه بتعليقات مفيدة ، أكثرها في تحقيق الكلام على أسانيد تلك الآثار والأقوال.

للتثبت مما صحت منها نسبته إلى قائلها وما لم يصح ،فتبين لنا أن أكثرها صحيح ثابت ـ والحمد لله ـ على طريقة أهل الحديث ونقدهم للأسانيد.

٩ ـ وقد رأيت من تمام الفائدة أن أضع تعليقات مفيدة على أخباره، أهمها تخريج أحاديثه وآثاره، مع ترقيمها بأرقام متسلسلة من أول الكتاب إلى آخره.

وتعد المقدمة التي وضعها الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ لهذا المختصر من المقدمات الهامة جدًا في هذا الباب.

حيث رد فيها على المخالفين للسلف الصالح في مسألة العلو، من الأقدمين والمعاصرين.

كما نقل الشيخ كلامًا هامًا للخطيب البغدادي في هذه المسألة.

قال الشيخ الإمام: وهنا يطيب لى بهذه المناسبة أن أنقل من بعض المخطوطات فصلاً رائعًا من كلام بعض علماء السلف مما لم يطبع حتى الآن فيما علمت[1] وهو للخطيب البغدادي الحافظ المؤرخ المشهور... فرأيت أن أذكره هنا بنصه، إتمامًا للحجة على الخلف الذين يتوهم الكثير منهم ، أن القول بوجوب الإيمان بحقائق الصفات ومعانيها كما يليق بالله تعالى هو مذهب تفرد به ابن تيمية ومن اقتدوا به فيها، ولم يعلموا أنه ـ رحمه الله ـ تابع لهم في ذلك.

وإنما فضله في بيانه وشرحه له وإقامة الأدلة عليه بالمنقول والمعقول ، ودفع الشبهات عنه، وإلا فهو سلفي المعتقد ، وهو الواجب على كل مسلم ؛ ولذلك بادرنا إلى نشر كتاب الذهبي هذا.. لتعلم به ما قد يكون خافيًا عليك كما خفي على غيرك. فكان ذلك سببًا قويًا من أسباب الابتعاد عن العقيدة السلفية والطريقة المحمدية قال الحافظ الخطيب ـ رحمه الله تعالى:

«أما الكلام في الصفات ؛ فإن ما روي منها في السنن الصحاح ؛ مذهب السلف رضوان الله عليهم إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفى الكيفية والتشبيه عنها . وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله سبحانه ،وحققها من المثبتين قوم فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف . والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين ودين الله بين الغالي فيه والمقصر عنه».

والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله. فإذا كان معلومًا أن إثبات رب العالمين عز وجل إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف . فإذا قلنا: لله تعالى يد، وسمع، وبصر؛ فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه ولا نقول: إن معنى اليد

---

(١) قلت: وقد طبعت رسالة الخطيب البغدادي هذه بعد ذلك بتحقيق الأخ عمرو عبد المنعم سليم.

القدرة، ولا إن معنى السمع والبصر العلم. ولا نقول: إنها جوارح ، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح، وأدوات للفعل ، ونقول : إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنه لقوله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقوله عزوجل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

ولما تعلق أهل البدع على عيب أهل النقل برواياتهم هذه الأحاديث ولبَّسوا على من ضَعُفَ علمه بأنهم يروون ما لا يليق بالتوحيد ولا يصح في الدين ، ورموهم بكفر أهل التشبيه، وغفلة أهل التعطيل أجيبوا بأن في كتاب الله تعالى آيات محكمات يفهم منها المراد بظاهرها ، وآيات متشابهات لا يوقف على معناها إلا بردها إلى المحكم ، ويجب تصديق الكل والإيمان بالجميع ؛ فكذلك أخبار الرسول ﷺ جارية هذا المجرى ، ومنزلة على هذا التنزيل ، يرد المتشابه منها إلى المحكم ويقبل الجميع.

وتنقسم الأحاديث المروية في الصفات إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ منها أخبار ثابتة أجمع أئمة النقل على صحتها ، لاستفاضتها وعدالة ناقليها. فيجب قبولها، والإيمان بها، مع حفظ القلب أن يسبق إليه اعتقاد ما يقتضي تشبيهًا لله بخلقه ، ووصفه بما لا يليق به من الجوارح والأدوات ، والتغير والحركات.

ب ـ القسم الثاني : أخبار ساقطة ، بأسانيد واهية ، وألفاظ شنيعةٍ، أجمع أهل العلم بالنقل على بطولها، فهذه لا يجوز الاشتغال بها ولا التعريج عليها.

جـ ـ والقسم الثالث: أخبار اختلف أهل العلم في أحوال نقلتها، فقبلهم البعض دون الكل، فهذه يجب الاجتهاد والنظر فيها لتلحق بأهل القبول، أو تجعل في حيز الفساد والبطول».

قلت: فاحفظ هذا الأصل من الكلام في الصفات وافهمه جيدًا، فإنه مفتاح الهداية والاستقامة عليها.

* * *

تمام المنة في التعليق على فقه السنة

كان الشيخ سيد سابق ـ رحمه الله ـ يصدر كتابه القيم «فقه السنة» في أول الأمر في أجزاء صغيرة، ثم بعد ذلك ضم هذه الأجزاء في ثلاثة مجلدات.

وكان الشيخ الألباني يطالع الكتاب في أجزائه الصغيرة فأعجب به، وأثنى عليه، وكان يحضُّ الناس على قراءته والاستفادة منه، وكان في الوقت نفسه يستدرك عليه بعض المسائل، والأحاديث الواردة فيه ،وقد استغرقت هذه الاستدراكات الأجزاء الثلاثة من الحجم الصغير، وقد انتهت هذه الأجزاء عند باب الصيام، فقد جاء في نهاية كتاب «تمام المنة» المطبوع قول الشيخ الإمام ـ رحمه الله:

انتهى تسويد الجزء الثالث بتاريخ ١٩ / ٨ / ٧٣هـ وهو آخر ما عندي من التعليق على «فقه السنة» والله أسأل أن يجعله معينًا لطلاب العلم، ومنهاجًا يسيرون عليه للتفقه في الدين، وأن يتقبله مني إنه هو السميع العليم.

هذا ما جاء في خاتمة الكتاب ، وأما ما قاله الشيخ الإمام في مقدمته ، فقد قال بعد خطبة الحاجة:

أما بعد، فإن كتاب «فقه السنة» للشيخ سيد سابق من أحسن الكتب التي وقفت عليها مما ألف في موضوعه، في حسن تبويب ، وسلاسة أسلوب، مع البعد عن العبارات المعقدة التي قلما يخلوا منها كتاب من كتب الفقه، الأمر الذي رغَّب الشباب المسلم في الإقبال عليه والتفقه في دين الله به، وفتح أمامهم آفاق البحث في السنة المطهرة، وحفَّزهم على استخراج ما فيها من الكنوز والعلم التي لا يستغنى عنها مسلم أراد الله به خيراً كما قال ﷺ : «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**» متفق عليه ، وهو مخرج في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»(١١٩٤).

ولقد كان صدور هذ الكتاب ـ فيما أرى ضرورة من ضرورات العصر الحاضر، حيث تبين فيه لكثير من المسلمين أن لا نجاة مما هم فيه من الانحراف والاختلاف والانهيار وتغلب الكفار والفساق عليهم إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، يأخذون منها فقط ومن القرآن أمور دينهم ومسائل فقههم ، فكان لهذا لا بد لعامتهم من مصدر قريب التناول

يمكن الاعتماد عليه، والرجوع إليه حين يقتضيهم الأمر ، ويغنيهم عن المراجعات الكثيرة في الموسوعات العديدة من أجل مسائل قليلة أو كثيرة . فكان أن ألهم الله تعالى الأستاذ السيد سابق فأخرج لهم هذا الكتاب «فقه السنة» فقرب لهم الطريق وأنار لهم السبيل جزاه الله خيرًا.

من أجل ذلك كنت ولا أزال أحض على اقتنائه والاستفادة مما فيه من السنة والحق - ومنذ صدور الجزء الأول منه من الحجم الصغير القديم - كل راغب في السنة وناصر للحق، حتى انتشرت نسخة بين صفوف إخواننا السلفيين وغيرهم في دمشق وغيرها من البلاد السورية وغيرها ، فكان من نتيجة ذلك أن توجهت إلى منهم أسئلة عن غير قليل من المسائل والأحاديث الواردة فيه، فكنت أجيبهم عنها ما أعلمه، وكثيرًا ما كان الجواب مخالفًا لما في الكتاب، فقد كنت أضعف كثيراً من أحاديثه، وأخطئ عديدًا من مسائله، فلما رأى ذلك بعض الغيورين على فقه السنة والحريصين على نشرها صحيحة بين صفوف الأمة اقترح عليَّ أن أسجل ما آخذه على الكتاب وأنشره بين الناس ، فاعتذرت عن ذلك أول الأمر، ثم لما تكرر الطلب فيه وألحَّ به كثير غيره رأيت أنه لابد من إجابتهم وتحقيق رغبتهم، لما في ذلك من خدمة للكتاب، بل الفكرة التي يعمها ويدعو الناس إليها وهي «جمعهم على الكتاب والسنة، والقضاء على الخلاف وبدعة التعصب للمذهب . . » كما صرح في مقدمته.

وعلاوة على ذلك ففيه تنزيه للكتاب مما وقع فيه من الأخطاء الفقهية والأحاديث الضعيفة التي يتنافى وجودها مع «فقه السنة » ،وبهذا أكون قد حققت شيئًا من الرغبة الي كان أباها للطرفين أحد إخواننا لما ذهب إلى مصر، وهي التعاون في سبيل الفكرة المذكورة عن كثب وقرب ، ولكن حال دون ذلك عدة أسباب ؛ أهما: بعد الدار ، وتعذر اللقاء، فإذا قد فاتني ذلك؛ فلا أقل من التعاون فيها عن بعد ؛ لأنه كما قيل: ما لا يدرك كله لا يترك جله. .

فلما شرح الله لذلك صدرى واطمأن له قلبي شرعت في قراءة ما صدر من أجزاء الكتاب قراءة إمعان وتدبر فكنت كلما تبين لي منه شيء يستحق ذكره والتنبيه عليه سجَّلتُه عندي وعلقته في وريقاتي، فما أن انتهيت من التعليق عليها حتى تأكد لدي ضرورة

ما صنعت ،ذلك لأنني وقفت فيها بعد هذه الدراسة على أخطاء كثيرة، بعضها مهمة جداً، ما كنت أتصور وجودها فيهـا ؛ ولذلك فإني رأيت أنه لابد من بيانها، وقد وفق الله لذلك وله الحمد والمنة.

ولعل من الفائدة أن أشيـر إلى نوع تلك الأخطاء بصورة مجملة، ليأخـذ القارئ عنها فكرة عامة ، فتتين له أهمية هذا التعليق فأقول:

يمكن حصر هذه الأخطاء على وجه التقريب فيما يلي:

١ ـ أحاديث كثيرة سكت المؤلف عليها وهي ضعيفة.

٢ ـ أحاديث أخرى قواها، وهي عند التحقيق واهية.

٣ ـ أحاديث ضعفها، وهي صحيحة، أو لها أسانيد أخرى صحيحة.

٤ ـ أحاديث ينسبها لغير «الصحيحين»وهى فيهما أو فى أحدهما .

٥ ـ أحاديث يعزوها لأحد «الصحيحين» وغيرها ولا أصل لها فيهما.

٦ ـ أحاديث يوردها ولا وجود لها في شيء من كتب السنة.

٧ ـ سَوْق الحديـث من طريق صحابي يُسمِّـيه برواية جماعـة من المحدثين، وهو عند بعضهم عن صاحبي آخر أو أكثر.

٨ ـ عزوه الحديث لمُخَرِّجِه سـاكتًا عليه، مع أن مُخَرِّجه الذي نسبه إليـه عقّبه بما يقدح في صحته.

٩ ـ عدم تتبعه أدلة المسائل ، فكثيـرًا ما يسوق المسائل دون دليل يؤيدها وأحيانًا يحتج لها بالقيـاس ، مع أنه يوجد فيهـا حديث صحيح ، وتارة يسـتدل بالعموم ، وفـيها دليل خاص.

١٠ ـ عدم استقصائه مسائل الفصل مثل «الأغسال المستحبة» ونحوها .

١١ ـ إيراده في المسألة الواحدة أقوالاً متعارضة دون أن يُرَجِّح إحداها على الأخرى.

١٢ ـ اضطراب رأيه في بعض المسائل في المكان الواحد، فيختار في أول البحث ما ينقضه في ختامه.

١٣ ـ ترجيحه من الأقوال والآراء المتعارضة ما لا يستحق الترجيح؛ لضعف دليله، وقوة دليل مخالفه .

١٤ ـ مخالفته الحديث الصحيح الذي لا مُعارِضَ له من الحديث في غير ما مسألة.

وهذا النوع الأخير من أنكر ما وقع للمؤلف ، فإنه لايتفق في شيء مع توجيه المؤلف في الكتاب الناس إلى الأخذ بالسنة ، ولاسيما إذا عرفت أن عذره في المخالفة المشار إليها هو عدم أخذ الجمهور بالحديث في بعض المسائل، أو عدم علمه بمن عمل به في مسألة أخرى، وهذه هي شبهة المقلدين في رد السنن ومحاربتها ، وسيأتي كلام الإمام الشافعي الذي يبطل هذه الشبهة ويستأصل شأفتها جزاه الله خيرًا.

وقد يكون من نافلة القول أن أذكر أنني لا أريد التعليق على الكتاب وبيان أخطائه أن أحط من قدره شيئًا، أو أبخس من حقه، بل إنما أريد الانتصار للحق بالحق، وصيانة «فقه السنة» عن الخطأ ما أمكن فإن ذلك أدعى لإقبال الناس عليه والاستفادة منه، وأحرى أن يقطع ألسنة خصوم الفكرة عن التكلم فيه، بحق أو بباطل فلعل المؤلف ـ زاده الله توفيقًا ـ يعيد النظر فيما كتب حتى الآن ويصحح الأخطاء التي تبينت له، ويتريث في إصدار أجزاء الكتاب الأخرى[1] إلا بعد أن يتبين من صحتها وسلامتها من الأخطاء ، ويجردها من الأحاديث الضعيفة فإن في الصحيح ما يغني عن الضعيف.

وقد قال الشيخ الإمام أيضًا في مقدمته:

هذا ولعلي لا أفشي سرًا إذا ذكرت ما يأتي:

لقد كان أحد إخواننا الجامعيين اقترح علي أن أرسل إلى الشيخ السيد سابق ـ تعاونًا معه على الخير والعلم وتحري الحقائق ـ مقدمة كتابي هذا مع الجزء الأول وبخط يدي، وقبل

(١) قال الشيخ الإمام هذا الكلام قبل صدور الكتاب كاملاً بأجزائه الكبيرة وقبل وفاة مولفه ـ رحمة الله عليهما.

الطبع، فاستجبت لاقتراحه ، وأرسلتهما معه إليه، فبقيا لديه أكثر من سنة، ثم أعاد إلى بواسطة أحد إخواننا المقيمين في القاهرة الجزء المذكور دون المقدمة! وقد كنت استنسخت نسخة منها احتياطًا والحمد لله تعالى.

رجع الجزء إليَّ دون أن يأتيني من فضيلة الشيخ شيء ينبئني عن رأيه فيه وفي المقدمة؛ ولذلك بادرت إلى طبعهما مع الجزء الثاني في أول فرصة سنحت لي يومئذ على الآلة الكاتبة، ثم الساحبة (ستانسل).

وقد تبيَّن لي من مقابلتي بعض المسائل في الطبعة القديمة التي وضعت عليها « تمام المنة» ببعض الطبعات الجديدة ،وبخاصة منها طبعةدار الكتاب العربى ، ذات المجلدات الثلاثة، أن الشيخ لم يستفد من كتابي هذا شيئًا يذكر، لا فرق في ذلك بين ما كنت أرسلته إليه، أو ما طبع منه بعد معه، فقد لاحظت أن الأخطاء الحديثية والفقهية بقيت كما هي دون أي تعديل أو تغيير، اللهم إلا في بعض المسائل المحدودة جدًا، فلا أدري أذلك لعدم تفرغه لقراءة ذلك، أم لعدم قناعته بما فيه من النقد العلمي الخالص[1] ولعل الأقرب الأول، فإن في كتابي من القواعد التي يجب على كل عالم التزامها ، ومن المسائل والأحاديث ما لا يجوز للعالم أن يمر بها دون أن يحدد موقفه منها، نقدًا أو تأييدًا، تضعيفًا أو تصحيحًا ، فيما لو وقف عليها كما سيرى القراء من ذلك الكثير والكثير جدًا.

ولكن يحول بيني وبين الجزم بهذا الاحتمال أنني رأيته قد استفاد من نقدي إياه في عدة مواضع، نبهت على بعضها تعليقًا على الصفحات (٤٤، ٦٢، ١٠٤ ، ١٣٧، ١٤٥) ومن ذلك موقفه من مسألة الوضوء من لحوم الإبل، فإنه في الطبعة التي وضعت التعليق عليها كان قد أورد على ترجيح الإمام النووي وجوب الوضوء منها ؛ إشكالاً يصرف ضعفاء العلم، ومقلدة المذاهب ، عن العمل بالحديث، فعقب على النووي بقوله:

---

(١) هذا الاحتمال الثاني هو الراجح، في نظر الشيخ سيد سابق وهو ما سمعته أنا من الشيخ سيد سابق رحمه الله.

وذلك في محاضرة له بمدينتنا المنصورة ، بمسجد الجمعية الشرعية، ويومئذ سئل الشيخ سيد سابق ـ رحمه الله عن كتاب «تمام المنة» وكان الكتاب لم يطبع بعد ـ فقال الشيخ سيد سابق ـ رحمه الله : «إن الشيخ الألباني أرسل إلى بصورة الكتاب واقترح علي أن أطبع الكتابين معًا ، بحيث يكون «فقه السنة« في الأعلى و«تمام المنة » في الهامش ولكن عندما قرأت «تمام المنة» لم أجد فيه كبير فائدة فرفضت هذا الاقتراح!!

«إلا أنه يقال: كيف خفي حديث جابر والبراء على الخلفاء الراشدين..» إلخ.

فرددت عليه بما يبطل هذا الإشكال من أصله، كما سترى في محله، فكان من آثار ذلك أن المؤلف خضع للحق ـ جزاه الله خيرًا ـ وحذف الإشكال المزعوم، ولكنه لم ينوه بمن كان السبب في ذلك!

وثمة مثال آخر، فقد انتقدته في تصديره لحديث: «أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة» بصيغة التمريض، الدالة على ضعف الحديث، وبينت أنه حسن لغيره، وألزمته أن يقول بذلك كما سترى في الصحفة (٣٨)؛ فإذا به يقع في خطإ جديد هو أفحش من الذي قبله من جهة، وهو أنه عزاه لمسلم، ولا أصل له عنده! ومع ذلك فهو دليل على أنه وقف على نقدي إياه في هذا الحديث، وأراد أن يصحح موقفه منه، فكان ما رأيت!

والخلاصة:

لقد كنت آمل من المؤلف ـ حفظه الله تعالى ـ أن يستجيب لرغبتي، ويحقق رجائي الذي أودعته في مقدمة الطبعة الأولى، وأطلعته عليها قبلها ـ كما تقدم ـ وهو أن يعيد النظر فيما كتب حتى الآن، ويصحح الأخطاء التي تبينت له، ويتريث في إصدار أجزاء الكتاب الأخرى.

كنت أرجو ذلك منه ولكن خاب الرجاء، ومضى الرجل في إصدار بقية الكتاب على النهج المنتقد الذي جرى عليه في الأجزاء الأولى، دون أن يلتزم تلك القواعد العلمية التي كنت أرسلتها إليه، ودون أي تعديل أو تغيير في منهجه! والعلم ـ كما هو معروف ـ في تقدم مستمر لا يعرف للجمود معنى، وفي كل يوم تُخْرج المطابع مصادر علمية جديدة لم تكن معروفة من قبل، مما يساعد الباحثين المحققين على تحسين مؤلفاتهم وتنقيحها وتغذيتها بفوائد جديدة، وتحقيقات لم تكن متيسرة للكثيرين من قبل.

من أجل ذلك، فإني لما رأيت «فقه السنة» جامدًا هكذا على مَرِّ السنين كما وضعه المؤلف قبل نحو نصف قرن من الزمان، مع تكرار طبعه مرات ومرات، بدا لي أن أعيد

النظر فيما عندي من «تمام المنة في التعليق على فقه السنة»، فنقحته ، وزدت فيه مسائل عدة، وفوائدة جمة ، ذكرت أهمها في مطلع هذه الكلمة ،فكان ذلك كله من دواعى إعادة طبعه ونشره على الناس فى ثوبه الجديد، سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن يجعله وسائر مؤلفاتي عملاً صالحًا، ولوجهه خالصًا، وأن لا يجعل لأحد فيه شيئًا.

وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

عمان / ١ رجب سنة ١٤٠٨ هـ.

وكتب

محمد ناصر الدين الألباني

أبو عبد الرحمن

الأيام الأخيرة في حياة الشيخ الإمام رحمه الله

لَمَّا اشتد المرض على الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ في أيامه الأخيرة، نصحه الأطباء بالراحة ، ولكنه لم يفتر عن البحث والمراجعة ، في يقظته ، وحتى في أثناء نومه!!

قال الشيخ محمد صالح المنجد :

أخبرني ابنه عبد اللطيف وكان ملازمًا لوالده جعل أبي المكتبة وقف على طلاب الجامعة الإسلامية ، وأوصى أن يسرع بالدفن وعدم انتظار الناس ويدفن في أقرب مقبرة وقبل ساعة من وفاته كان مستيقظًا ، ومن العجائب أنه كان في النوم يقول : هاتوا كتاب العلل، هاتوا كتاب كذا هاتوا كتاب كذا ، هاتوا الجرح والتعديل، ومرة قال أثناء النوم وهو يحرك يده كهيئة الكاتب : هاتوا سنن أبي داود تنحل المشكلة ، وقال لي مرة ولده يقول لي مباشرة يقول أثناء النوم فجأة تكلم قال: هات كتاب الترغيب والترغيب المجلد الأول، فأتيته قال: افتح فتحت قال عد واحد اثنين ثلاثة أحاديث،هذه في الطول تقريبًا سواء قلت له: لا قلت: فيه واحد طويل قال: أمشي هذا في النوم يقول في النوم وهو نائم قلت: هذا الحديث الثالث طويل قال : من رواه؟ قلت فلان قال: خلاص أعد الكتاب، هذا في النوم.

يقول مرة : كان يتكلم وهو نائم فاقتربت منه لأسمع كلامه فتح عينه فجأة وقال : تتجسس على وضحك ، كان يجمع الصلاة في آخر عمره في آخر شهرين ودكانه لا زال موجود في دمشق الألباني للساعات ، قال: كنا نرحمه أنه لا ينام يسهر الليل للتأليف والتحقيق، يذهب إلى النوم الساعة ١١ ليلاً أحسُّ أنه في الساعة الواحدة أنه استيقظ يقوم وإلى الفجر ينام ساعتين في النهار يشتغل عشرين ساعة وينام أربعة ساعات قال: وأقول لك بشكل خاص إننا قد لاحظنا أثر الجلوس عليه على ظهره أثناء تغسيله(١) .

(١) «أحداث مثيرة في حياة العلامة الألباني» (ص ٤٢ ، ٤٣).

وقال الشيخ علي الحلبي عن الشيخ الإمام رحمه الله :

لقد رأيت منه ـ تغمده الله برحمته ـ مواقف علمية عالية ، تدل على عظم إمامته وكبر مكانته ، أذكر منها ـ لإخواني في الله ـ أمورًا يفيدون منها ويُفيدون.

أولاً: عندما أخبرته بوفاة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ لم يتمالك نفسه من البكاء ، فدمعت عيناه دمعات حارة، وتكلم عنه ـ رحمهما الله ـ بكلمات بارة.

ثانيًا: لم يفتر عن الجلوس وراء مكتبه ـ للتأليف والتخريج ـ حيث كان يأتي بالكتب إليه بعض أبنائه وحفدته ـ إلى أخر خمسين يومًا في عمره الميمون ، وذلك لما وهن بدنه ونحل جسمه وضعفت قوته ومع ذلك ، فقد كان ـ بحمد الله ـ سليم الذهن ، نظيف العقل، قوي التذكر ، معلقًا قلبه بالقرآن والسنة.

ولست أنسي إن نسيت ـ كما يقال ـ إتصاله الهاتفي بي قبل نحو ثلاثين يومًا من وفاته ليسألني عن كتاب في التفسير له ما يميزه تذكَّره بوصفه وطريقته ولون غلافه ولكن ضعفت ـ وللأسف ـ عن إعانته في معرفته ، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومثل هذا: ما أخبرني به أخونا الفاضل أبو عبادة عبد اللطيف ابن شيخنا محمد ناصر الألباني : أن شيخنا ـ رحمه الله ـ طلب منه قبل ثمانية وأربعين ساعة من وفاتة إحضار كتابه ، صحيح سنن أبي داود لينظر فيه شيئًا وقع في قلبه وورد على خاطره.

ثالثًا: في الحين الذي ضعفت فيه يد شيخنا عن كتابة ما يطول كتبه: كان يملى على بعض أبنائه وحفدته ما يخرجه من أحاديث ، وبخاصة في سلسلة الأحاديث الضعيفة ثم يكتبون عنه.

ولا يزال في عقلي وبين عيني إملاؤه ـ قبل شهور قليلة ـ ثماني عشرة صفحة في تخريج حديث ضعيف منكر، جمع فيه بين يديه ـ وعلى طاولته ـ عشرات المراجع الحديثة مخطوطًا ومطبوعًا ، نظم المراد منها نظمًا بديعًا بسلك رائع ، مليء فوائد وتنبيهات ولطائف وتعقبات .

وليس يخفى على أحد تعاطى الكتابة والتصنيف صعوبة الجمع بين النظائر من كتب

كثيرة هو ينقل منها بنفسه، ويكتبها بيده، فكيف الحال بمن يملي منها إملاء؟!!.

رابعًا: رأيت اهتمامًا خاصًا من شيخنا ـ يرحمه الله ـ بكتاب «المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي» تصنيف أحمد بن الصديق الغماري ـ يراجع منه ما كتبه مؤلفه ـ حول ما يقع لشيخنا من أحاديث في «السلسلة الضعيفة» هي موجودة في «الجامع الصغير» فكان ينظر كلامه وينتقده ويرد عليه ، ويتعقبه ويطول في مناقشته.

ولقد كتبت عنه بتاريخ ٢٢ ذي القعدة ١٤١٩ هـ في منزله ـ قوله في هذا «المداوي» ما نصه: «هذا كتاب غير جيد ،ولا أنصح قراءته إلا لخواص طلبة العلم» وحبذا لو قام بعض الطلبة الأقوياء بتتبعه والرد عليه بكتاب يسميه ـ مثلاً ـ «الكاوي للمداوي» يقتصر فيه على تعقبه على ما صححه ـ أو سكت عنه ـ وهو ضعيف ، أو ضعفه وهو صحيح! ونحو ذلك من أوهام هامة».

خامسًا: كان آخر كتاب عمل به شيخنا في السنتين الآخيرتين: هو كتاب «تهذيب صحيح الجامع الصغير والاستدلال عليه » ولقد قال لي لما سألته عنه ـ أول اشتغاله به ـ هذا مشروع اقترحه عليّ مرضى وعجزي.

وخطته فيه :تخريج الأحاديث التي لم يكن قد وقف على أسانيدها ـ من قبل ـ اكتفاء بما رآه من أحكام العلماء والأئمة عليها كأحاديث «تاريخ دمشق» لابن عساكر ، و«معجمي» الطبراني: «الأوسط» و «الكبير» وما أشبه ذلك ، ثم ربط الأحاديث المختلفة المواضع من «الجامع الصغير» مما هي ـ أصلاً ـ ألفاظ لحديث واحد، مع التنبيه على ما يكون قد وقع للسيوطي من أوهام ـ أو أغلاط ـ في العزو أو الحكم، وهو ـ في هذا كله ـ يغذي «سلسلتيه» الذهبيتين : «الصحيحة » و«الضعيفة» كلا بما ينتظمه من تخريجات وأحكام.

وفاته:

كانت وفاة الشيخ الإمـام العلامة الألباني ـ رحمه الله تعـالى ـ في يوم السبت الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة لعام عشرين وأربعمائه وألف من الهجرة النبوية، الموافق من أكتوبر ١٩٩٩م بعد العـصر قبيل الغروب، عن عمر يناهز الثـامنة والثمانين، في مدينة عمان عاصمة الأردن ، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد تم التعجيل بدفن الشيخ تنفيذاً لوصيته

وصية الشيخ التي كتبها لأهله وأصدقائه وكل من أحبه في الله تعالى وله

أوصي زوجتي وأولادي وأصدقائي وكلُّ محبٍّ لي إذا بلغه وفاتي أن يدعو لي بالمغفرة والرحمة ـ أولاً ـ وألا يبكوا علىَّ نياحةً وبصوت مرفوع .

وثانيًا: أن يعـجلوا بدفني، ولا يخبروا من أقـاربي وإخواني إلا بقدر مـا يحصل بهم واجب تجهيـزي، وأن يتولى غسلي (عزت خـضر أبو عبد الله)جـاري وصديقي المخلص، ومن يختاره هو لإعانته على ذلك.

وثالثًا: اختيار الدفن في أقـرب مكان ، لكي لا يضطر من يحمل جنازتي إلى وضعها في السيارة، وبالتالي يركب المشيعون سياراتهم ،وأن يكونَ القبر في مقبرة قديمة يغلب على الظن أنها سوف لا تُنبش.

وعلى من كان فـي البلد الذي أموت فيـه ألا يخبروا مـن كان خارجـها من أولادي ـ فضلاً عن غيرهـم ـ إلا بعد تشييعي ، حتى لا تتغلب العواطف ، وتعـمل عملها، فيكون ذلك سببًا لتأخير جنازتي.

سائلاً المولى أن ألقاه وقد غفر لي ذنوبي ما قدَّمت وما أخَّرت. .

وأوصي بمكتبتي ـ كلها ـ سواء ما كان منها مطبوعًا ، أو تصويراً أو مخطوطًا ـ بخطي أو بخط غيري ـ لمكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة؛ لأن لي فيها ذكريات حسنة ـ في الدعوة للكتاب والسنة، وعلى منـهج السلف الصالح ـ يوم كنت مدرسًا فيهـا ، راجيًا من الله تعـالى أن ينفع بها روادها كـما نفـع بصاحـبهـا ـ يومئـذ ـ طلابها، وأن ينفـعني بهم وبإخلاصي ودعواتهم.

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وكتب

الفقير إلى رحمة ربه

محمد ناصر الدين الألباني

٢٧جمادي الأولى ١٤١٠هـ

قال الشيخ علي الحلبي

ولقد نفذ طلبه ـ كما أوصى ـ فكانت وفاته قبيل المغرب ، والصلاة عليه بعد العشاء ، وبين هذا وذاك أقل من ثلاث ساعات.

واجتمع ـ ساعة دفنه ـ من حضر من إخوانه ، وأبنائه ، وتلامذته ، وأحبابه وأصحابه، وأقربائه ، مما قدر بخمسة آلاف نفس ـ أو يزيد.

وصلى عليه ـ تطبيقًا للسنة ـ في خلاء من الأرض.

وحمل نعشه على الأكتاف إلى أقرب مقبرة إلى بيته ـ وهي مقبرة أهلية خاصة مغلقة تيسير الله ـ وحده ـ هو الذي سهل ويسر سبيل دفنه فيها ـ لحدًا ـ وفق السنة أيضاً، فكان عمره كله ـ سنة ـ حياته ومماته

وقال الشيخ محمد إبراهيم شقرة

المقبرة التي دفن فيها الشيخ ـ رحمه الله ـ مقبرة مغلقة منع الدفن فيها، أو كانت البلدية تفكر في إزالتها فحضر وكيل أمين العاصمة وشهد الدفن وأمر بأن يدفن الشيخ في المقبرة نفسها رغم أنها مغلقة ، ثم أمروا بأن يقام سور حولها وألا يكون هناك دفن بعد الشيخ رحمه الله فربما يكون آخر من دفن في هذه المقبرة ، ولعل الله عز وجل حفظ بوجوده فيها الأموات الذين سبقوه أن تنبش قبورهم، فهذه كرامة أيضًا نالت المقبرة من دفنه بجوارهم رحمهم الله جميعًا.

* * *

كلمات قيلت في رثاء الشيخ الإمام رحمه الله

قال الأستاذ زهير الشاويش:

نقاط يسيرة من سيرة عطرة للشيخ الألباني مع الحديث النبوي الشريف:

أكثر من ستين سنة أمضاها بجد واجتهاد الشيخ محمد ناصر الدين الألباني مع السنة المطهرة وحديث رسول الله ﷺ، باحثًا في المتون، ومخرجًا للفروع على الأصول، ومحددًا الرواة الصادقين، ومفرقًا بين الساهين والمدلسين، ومقارنًا الروايات المتعددة، وجامعًا ما تفرق منها، حتى غدت تحقيقاته المرجع الأول في عصرنا لكل مطلع وباحث ودارس.

بدأ من مجلة المنار للشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ عندما اطلع فيها على أن الأحاديث حتى تقبل ويعمل بها، وتصلح للوعظ والإرشاد، يجب أن تكون نسبتها صحيحة، واصلة للنبي ﷺ بالسند المتصل، بعيدة عن العلل والشذوذ.

ومنذ ذلك اليوم حتى ساعة وفاته لم يقف ساعة عن العمل الذي اختص به من تصحيح، وتصنيف كل حديث يمر به، وما أجله أو توقف عنه كان يعود إليه مرات ومرات، وكان من نتيجة ذلك هذا الكم الهائل من صحاح الأحاديث، وضعافها، وتنقية السنة من كل دخيل، أو مكذوب.

والحق يقال بأن الشيخ ناصر الدين كان أبرز علماء الدعاة إلى السلفية في كل معانيها ببلاد الشام، وبعد أن انتشرت كتبه بالطباعة، وتلاميذه في الأوساط العلمية، أصبح المرجع الأول لكثير من المسلمين، وكل طلاب العلم والمتعبدين.

وبجهده وإخوانه، وعدد من أهل العلم انتشرت السلفية في أواسط أكثر وأوسع حتى غدت سمة العصر، ودخلها وعمل معها العدد الكبير من دعاة الإسلام، وحتى لم نعد نسمع خطبة جمعة إلا ويحاول الخطيب إحالة الأحاديث إلى مصدر موثق، وهذا الأمر لم يكن معروفًا من قبل مطلقًا منذ عصور.

وأصبح للسلفيين وجود في المجتمع، وحضور في لقاءات العلماء، ومشاركة في

التدريس الرسمي في المعاهد والكليات، وفي كل يوم توجد شهادات للماجستير، أو الدكتوراة في فروع الحديث النبوي ، وأما الكتب المؤلفة في ذلك فلا سبيل لحصرها، وأغلبها اعتمد في تخريجها على الشيخ الألباني ، وحتى في الإعداد للجهاد في فلسطين ، والشيخ ناصر أعد نفسه لمقاومة الاستيطان الصهيوني ، وكاد أن يصل إلى فلسطين لولا المنع الحكومي للمجاهدين.

واستمر مجدًا مجتهدًا في عمله الذي أمضاه في المكتبة الظاهرية بدمشق والمكتب الإسلامي، ثم في داره بعمان على نفس الوتيرة، وبارك الله في عمله طوال حياته التي قاربت على التسعين عامًا.

وقد ولد في بلدة بجوارة «أشقو درة» عاصمة ألبانيا، ثم انتقل به وبأخوته والدهم العالم الفاضل أستاذنا الشيخ نوح نجاتي ـ تغمده الله برحمته ـ فرارًا بدينه من سيطرة الحكومات الظالمة التي بدأت تنشر أفكار أتاتورك ، وما لاحظه من تغلغل الشيوعية في الشعب، والتي حكمت بعد ذلك مدة طويلة . وأعادت الناس إلى الردة، حتى سلم الله البلاد منها.

وعمل الشيخ أول الأمر في النجارة ، ثم في إصلاح الساعات ، حتى أصبح من أمهر وأصدق من يتعامل فيها في الشام. ثم انقطع للدعوة إلى الله على بصيرة في التزكية والتصفية والعلم والتأليف في المكتب الإسلامي، وانتدب للتدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ورجع بعدها إلى دمشق ليحقق الكتب ، وتابع ذلك في عمان.

وفي سنة ١٤٠٠ هـ الموافق ١٩٨٠م ميلادي غادر دمشق للظروف القاهرة ،وأقام في عمان، ولقي بعض الصعوبات قابلها بالصبر والاتكال على الله، وتنقل في عدد من البلاد في الخليج وزيارات علمية إلى أوربا.

وفي السنة الماضية نال جائزة الملك فيصل لعلوم الحديث، وقد بلغت مؤلفاته أكثر من مائة وخمسين كتابًا صغير وكبير ، وأكثرها طبع في المكتب الإسلامي.

وإننا نحتسبه عندك يا الله، وأنت أرحم الراحمين، وعوض أمة محمد خيرًا، إنك القادر على ذلك. وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

كلمة في رثاء الشيخ الإمام رحمه الله

للشيخ طارق العيسى

رئيس جمعية إحياء التراث بالكويت

الحمد لله سبحانه ، عنده الخير كله عطاء ومنحًا ، وهو سبحانه يدفع إذا شاء الشر كله عمن يشاء من خلقه تلطفًا ورحمة، وهو الذي جعل هذه الأمة كالغيث لا يدري أولها خير أم آخرها ، وهو الذي يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الأمة ما اندرس من دينها.

فلقد كان إلى وقت قريب جدًا يقول كثير من الذين يهتمون بالمسائل الشرعية مقالة تصغير من الحديث والمشتغلين به، وهي: الحديث صناعة المفاليس، وإن السنة النبوية قد حظيت منذ وجود مسلمين حول النبي ﷺ بالعناية الفائقة، فكما أن الرسول ﷺ كان يتلو القرآن خلف جبريل متعجلاً حفظه خوفًا من أن ينساه فإن الصحابة كانوا يحفظون ما يسمعونه من رسول الله ﷺ ويتثبتوا منه.

ومن أمثلة ذلك ما رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: قال لي رسول الله ﷺ : «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لاملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، فإن مت ، مت على الفطرة، فاجعلهن آخر ما تقول**» فقلت: أستذكرهن : وبرسولك الذي أرسلت قال: «**لا ، ونبيك الذي أرسلك**».

ومثال ذلك أيضا: حديث أنس عند البخاري أنه كان ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه.

ومنه حديث البخاري إن أبا هريرة رضي الله عنه قال: ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثًا مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب ، وحديثه أنه كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون.

وإن ذهاب العلماء من أشراط الساعة؛ لحديث أنس بن مالك ، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «**من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا** » أخرجه البخاري ومسلم والإمام أحمد.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتدرون ما ذهاب العلم ؟ قلت: لا، قال: ذهاب العلماء.

لقد عاش، رحمه الله ، مجاهدًا في سبيل الله ينشر علمه من خلال مصنفاته وتحقيقاته وأشرطته التي لا تكاد تخلو منها مكتبة طالب علم، حتى أصبح الشيخ الألباني الأعجمي آية من آيات علم الحديث في هذا القرن ، والله إنها لمعجزة، يهاجر من ألبانيا - مسقط رأسه - وعمره تسع سنوات ليستقر في بلاد الشام، هاربًا من حكم الشيوعيين الذي دنس بلاد البلقان بالإرهاب والإلحاد، ليصبح - بفضل الله ومنه وكرمه ورعايته - عالمًا من علماء الأمة في الحديث ، داعيًا إلى منهج الطائفة المنصورة التي قال فيها الرسول ﷺ : «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولامن خالفهم حتى تقوم الساعة** ».

إن المكانة التي اكتسبها شيخنا - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته - في قلوب الدعاة لدليل واضح على مكانة العلماء المخلصين المجاهدين العاملين بعلمهم ، مما يجعلنا نشتد حزنًا على فقده.

ونقول كما قال الحسن: قال عبد الله بن مسعود: (موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما طلع الليل والنهار).

لقدكان - رحمه الله - مرجعًا من المراجع العلمية التي ينهل منها طلبة العلم معينًا صافيًا، فقد اكتسب ثقة الجميع، فلا تكاد تخلو خطبة جمعة ولا رسالة ماجستير أو دكتوراه أو فتوى من حديث إلا وقد ذيل بـ (صححه الألباني ، أو حسنه الألباني ، أو ضعفه الألباني).

فكم من طالب علم اهتدى إلى الدعوة السلفية- دعوة الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح - بمجرد ما يستمع إلى إرشاده ونصيحته التي يركز فيها على التمسك بهذين الأصلين العظيمين.

لقد اشتهر ـ رحمه الله ـ بالاهتمام بتوجيه طلبة العلم إلى قاعدة عظيمة في أولويات الدعوة ألا وهي التصفية (الاهتمام بتصفية التراث الإسلامي من الشوائب والبدع والانحرافات التي شوهت جمال الإسلام) ثم التربية على المنهج السلفي.

لقد كنا نتشوق إلى لقائه والاستماع له، لما لحديثه من طلاوة وحجج بينة دامغة ،وكنا نشد الرحال إلى الحرمين وبلاد الشام كي نسأله في مسألة من المسائل ، فتجده بحرًا من بحور العلم.

لقد كان حقًا أحد العلماء المجددين في هذا القرن الذي انتشرت فيه البدع والفتن ومناهج أهل الأهواء ، فقيض الله رجلاً كالألباني فكان كما قيل: (العلماء في الأرض بمنزلة النجوم في السماء؛ بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب ، وطاعتهم أفرض من طاعة الأمهات والآباء).

لقد كان ـ رحمه الله ـ من صفوة العلماء الذين تخرج على أيديهم ، ونهل من علمهم آلاف الطلبة ومن جميع الجنسيات ينشرون الدعوة السلفية، مقتدين بشيخهم ـ رحمه الله ـ الذي خلَّف لهم تراثًا باقيًا تتربى عليه الأجيال القادمة إن شاء الله.

إن أثره سيبقى خالدًا على مر الأجيال والقرون بإذن الله ، فنسأل الله تعالى أن يعلي منزلته ويرفع درجته مع الأنبياء والصالحين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا .

قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد ﷺ .

* * *

كلمة في رثاء الشيخ الإمام رحمه الله

للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق

كنت أقرأ عن الحب من أول نظرة، ولم أعرفه إلا عندما وقع نظري على أستاذي محمد ناصر الدين الألباني لأول مرة ، وكان ذلك بعد أن سجلت اسمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عند أول افتتاح لها، وتعيين الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم مفتي المملكة ـ رحمه الله ـ رئيسًا لها، ثم اختيار سماحة والدي الراحل الشيخ عبد العزيز بن باز نائبًا للرئيس.

وانتقل شيخنا ابن باز ـ رحمه الله ـ من الرياض إلى المدينة، وشرع في استقطاب وانتداب علماء السنة من كل حدب وصوب، ووقع الاختيار لتدريس الحديث على شيخنا محمد ناصر الدين الألباني ، ولم نكد نسمع بمجيئه حتى سارعنا لاستقباله ، وعندما وقع بصري عليه لأول مرة امتلأ قلبي محبة له، وقبل أن ينطق أمامي بكلمة، رأيت رجلاً فارع الطول، أبيض شديد البياض شعر لحيته رمادي أشهب، له عينان زرقاوان كأنهما بحيرتان صافيتان، ينبعث منهما شعاع إذا صوبهما يكاد يصل إلى أعماقك وتحس أنه يقرأ أفكارك.

في أول مجلس ضمنا في ديوانه سماحة والدنا الراحل عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ أعتقدت أن الله قد ابتعث لنا محدثًا من العصور السابقة، فقد كانت صورة شيخنا ناصر الدين تمامًا كالصور التي كانت ترسم في عقولنا عن البخاري والنسائي والسجستاني والنيسابورى ، لقد كان شيخنا الألباني صورة مطابقة في الشكل الذي كان في خيالنا لأولئك الأئمة ثم في الموضوع علمًا بالسنة، وإحاطة بالحديث ، وأخذًا بالعزائم ، وصدقًا وورعًا ، وعندما طابق شيخنا الألباني ما كان في خيالنا عن محدثي الإسلام الأولين وقعت المحبة ، لقد اعتقدت وقتها أنني في صحبة رجل من السلف الأولين.

لازمت الشيخ ـ رحمه الله ـ بعد هذا المجلس ، وشعرت أنني مع أب ثالث بعد أبي وشيخي عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله، ووالدي الشيخ عبد الخالق ـ رحمه الله.

لقد رأيتنا مع جبل من جبال الحفظ والعلم؛ عالم دؤوب صبور على البحث والتنقيب والتحقيق ، لا يعرف الكلال ولا الشكوى ، يبذل العلم لكل أحد ويتمنى أن يتعلم طلاب العلم كلهم هذه الصناعة الدقيقة التي أتقنها ؛ وهي علم الحديث يبذل ثمرة بحثه ولو كانت أيام طوال حول تحقيق حديث، أو فائدة أو أثر يبذله لمن يطلبه مجانًا وبغير عوض.

لقد تعلمنا من شيخنا علمًا كثيرًا كان أبرزه التفكير العلمي ، وعدم إطلاق الكلام على عواهنه ، وتحقيق عزو كل نقل إلى صاحبه.

تعلمنا منه دروسًا غالية في الدعوة إلى الله ، كان أهمها الاهتمام بالغرس قبل الاهتمام بالحصاد، والعمل للإسلام في كل اتجاه وبذل العلم للكافة والبعد عن حصره في الدوائر الضيقة.

تعلمنا منه أن ننزع ربقة التقليد، وأن نكون من أهل البصيرة والنظر، ولا شك أن هذا قد كان درسًا عظيمًا ،ولكنه كان أكبر من عقولنا يوم تلقيناه ، فقد كنت آنذاك في بداية العقد الثالث من عمري وحصيلتنا من العلم قليلة ومعرفتنا بعلماء المسلمين محدودة ، وغطى ضوء أستاذنا ناصر الدين ـ في عقولنا ـ على كل ضوء فأخذنا أقواله كلها. ثم علمنا بعد ذلك أن اختيارات الشيخ في بعض منها نظر، وأن القول الذي سمعناه منه مرارًا وتكرارًا عن مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ كل أحد يؤخذ منه قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر، يعني النبي ﷺ ينطبق كذلك على شيخنا ناصر الدين.

تعلمنا من شيخنا ناصرالدين العدل والإنصاف ، والشهادة بالحق والقيام بالقسط.

أما الشيء الذي رأيناه فيه، ولم نستطع أن نتعلمه ونتخلق به فهو الدأب والمثابرة والصبر وسهر الليالي لتحقيق نص ، وتصحيح عزو، والتحقق من شخصية راو.

أقول عن نفسي : لقد رأيت هذا من شيخي الراحل، ولكني أشهد أنني لست من هذا الأمر في قليل ولا كثير.

فما زلت أحب أن أكون مقلدًا في الحديث لعلماء الإسلام العظام رجال الإسناد وخاتمتهم عندي شيخي ناصر الدين.

لقد كان شيخنا ناصر الدين ـ رحمه الله ـ شمسًا أضاءت أرض الإسلام. لقد أحدث

انقلابًا هائلاً في حياة طلاب العلم في شرق الأرض ومغربها ، فقد نبَّه المسلمين إلى ضرورة الأخذ بالحديث الصحيح وحده، وترك ما عداه وأنه لا يجوز التساهل في ذلك وأنه يجب تنقية تراث المسلمين كله في التفسير والتاريخ، والمواعظ ، والفقه مما دخله من الحديث الضعيف والموضوع، وأنه يجب على كل مؤلف وخطيب وواعظ ومتكلم ألا ينسب لرسول الله ﷺ إلا ما صح عنه.

لقد كان الناس عموهم في غفلة شديدة عن هذا الأمر قبل أن يبدأ ناصر الدين في مسيرته في العلم والدعوة، ثم بجهاده وجهوده حول هذا الأمر إلى واقع يسري في العالم الإسلامي كله.

ولقد هيأ الله لشيخنا ناصر الدين ما لم يتهيأ لغيره من علماء الحديث المعاصرين من وسائل النقل والنشر والشهرة؛ ولذلك ذاع صيته وعرفه القاصي والداني ، وأذعن الجميع لعلمه، وشهد له الموافق والمخالف.

ومع ما كان فيه من العمل الدؤوب في التحقيق والتأليف والدروس والدعوة والمناظرات، فلم ينس أبناءه وتلاميذه.

وفي يوم الجمعة ٢١ جماد الآخرة ١٤٢٠ هـ ،الموافق ١ / ١٠ / ١٩٩٩م تلقيت سلامه وتحيته وسؤاله عني يحمله ابن أخيه الشيخ عبد الله آدم الألباني.

وفي يوم السبت ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٠، الموافق ٢ / ١٠ / ١٩٩٩م تلقيت نبأ وفاته.

فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرًا ،وجمعنا وإياه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة.

* * *

بيان جمعية إحياء التراث الإسلامي
حول وفاة سماحة الشيخ العلامة محدث العصر
محمد ناصر الدين الألباني
علامة الشام ومحدث الأمة

الحمد لله رب العالمين ، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

يقول تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) ﴾ [البقرة: ١٥٥] .

ويقول الرسول ﷺ : **«العلماء ورثة الأنبياء»**. وإن من علامات الساعة قبض العلم بموت العلماء ؛ لقول الرسول ﷺ : **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»**.

ولقد فجعت الأمة الإسلامية بفقد رجل من بقية السلف الصالحين، وإمامًا من الأئمة الهادين المهديين ، ونموذج تجسدت فيه سيرة أصحاب سيد المرسلين ﷺ ؛ إنه العلامة محدث العصر وإمام المسلمين شيخ الإسلام: محمد ناصر الدين الألباني ـ يرحمه الله ـ وجعل الفردوس الأعلى مثواه.

وإن مما يزيد من فاجعتنا وفاجعة الأمة الإسلامية أن يرحل هذا الإمام وليس للأمة عنه غنى، كيف وقد جمع الله فيه أمة في رجل، يهدي بهدي الله ، وينشر في الأنام سنة رسول الله ﷺ ، وقف حياته لدراسة الحديث النبوي الشريف يصحح ما صح منه ، ويضعف ضعيفه، يحذر من البدع والخرافات، ويرفع لواء التوحيد ويسعى لجمع المسلمين على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى هدي السلف الصالح أهمه أمر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فهو يجتهد في تعليمهم وتوجيههم والنصح لهم.

لقد شرف الله منزلته وأعلى مكانتـه وتربع على عرش القلوب، والتف الناس عليه لما جعل الله له من القبول في الأرض.

ونحن في جمـعية إحـياء التراث الإسـلامي إذ فجعنا في فـقد إمام من أئمـة الدعوة السلفية العلامة محدث العصر سماحة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ يرحمه الله ـ فإنا لا نملك إلا أن نعبر بهذه الكلمات عن بعض ما نـكنه له من الفضل والجميل ـ يرحمه الله رحمة واسعة، وغفر له وألحقه بالصالحين من عباده ، ولا نقول إلا ما يرضي الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا وأخلفنا خيرًا منها.

جمعية إحياء التراث الإسلامي

* * *

رفعت الأقلام.. وجفت الصحف
وقضي علم الأمة وشيخ السنة الألباني نحبه

بقلم فضيلة الشيخ / محمد إبراهيم شقرة

نعم لقد جفت الصحف. ورفعت الأقلام ، وثبتت الأقدار في مستقرها ، بعد أن قطعت الأشواط الزمانية التي قدرت لها فوق صعيد الحياة ، وألمَّ بها الوهن، وأقعدها العجز، وأسلمها إلى النهاية ، الصائرة إليها الأشياء كلها. ومنها. وعليها ،حين غاب عنها صاحبها. وآثر اللحاق بالملأ الأعلى، ألا وهو الشيخ الراحل علم الأمة وشيخ السنة الإمام محمد ناصر الدين الألباني.

ما كان للأقدار أن تتخلف!!

وما كان يكون للأقدار أن تتخلف عن مواقعها، وقد أوثقها الله إليه بإرادته الحكيمة مذ كانت إرادته، مذ كان ولم يكن شيء ، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو الحكيم الخبير، فلا أراد لها إلا بأقدار أخرى تقتضي إرادته الحكيمة بغير الذي قضت به، فأين المهرب من قدر، وقد سيقت معه وإليه إرادات المخلوقات كلها بقوتها، وضعفها وألقت عنده راحلة العمر حبلها ، توثق به إلى النهاية الحتم التي لا تختلف عليها إرادات البشر جميعها ، إلا بما يكون منها من طواعية راضية ، وتسليم لابث ، رضيت ذلك أم كرهت!! ذلكم إنه كائن لا محالة.

أجاء الله قدره!!

وأجاء الله قدره إلى الروح القوية ، التي ظلت زهاء ستة عقود تحتضن لواء السنة في عزيمة لا تعرف التردد، وصبر لا يعرف الضجر، وإقدام لا يعرف النكوص ، ودأب موصول لا يعرف الوهن وسهر على الطرائق على الإجهاد إليه، ودقة صبور تقاصر عنها الهمم ، وأمانة واعية أذكرت أهل العلم بما يجب عليهم من حقوقها واستقصاء أحاط علمًا بكل ما ند من قواعدها وخفي من أصولها، وشغف ظل مشبوبًا به قلبه حتى سقط القلم

من بين أصابعه، واستحضار للنصوص والآثار والسنن والبلاغات بأحكامها ، وعزوها إلى مظانها، والتأليف بينها ، والناسخ والمنسوخ منها، والاستنباطات الفقهية الحسنة ، إلى غير ذلك من علوم السنة التي وضع لها خده وعشقها قلبه، وأناخ على صدره منه همها واستوى عليه سوقها، وأصاب كل طالب علم محب للسنة ما قدر عليه من ثمرها، ولم تعرف السنة النبوية في شطر عمرها الثاني مثله في قوة صبره واستدراكه على السابقين، وتيسير وتسهيل للاحقين، واختصار للمتون وتوليف بينها وإعمال دقيق محكم لقواعدها وأحكامها وضبط وتقويم للخلل الذي وقع عليها وتبيان للعلل التي حلت بها، وتصويب للأخطاء التي اكتنفتها . وثبتت زمنًا مديدًا لها، وسلم بها العلماء تسليمًا مطلقًا لطول العهد بها، لخفاء عللها على السابقين، وكان علم السنة قد صار إلى غياهب النسيان، وانقطع به عقودًا طويلة ، حتى صار الاشتغال به ضربًا من المستحيل، بل وصار يكاد أن يعاب من يهم بالاشتغال به إلا ما يكون من طباعة كتبها والاهتمام بحفظ نصوصها بأسانيدها أو مجردة منها ، حفظًا يكون الحافظ به نسخة جاد بها حفظ الحافظ على النسخ التي أخرجتها المطبعة من تحت أضراسها لكتاب من كتبها ليظل الكتاب محفوظًا كما هو بأخطائه وأغاليطه التي علقت بصحائفه من أول مرة طبع فيها.

الشيخ وموقفه من المذاهب!!

وقد عرفت ديار الشام نفرًا من أهل العلم كانوا يعنون بالسنة ، لكنها عناية لم تخرجهم عن قيد المذهبية التي كانوا قد وجدوا آباءهم عليها ، فكانت مذهبيتهم تقرهم على لي أعناق النصوص التي يحفظونها ليًا يدنيها من المذاهب التي صارت لها قدسية تعلو قدسية الآثار ليكون المذهب الذي نشأ عليه أحدهم هو الأول قبل الآخر، والآخر بعد الأول لا يطاول بحق ، إلى أن يتحول المتمذهب عن مذهبه الذي لم تستطع قدسيته أن تحول دون تحوله عنه ، وذلكم حين يصعب جدًا عليه أن يسبغ بعض المسائل التي كان التسليم بها قبل هو النجاة والمرقاة كالشيخ القاسمي ـ رحمه الله ـ وغالبية أهل بلاد الشام على المذهب الشافعي.

تواضع الشيخ وعطفه!!

ولقد عهدنا منه حين كان يثني أحد عليه بعلمه يقول: ما أنا إلا طويلب علم صغير،

ثم كلمة الصديق على لسانه: (اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون) . وكثيراً ما كانت دموعه تخالط كلماته فتقطع حروفها ولا يكاد يبين عن كلماته إلا من بعد انقطاع دموعه ولقد لقي ـ رحمه الله ـ من المشايخ المذهبيين ما لقي العلماء الربانيون من قبله من سوء الظن بكل مؤثمة من القول والرمي بسابغات التهم، والزمان يتداعى حاضره بماضيه وأوله بآخره، وشاهده بغائبه ، حتى يكون كأنما هو كله بكل ما حواه مخلوقًا ليكون شاهداً على نفسه، إنه زمان واحد يذكر بخلق السماوات والأرض: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠] ، وإن كثيراً مما خلق الله في أجزاء هذا الزمان العتيد الطويل الممتد فوق رقعة الأرض والسماء يتساوون في الأذواق والعقول. وإن تفاوتوا في صورهم وأشكالهم ، وإن أسوأ الأذواق وأردأ العقول عقول الذين تلطخوا بمنابذة السنة المطهرة وأذواق الذين باتوا على جمر العداوة لأحكامها وآدابها، فناءوا جميعًا بأوزار الناس، الظانين فيهم الظن الحسن ، وما هم إلا من خبال الأوهام الموشاة بضلال الريب وريب الضلال، لا يليذهم مكرمهم السئ إلا إلى مكر مثله أو أسوأ.

إنه الإمام بلا منازع!!

وكان للشيخ حظ من مثل هذا ، نودي به في الناس أنه «الإمام» بلا منازع ، ناخت ببابه رواحل علم السنة فندب الله لها من أراد به خيراً ليأخذ من أوقاتها ما يقدر على أخذه فما نقص منها شيء إلا وصار إليها أضعاف أضعاف ما نقص ـ بدأب الشيخ وصبره وإحاطته ـ ومن دخل مكتبته التي أنشأها بقلمه لا يكاد يصدق أن تلك المخطوطات المنضودة فوق رفوفها ، وسطرها قلمه وأجتناها عقله، ورصفها بجلده هي صنعته وحده، وبخاصة منها «سلسلته الذهبية» الصحيحة والضعيفة.

وأحمد الله ربي سبحانه أن أولاني صحبة كريمة فائقة له دامت نحو من خمس وثلاثين سنة ، ما كانت لتدوم على صفاء ويروم لوما ما أقرت له فيها من صادق المودة والرعاية وشجاعة النصر والحماية ، ما لم يكن لأحد سواي، لم أر لى عليه بهذا كله حقًا يؤمل إلا ما أرتجيه من حسن ثواب الآخرة.

ومع عظم البلاء يكون عظم الأجـر، وعظم الآجر، لا يكون إلا وصوبه الصـبر ومن سخط كان له السخط، ومن رضي كان له الراضا .

اللهم فآجرنا في مـصيبتنا ، واخلف لنا خـيرًا منها، واجمعنا بهـا تحت لواء الحمد ، لواء محمد ﷺ .

* * *

أشعار قيلت
في رثاء العلامة (الألباني) رحمه الله تعالى[١]

نبأ أضاف إلى فؤادي حسرة ... ما أكثر الحسرات والنكبات
بالأمس شيخ في الجزيرة قد ثوى[٢] ... فأسال ماء العين بالعبرات
ما كدت أسلو والحقيقة أنني ... أملت شيئاً لم يكن بالآتي
حتى إذا جاء القضاء تغيرت ... عندي الأماني إذ بدت زفراتي
يا دار همللان التي لم أرتو ... من غيرها علماً ينير حياتي
هل صح ما نقلوا إلينا أنه ... قد مات شيخ العلم والحلقات؟
جاء الجواب بأن شيخك راحل ... فاصبر وجد بالدمع للأموات
بكت المجامع في البسيطة كلها ... ولفقده مالت من الحسرات
ورأيت في عيني الصحاح كئيبة ... ولطالما أغنت عن النشرات
وتأوه المخطوط يبكي حاسراً ... وبعينه شيء من العبرات
يا لائمي في حب ناصر والذي ... يحيي عظام الخلق بعد رفات
هو رحلة هو وجهة هو صحوة ... للعمل إرواء بلا ثغرات
كنز العلوم برأسه وبقلبه ... نور يبدد حالك الظلمات
أسد الحديث وشيخه وإمامه ... بحر الفوائد منبع الحسنات
نصر الكتاب مع الحديث وحبذا ... من ناصر للدين والآيات
يا رب وارحم شيخنا وإمامنا ... واغفر له الزلات والعثرات
يا رب واجمع شملنا بإمامنا ... في جنة الفردوس بعد شتات

---

(١) من قصيدة قالها/ خالد جمعة الخراز ٢٢ جمادي الآخرة ١٤٢٠هـ، الموافق ٢٥/ ١٠/ ١٩٩٩م.
(٢) يعني الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى .

رحيل العالم السلفي الرباني «الألباني»[١]

بسم الإله منزل القرآن ... رب رحيم ماله من ثاني
ثم الصلاة على النبي محمد ... الرحمة المهداة للإنسان
خطب دهي الأرض البسيطة كلها ... لما توفي العالم الرباني
والله قد فجع الفؤاد بفقده ... ذاك الإمام الزاهد المتفاني
فقه وعلم والبصيرة والنهى ... والحلم والإخلاص والإيمان
هذى شمائل شيخنا يا طيبها ... يا طيب ذاك الثوب والأردان
كانت سمات الشيخ نورًا باهرًا ... تجلو العشى وألفى بالبرهان
فالله يعظم أجرنا بمصابنا ... يا رب حب الشيخ قد أبراني
فسل الأحاديث الصحيحة كلها ... تنبيك عنه العلم والتبيان
إن قالوا حقًا هو مجدد ديننا ... بالعلم حاز السبق كالفرسان
يا عالم الغرباء في أزماننا ... يا عالم الفقهاء يا ألباني
بالأمس مات الباز يا حسراتنا ... واليوم مات حميمه الألباني
هذي خسارة أمتي باءت بها ... من يوم لف العلم بالأكفان
كتب الحديث جميعًا تهفوا ... إلى تحقيقكم تعليقكم لمعاني
يا من خدمت العلم عمرك جاهدًا ... تدعو بصبر ما عرفت تواني
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام أماني
يا رب إنا نرتجي منك الرضا ... والصبر والتعويض والسلوان
فالحمد لله ختامًا قولنا ... والشكر والتهليل والسبحان
وصلاة ربي الله تترى دائمًا ... على النبي الخاتم العدناني

---

(١) قصيدة بقلم الأستاذ / إبراهيم حميد الساجر.

يبكيك القلب أيها الألباني[١]

الدمعُ يغلي في لَظى وُجداني ... والقلبُ باكٍ مُذْ ثوى الألباني

كمْ سابقته إلى القبورِ دموعنا ... لما غدا في ضمةِ الأكفانِ

اللوذعي أبو الصحاح ويقتفي ... أثر النبي المصطفى العدناني

علامةُ الشام الذي بَهَرَ الورى ... جرحًا وتعديلاً بكل بنان

وإذا المُتون تنافرتْ ألفاظُها ... نبذ الضعيف بقوةِ البُرهانِ

كم كان ينصُرُ ألفاظُها ... في الحق يقطع دابر البهتان

وتسيلُ مِنْ عينيه دمعةُ عابد ... لله يرجو جنةَ الرضوانِ

فكأنهُ قمرُ الدجى ونجومُهُ ... من حوله من خيرةِ الخلان

وكأنهُ شمسُ المعارفِ كُلها ... وصقيلها يهوي على الطغيان

ويظلُ يدعو للفضيلة والتقى ... يرويا لعطاش مناهل القرآن

ويدارس الصحب الكرامَ مآثرًا ... للصالحين بسالف الأزمان

يرعى العلوم مع الفضائل تارة ... ويَهُبُّ يُكرِمُ عصبة الضيفان

وسما الخلائق في عظيم صفاته ... كالصرح يبقى مشرف البُنيان

هذي الدموعُ مع الشجون تُبثها ... نونيةُ ابن مجلةِ الفرقان

ونظلُ نرجو في الحديث جهابذًا ... قممًا كذاك العالم الرباني

---

(١) قصيدة بقلم الأستاذ/ ذياب عبد الكريم.

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة ٥
ترجمة الشيخ الإمام الألباني لنفسه ٧
مولده ٧
نشأته ٧
سبب هجرته من ألبانيا إلى دمشق ٧
عمر الشيخ الإمام في وقت الهجرة ٨
عدم معرفة الشيخ الإمام باللغة العربية في طفولته ٨
وقوف الشيخ في الدراسة عند المرحلة الابتدائية ٩
تتلمذ الشيخ الألباني على أبيه في دروس خاصة ١٠
كيف تحول الشيخ الألباني من المذهب الحنفي إلى دراسة الحديث ١١
عمر الشيخ الألباني في وقت قراءته في مجلة المنار ١٢
موقف والد الشيخ الألباني من دراسته لعلم الحديث ١٤
مخالفة الشيخ الألباني لمشايخه في مسألة الصلاة في المسجد الذي فيه قبر ١٤
إنكار الشيخ الألباني قيام جماعتين في وقت واحد في المسجد، وهو من أثر التعصب المذهبي ١٧
مفارقة الشيخ الألباني لأبيه، واستقلاله بدراسة الحديث ١٩
تصنيف الشيخ الألباني لكتابه « الروض النضير » ٢٠
كيفية جمع الشيخ الألباني بين مهنة تصليح الساعات وطلب العلم ٢١
قصة الورقة الضائعة ٢٣

الثمرة النافعة من البحث عن الورقة الضائعة ٢٥
كيفية تصنيف الشيخ الألباني لفهرس المكتبة الظاهرية ٢٦
تخصيص حجرة في المكتبة الظاهرية للشيخ الألباني ٢٧
الكتب التي كان يدرسها الشيخ الألباني لطلبة العلم في بداية الدعوة ٢٨
علاقة الشيخ الألباني بالشيخ محمد بهجت البيطار ٢٩
كيف تم اختيار الشيخ الألباني للتدريس في الجامعة الإسلامية ٣٠
كيف كان يتعامل الشيخ الألباني مع تلامذته في الجامعة ٣١
هجرة الشيخ الألباني من الشام إلى عمان ، ثم إلى بيروت ، ثم إلى الإمارات ٣٣
سبب خروج الشيخ الألباني من سورية وكيفية خروجه ٣٥
محنة الشيخ الألباني وسجنه مرتين في دمشق ٣٧
ذرية الشيخ الألباني ٤١
تأثر الشيخ الألباني بشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والشيخ محمد عبد الوهاب ٤٣
دعوة الشيخ الألباني ٤٥
أقوال أئمة المذاهب الأربعة في ترك التقليد واتباع الكتاب والسنة ٤٧
تأصيل الشيخ الألباني للمنهج السلفي ٧١
رد الشيخ الألباني على الذين ينكرون التسمي بالسلفية ٩١
القواعد الرئيسية لدعوة الشيخ الألباني ٩٩
منهج التصفية والتربية عند الشيخ الألباني ١٠٠
دروس الشيخ الألباني وحلقاته العلمية ١٠٣
حصول الشيخ الألباني على الإجازة في علم الحديث ١٠٧
أسانيد الشيخ الألباني إلى كتب الفهارس والأثبات ١٠٧
أسانيد والشيخ الألباني إلى مسند الإمام أحمد ١٠٧
أسماء بعض الكتب التي يتصل سند الشيخ الألباني بها ١٠٩

جولات الشيخ الألباني ورحلاته الدعوية ١١١
معاناة الشيخ الألباني من الدعوات المخالفة له ١١٢
الوظائف التي تقلدها الشيخ الألباني وجهوده العلمية ١١٥
معاناة الشيخ الألباني من الحاقدين عليه وعلى دعوته ١١٦
حصول الشيخ الألباني على جائزة فيصل العالمية لخدمته للسنة ١١٩
تواضع الشيخ الألباني ورجوعه إلى الحق ١٢٠
عطاء الشيخ الألباني وبذله الإحسان إلى الناس ١٣٤
عبادة الشيخ الألباني ورقة قلبه ١٣٧
وصية الشيخ الألباني لطلبة العلم ١٣٩
وصية الشيخ الألباني لعموم المسلمين ١٤٠
الكتب التي ينصح بها الشيخ الألباني طالب العلم المبتدئ ١٤٢
تلاميذ الشيخ الألباني ١٤٥
ثناء العلماء على الشيخ الألباني ١٤٥
ثناء الشيخ محب الدين الخطيب على الشيخ الألباني ١٤٥
ثناء الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ على الشيخ الألباني ١٤٥
ثناء الشيخ عبد العزيز بن باز على الشيخ الألباني ١٤٦
ثناء الشيخ ابن عثيمين على الشيخ الألباني ١٤٦
ثناء الشيخ عبد الصمد شرف الدين على الشيخ الألباني ١٤٦
ثناء اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على الشيخ الألباني ١٤٦
ثناء الشيخ حماد الأنصاري على الشيخ الألباني ١٤٦
ثناء الشيخ محمد على آدم الأثيوبي على الشيخ الألباني ١٤٧
ثناء الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية على الشيخ الألباني ١٤٧
ثناء الشيخ عبد المحسن العباد على الشيخ الألباني ١٤٨
ثناء الشيخ حمود بن عبد الله التويجري على الشيخ الألباني ١٤٨

ثناء الشيخ أحمد بن يحي النجمي على الشيخ الألباني ١٤٨
ثناء الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ على الشيخ الألباني ١٤٨
ثناء الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام على الشيخ الألباني ١٤٨
ثناء الشيخ عبد الله بن سليمان المنيع على الشيخ الألباني ١٤٩
ثناء الشيخ زيد بن العزيز الفياض على الشيخ الألباني ١٤٩
ثناء الدكتور محمد لطفي الصباغ على الشيخ الألباني ١٤٩
ثناء الشيخ على الطنطاوي على الشيخ الألباني ١٤٩
ثناء الشيخ مصطفى الزرقاوي على الشيخ الألباني ١٤٩
ثناء الشيخ محمد الغزالي على الشيخ الألباني ١٥٠
ثناء الشيخ يوسف القرضاوي على الشيخ الألباني ١٥٠
ثناء الدكتور عبد الكريم زيدان على الشيخ الألباني ١٥٠
ثناء الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري على الشيخ الألباني ١٥٠
ثناء الشيخ أحمد بن الصديق الغماري على الشيخ الألباني ١٥٠
شهادات العلماء فى حق الشيخ الألباني ١٥١
شهادات الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في حق الشيخ الألباني ١٥١
شهادة الشيخ محمد إبراهيم شقرة في حق الشيخ الألباني ١٥٤
شهادة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي في حق الشيخ الألباني ١٦٨
شهادة الشيخ محمد عيد عباس في حق الشيخ الألباني ١٧١
أشعار قيلت في الشيخ الألباني ١٦٩
قصيدة الشيخ الأديب محمد المجذوب ١٧٠
قصيدة خير الدين وانلي ١٧١
أحد طلبة العلم يثني على الشيخ الألباني فى أبيات شعرية ١٧٣
ثبت مؤلفات الشيخ الألباني والتعريف ببعضها ١٧٦
التعريف ببعض تخريجات وتحقيقات الشيخ الألباني ٢٥١
الأيام الأخيرة في حياة الشيخ الألباني ٢٦٨

وصية الشيخ الألباني التي كتبها قبل موته ٢٧١
كلمات قيلت فى رثاء الشيخ الألباني ٢٧٣
كلمة الأستاذ زهير الشاويش في رثاء الشيخ الألباني ٢٧٣
كلمة الشيخ طارق العيسى في رثاء الشيخ الألباني ٢٧٣
كلمة الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في رثاء الشيخ الألباني ٢٧٨
بيان جمعية إحياء التراث الإسلامي حول وفاة الشيخ الألباني ٢٨١
كلمة الشيخ محمد إبراهيم شقرة في رثاء الشيخ الألباني ٢٨٣
أشعار قيلت في رثاء الشيخ الألباني ٢٨٧